الفصل الأول

الخلفاء والولاة والأمراء
والوزراء والقضاة
من أهل الظاهر

١ -ثبت بخلفاء الموحدين.
٢ -الأدلة على ظاهرية خلفاء وحكام الموحدين .
٣ -الخلفاء من أهل الظاهر.
٤ -الولاة من أهل الظاهر.
٥ -الأمراء من أهل الظاهر.
٦ -الوزراء من أهل الظاهر.
٧ -القضاة من أهل الظاهر.

obeikandl.com

ثبت بخلفاء الموحدين:

هذا ثبت أولا بحكام الموحدين من أولهم إلى آخرهم وسيتم الحديث عن كل حاكم منهم ضمن هذا الفصل مع إثبات ظاهرية دولة الموحدين وحكامها.

١- محمد بن تومرت الهرغى ٥١٤هـ حتى ٥٢٤هـ

٢- عبد المؤمن بن على ٥٢٤هـ - ٥٥٨هـ

٣- أبويعقوب يوسف بن عبد المؤمن ٥٥٨هـ-٥٨٠هـ

٤- أبو يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ٥٨٠هـ - ٥٩٥هـ

٥- محمد الناصر بن المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ٥٩٥هـ - ٦١١هـ

٦- أبو يعقوب يوسف الثانى المنتصر بالله بن الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن على 620-611هـ

٧- أبومحمد عبد الواحد المخلوع بن يوسف بن عبد المؤمن بن على 620هـ - ٦٢١هـ

٨- أبو محمد عبد الله العادل بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ٦٢١هـ - ٦٢٤هـ

٩- يحيى المعتصم بالله بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ٦٢٤هـ - ٦٢٦هـ

١٠- أبوالعلاء إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن على ٦٢٦هـ - ٦٣٠هـ

١١- عبد الواحد الرشيد بن المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن على 630هـ - ٦٤٠هـ

١٢- أبو الحسن على السعيد بن إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن على ٦٤٠هـ - ٦٤٦هـ

١٣- أبو حفص عمر المرتضى ابن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن ٦٤٦هـ - ٦٦٥هـ

١٤- أبو العلا الواثق بالله إدريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن بن على لقب بأبى دبوس ٦٦٥هـ ٦٦٨هـ وكان آخر خليفة من الموحدين على قول من قال بصحة نسبهم

obeikandi.com

القرشى وآلت ممتلكات هذه الدولة الظاهرية إلى بنى مرين التى سرعان ما حولت كل أثر ظاهرى إلى مالكى بتأثير فقهاء المالكية.

الأدلة على ظاهرية خلفاء وحكام الموحدين :

قبل الشروع فى الحديث عن خلفاء الموحدين لابد أن نوضح الأدلة والبراهين على ظاهرية هذه الدولة ومنها غير ما سنذكره عند حديثنا عن ظاهرية كل خليفة منهم :

١- انتشار كتب ابن حزم الفقهية والأدبية والتاريخية وغيرها (١)، وكتب الظاهرية عامة فى عصرهم بما لم يكن معروفا من قبل.

٢- أن حكام الدولة الموحدية كانوا على علم بالفقه والأصول والحديث والدعوة للاعتماد على القرآن والسنة فى الفتيا والأحكام، وهى الأمور التى دعا إليها المذهب الظاهرى، وغير موجودة فى غيره، فعلى سبيل المثال كان عبد المؤمن بن على فقيها أصوليا محدثا جدليا(٢) وكان يوسف بن عبد المؤمن على علم بالفقه والأصول وعلوم القرآن، والحديث، وكان يحفظ أحد الصحيحين (٣)، وكان المنصور فقيها محدثا أصوليا مجتهدا جدليا، يعلم الفقهاء والقضاة والكتاب استنباط الأحكام من القرآن والسنة (٤).

٣- اعتماد الدولة فى أحكامها على الفقه الظاهرى فقد قتل المنصور الموحدى أخا له لخروجه عليه ومطالبته بالخلافة (٥) اعتمادا على فتوى لابن حزم بقتل الخليفة الآخر إذا بويع لخليفتين (٦) واعتمدت الدولة مسألة التعزير فى الذنوب التى لا حد فيها خاصة ترك الصلاة، والقتل لمن شرب الخمر (٧) وجعل التعليم إجباريا على الذكور

---

(١) المقرى، نفح الطيب، ١٩٥/٣.

(٢) الناصرى، الاستقصا، ١٤٥/٢، ابن أبى دينار، المؤنس، ص١١٧.

(٣) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٦٥، المراكشى، المعجب، ص١٩٩.

(٤) المراكشى، المعجب، ص٢٣١،٢٣٢، ابن سماك العاملى، الزهرات المنثورة فى نكت الأخبار المأثورة، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد، ١٩٨١م-١٩٨٢م، مجلد ٢١، ص٦١،٦٢.

(٥) المراكشى، المعجب، ٢٣٣،٢٣٤.

(٦) اعتمد ابن حزم فى فتواه على قول الرسول (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) أنظر: ابن حزم، المحلى، ٦٦/١، ٤٢٣/٨، الفصل، ٤/٣،٥، والحديث رواه مسلم فى كتاب الإمارة من صحيحه .

(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١١/٧،١٢.

والبنات منذ عهد عبد المؤمن بن على، وتم تكليف العبيد بالأحكام الشرعية شأنهم شأن الأحرار (١) والرجوع للحاكم فى أحكام القتل كقتل النفس والمرتد والمستهزىء بدين الله (٢) وهى المسائل التى انفرد المذهب الظاهرى بها دون غيره من المذاهب، وأصلها الظاهرية فى كتبهم.

٤- دعوة حكامها لعقد مجادلات ومحاورات لترجيح المذهب الظاهرى على المالكى، ومن ذلك المجلس الذى ذكره ابن حجر الهيتمى لأحد الأمراء دون ذكر اسمه (٣)، وما وقع وقع فى عهد عبد المؤمن بن على من جمع علماء الظاهرية والمالكية للمناظرة حول عدة مسائل فى مدونة سحنون، ومنها مسألة إعادة الصلاة فى الوقت والتى يرفضها الظاهرية، وانتهى المجلس بإقرار رأى الظاهرية بعد كلام دار بين ابن زرقون المالكى وأحد الظاهرية، وقد عبر ابن زرقون عن ظاهرية عبد المؤمن بقوله: "كل ذلك مراده أن يحمل الناس على مذهب ابن حزم" (٤)، وكذا ما وقع بين يوسف بن عبد المؤمن وبين الفقيه المالكى ابن الجد على ما سنفصله عند الحديث عن ظاهرية يوسف بن عبد المؤمن.

٥-أن مشايخ الموحدين قدموا المنصور بن يوسف للخلافة، رغم معرفتهم أنه ظاهرى، وكان مشهورا بظاهريته أيام كونه وزيرا فى عهد أبيه (٥)، ولو كان لهؤلاء المشايخ نهجا مذهبيا مذهبيا غير المذهب الظاهرى لما قدموا المنصور، ولعارضوا من قدمه أصلا، كما كان الحال فى عهد المرابطين المالكية الذين اعتبروا أن مذهب الظاهرية بدعة، ورفضوا تولية أى ظاهرى منصب من المناصب الهامة فى الدولة (٦)، كما أن محمد الناصر بن المنصور استوزرأخاه إبراهيم بن المنصورالذى كان يذهب مذهب أبيه فى الظاهرية على

(١) المنونى، حضارة الموحدين، ص١٢٥،٢١،٢٥،٢٦.
(٢) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٢٢٨.
(٣) ابن حجر الهيتمى، الفتاوى الحديثية، نقلا عن المنونى، حضارة الموحدين، ص٨٣ .
(٤) أبوراس العسكرى، الخبر المغرب، نقلا عن المنونى، حضارة الموحدين، ص٨٣، هامش ٨.
(٥) الناصرى، الاستقصا، ١٩٨/٢،١٩٩.
(٦) الونشريسى، المعيار، ٣٤١/٢.

حد قول المراكشى، وقد ظل إبراهيم فى الوزارة حتى عام ٦٠٥هـ/١٢٠٨م ثم ولاه الناصر على إشبيلية(١)، وهذا الذى فعله الناصر يؤكد خطأ ما ذهب إليه البعض من أن الدولة كانت ظاهرية فقط فى عهد المنصور، ويبطله أيضا قول صاحب بيوتات فاس بان الناصر كان كأبيه لا يحكم إلا بمحض الظاهرية، وأن دولة الموحدين كلها من بدايتها إلى نهايتها كانت دولة ظاهرية كما أسلفنا(٢)، ولو كانت الدولة غير ظاهرية لما سكت شيوخ الموحدين عن هذا التمكين للظاهرية ورجالها.

٦-ترويج الدولة الموحدية للمذهب الظاهرى من خلال مؤلفات رجالها وعلمائها والتى كانت تحمل طابعا ظاهريا كاختيار اسم للكتاب مقتبس من آية قرآنية مثل كتاب عبدالملك بن صاحب الصلاة -كان مؤرخا ومحدثا ظاهريا- الذى أسماه (تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين) فقد اقتبس اسمه من قوله تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) [سورة القصص آية ٥]، هذا فضلا عن ظهور نهضة فقهية أصولية كبرى فى المغرب والأندلس فى عهد الموحدين فقد كثر المحدثون والأصوليون والمفسرون وعلماء الكلام والجدل، وذلك من جراء الدعوة للعودة إلى الكتاب والسنة فى استخراج الأحكام وترك ما دونهما من كتب الفروع، بل وصل الأمر بالمالكية الذين تمسكوا بمذهبهم أن تعلموا الأصول والحديث، والاستنباط من القرآن والسنة حتى يكون لهم مكانا فى الدولة أو وصولا لمناصب دينية كان يشترط فيها العلم بالأصول والحديث، كما سبق وكما سيتم توضيحه لاحقا بالفصل الثالث، أضف إلى ذلك ظهور تآليف مهمة فى أحاديث الأحكام استدراكا ونقدا وشرحا، وهو الأمر الذى لم يجرؤ أحد على القيام به من قبل ضد كتب الأحكام المالكية، ومن هذه التآليف استدراك القاضى الصقلى على الأحكام الكبرى للقاضى عبدالحق، حيث رأى الصقلى أن هناك أحاديث كثيرة فى الكتب أغفلها عبدالحق وأنها أولى بالذكر مما أورده، وألف ابن

(١) المراكشى، المعجب، ص ٢٥٥،٢٥٦.
(٢) إسماعيل بن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، ص١٩.

القطان بيان الوهم والإيهام الواقعين فى كتاب الأحكام ([1]) .

٧–اعتماد الدولة الموحدية فى القضاء والفتيا والأحكام على القرآن والسنة والإجماع، وهى الأصول التى اعتمدها المذهب الظاهرى، وقد كتب حكام الدولة الرسائل للقضاة والعمال بخصوص هذا الشأن ومن ذلك رسالة المأمون للفقيه أبى محمد عند توليته قضاء شريش، ورسالة الرشيد لأبى محمد القاضى بشريش، وأخرى لقاض أمره أيضا بالاعتماد على القرآن والسنة والإجماع والاجتهاد، ولقد سبق المأمون والرشيد فى هذا الأمر يوسف بن عبدالمؤمن، أضف إلى ذلك ما أعلنه المرتضى فى رسالة لأهل سبتة جاء فيها (وما تعبدنا ربنا – جلا وعلا– إلا بالظاهر) ([2]) وهو القول الذى طالما كرره ابن حزم والظاهرية مرارا فى كتبهم، وهذا القول يوضح أن الدولة ظلت حتى النهاية متبنية للمذهب الظاهرى، إذ إن المرتضى كان الحاكم قبل الأخير فى تاريخ الدولة .

٨– اتخاذهم قضاة ظاهرى المذهب كأحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن بقى بن مخلد الذى تولى قضاء مراكش، ثم قرطبة وكانت أحكامه على المذهب الظاهرى، وابن مضاء، وابن دحية الكلبى، وغيرهم كثير بل إن القضاة أنفسهم كانوا إذا استنابوا عنهم أحدا فى الأحكام يختارونه من الظاهرية مثل أبى الحسن على بن عبد الله بن يوسف بن خطاب المعافرى قاضي إشبيلية (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م) والذى استنابه القضاة كثيرا فى الأحكام([3])، وقد أكد صاحب بيوتات فاس سياسة الدولة الموحدية بتولية قضاة لا يحكمون إلا بالظاهرية فى قوله "ولما قلدوا القضاء بالمغرب إلى قاضى القضاة محمد بن طاهر الصقلى الحسينى أمروه أن يأمر القضاة بالمغرب أن يحكموا بمحصل الظاهرية، فامتثلوا أمره، وصاروا لا يحكمون إلا بمحض الظاهرية، وجروا على ذلك السنن بطول أيامهم" ([4]).

(١) المنونى، حضارة الموحدين، ص٣٩.

(٢) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٢٢٧؛ وانظر: عزاوى، رسائل موحدية، ١/٤٩٤،٤٩٥،٤٨٣، ٤٢٤.

(٣) توفيق الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٣٠٨،٣٠٩.

(٤) ابن الأحمر، بيوتات فاس، ص١٩، وابن طاهر من أهل مدينة فاس كان متصوفا اتصل بالمنصور الموحدى سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م فحظى عنده، وكان عالما بأصول الدين وأصول الفقه، ومسائل الخلاف، ولى قضاء

٩- معاقبة حكامها بالحبس لمن يتعرض بالنقد الهدام لابن حزم ومذهبه، ومن يدعو إلى التقليد وكتب الفروع وذلك مثل ما حدث لمحمد بن سعيد بن أحمد الأنصارى المعروف بابن زرقون بسبب تعصبه للمذهب المالكى وانتقاده لابن حزم انتقاصا لقدره وليس تقويما فى كتابه (المعلى فى الرد على المحلى والمجلى لابن حزم)، وتدريسه لكتب الفروع وقد نهى عنها المنصور (١)، والقاضى أبوبكر بن العربى المالكى الذى انتقد ابن حزم فى رسالة له أسماها (الغرة) انتقد فيها كتاب (الدرة فى الاعتقاد) لابن حزم (٢)، وأبوبكرالجيانى (ت ٥٩٦هـ/١١٩٩م) الذى سجنه المنصور بسبب دعوته للتقليد (٣) وأبوبكر محمد بن على بن خلف التجيبى الإشبيلى (ت٥٩٦هـ/١١٩٩م) الذى وشى به للمنصور ايام ألزم الناس بالأثر والظاهر فسجن مع ابن زرقون وعرض للقتل لكنه خلص من النكبة فلزم داره حتى مات(٤)، وكانت لهذه السياسة آثار بعيدة فى زيادة الظاهريين والمهتمين بالفكر الحزمى وهو ما يقرره ابن العربى المالكى الذى وصف كثرة الظاهرية فى صدر دولة الموحدين بقوله "وجدت القول بالظاهر قد ملأ المغرب "(٥) وأكد ذلك كل من عقيل بن عطية القضاعى، والمراكشى صاحب (المعجب) حيث يقول القضاعى عن الطائفة الكبيرة التى اتبعت ابن حزم فى عصر الموحدين: "تعظمه تعظيما مفرطا بحيث تقلده فى جميع أقواله، ولا ترى مخالفته فى شيء من مذهبه وإذا ظهر لها فى كلامه الخطأ البين والوهم الصراح لم تقبله، وأحالت بالوهم والخطأ على من يتعاطى الرد عليه أو على نفسها بالعجز عن الانتصار لذلك

الجماعة للمنصور، ثم ولى قضاء الجماعة للناصر بعد أبيه ولم يزل كذلك حتى وفاته سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م أنظر: ابن أبى زرع، الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م، ص٤٨.

(١) ابن الابار، التكملة، ٦١٦/٢؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء، ٣١١/٢٢.

(٢) ابن العربى، العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ/١٤١٢م، ص٢١؛ وانظر: المقرى، نفح الطيب، ٣١/٢ ،٢٥.

(٣) المقرى، نفح الطيب، ٥٨،٥٧/٢؛ وانظر: محمد الرشيد ملين، عصر المنصور الموحدى، ص٢٥٤.

(٤) الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٧١١.

(٥) ابن العربى، العواصم من القواصم، تحقيق عمار الطالبى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ٣٣٧،٣٣٦/٢.

القول المردود "([1])، ويقول المراكشى فى حدود سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م فى ختام ترجمته لابن حزم: "وإنما أوردت هذه النبذة من أخبار هذا الرجل، وإن كانت قاطعة للنسق مزيجة عن بعض الغرض لأنه أشهر علماء الأندلس اليوم وأكثرهم ذكرا فى مجالس الرؤساء، وعلى ألسنة العلماء وذلك لمخالفته مذهب مالك بالمغرب، واستبداده بعلم الظاهر، ولم يشتهر به قبله عندنا أحد فيما علمت، وقد كثر مذهبه وأتباعه عندنا بالأندلس اليوم) ([2])، ومن كلام المراكشى يتضح أن المذهب الظاهرى ظل مذهبا رسميا للدولة الموحدية حتى سقوطها، إذ إن كلامه كان بعد وفاة المنصور الموحدى بأكثر من ربع قرن، وفى ذلك رد على من ادعى أن الدولة تبنت المذهب الظاهرى فى عهد المنصور فقط ثم سرعان ما زال المذهب بزواله([3]).

١٠- كثرة الظاهرية فى عهد الموحدين حتى شكلوا تجمعا ضد المالكية، وهو الأمر الذى لم يحدث من قبل ومنهم على سبيل المثال لا الحصر محمد بن عبد الله بن مروان التلمسانى قاضى الجماعة فى عهد المنصور الموحدى وابنه محمد الناصر ٥٩٥هـ-٦١١هـ/١١٩٩م-١٢١٤م الذى عرف بتعصبه لابن حزم، وإبراهيم بن يعقوب المنصور الموحدى الذى ولى على إشبيلية مرتين ووزر لأخيه محمد الناصر، وكان يذهب مذهب أبيه فى الظاهرية، وعلى بن عبد الله بن يوسف قاضى إشبيلية ([4])، وعبدالمنعم بن محمد بن عبدالرحيم الخزرجى الذى تولى قضاء غرناطة وجزيرة شقر ومدينة وادى آش وجيان، ثم تولى الحسبة والشرطة فى عهد المنصور الموحدي ([5]). ومن الظاهرية أبو بكر محمد بن علي بن العربي الصوفي الظاهري صاحب الفتوحات

(١) نقلا عن الكنانى، مؤلفات ابن حزم، ص٩٧.

(٢) أنظر: المعجب، ص٤٩.

(٣) أحمد بكير، المدرسة الظاهرية، ص٦٤.

(٤) المراكشى، المعجب، ص٣٠٨-٣١٠؛ وانظر: بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسى، ص٢٣٨ .

(٥) النباهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص ١١٠. وجزيرة شقر تقع بين بلنسية وشاطبة، ومدينة جيان كوره تتصل أحوزها بأحواز كوره البيرة ومسافة ما بينها وبين قرطبة خمسون ميلا أنظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٤، ٢٨٥.

المكية المشهور بمحيي الدين بن عربي والشيخ الأكبر وبابن أفلاطون وقد أصطلح أهل المشرق علي ذكره بغير ألف ولام تمييزا له عن القاضي أبي بكر بن العربي المالكي خصم الظاهرية. سمع كتب ابن حزم من شيخه عبد الحق الإشبيلى، واهتم بنشرها والتعليق عليها، وأثر عنه رؤيا حدث عنها بقوله: "رأيت النبي صلي الله عليه وسلم في المنام وقد عانقه أبو محمد بن حزم المحدث فغاب الواحد في الأخر فلم نر إلا واحدا، وهو رسول الله علية الصلاة والسلام فهذه غاية الوصلة" (١)، وهذه الرؤيا تشير إلي أن المعتنق لفكر ابن حزم معتنقا لفكر النبي صلي الله عليه وسلم. بيد أن ظاهرية ابن العربي لم تكن كظاهرية ابن حزم فالأول قصرها علي العبادات وسلك في الاعتقادات مسلك المتصوفة أصحاب الباطن، والثاني طبق ظاهريتة علي العبادات والاعتقادات في آن واحد، وهذا شأن غريب من ظاهري يعد رأس أهل الباطن من الصوفية (٢). ومن الظاهرية في عهد الموحدين أحمد بن الرحمن بن محمد بن مضاء القرطبي قاضي القضاة بدولتهم وصاحب كتاب الرد علي النحاة (٣)، وعبدالكريم بن عبدالملك بن عبد الله البجائى (من أهل القرن السابع الهجرى) كان معروفا عند خلفاء بنى عبدالمؤمن، وإليه كان مرجع الفتيا وعلى قوله العمل (٤).

١١- أن الدولة الموحدية كان لها الفضل في انتقال المذهب الظاهري الحزمي إلي شمال أفريقيا وخاصة تونس في العهد الحفصي ؛ حيث وجدت جماعة من الظاهرية في القرنين السادس والسابع للهجرة لم تكن تخفى منافستها للمذهب المالكي وكانت تتمتع بحماية الطبقة الموالية للدعوة الموحدية، وتولي البعض منها التدريس بالمدارس

(١) المقري ، نفح الطيب، ٣٦٣/٢؛ وأنظر عبد الحليم عويس، ابن حزم، ص ٣٥٠ ،٣٦٠ .وعن إبن العربي أنظر: أسين بلاسيوس، ابن عربى حياتة ومذهبه، ترجمة عبد الرحمن بدوى، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة، ١٩٦٥ م، ص ٥ —٩٩ .

(٢) المقري، مصدر سابق، ٢ / ٣٦٣؛ وأنظر: بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢١٩.

(٣) أحمد بكير، المدرسة الظاهرية، ص٥٩؛ وانظر: أحمد أمين، ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٦٢م، ٩٥،٩٦/٣؛ خديجة الحديثى، أبوحيان النحوى، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٦م، ص٣١٩.

(٤) توفيق الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٣٠٣.

التونسية، بل كان بعض الظاهرية يشنع ويقول: لقط أفقه من مالك فى المسألة، فإنه إذا رميت له لقمتان أحدهما شعيرا، فإنه يانف عنها ويقبل على الأخرى، وذلك لأن مالكا كان يقول: إن القمح والشعير صنف واحد، وكان مخالفوه يحتجون عليه بقوله صلى الله عليه وسلم: الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فإذا اختلفت الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد(١). كما كان للموحدين الفضل في وجود طائفة تمثل الفقه الظاهرى في مملكه غرناطة وفى دولة بنى مرين (٢)، ومن هؤلاء علي سبيل المثال لا الحصر: أحمد بن صابر القيسى الشاعر (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م) كان كاتبا للأمير أبى سعيد فرج وهو ابن محمد بن نصر أول سلاطين بنى الأحمر وكان يتعبد ربه بالفقه الظاهرى (٣)، والقاضي محمد بن يحي بن بكر الأشعري قاضى غرناطة كان لا يقلد مذهبا ويقضي بما يراه صوابا وكان عارفا بالأصول والفروع واللغة والتفسير، والقراءات والحديث وعلومه، وعبد المهيمن الأشجعى البلذوذي الظاهري (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م) الذي كان يصول بلسانه بالمغرب والأندلس على من نافر ابن حزم فى عهد بنى مرين(٤) ومن الظاهرية فى عهد بنى مرين أبوسلمة محمد بن على البياسى الغرناطى (ت ٧٠٣هـ/١٣٠٣م) شيخ ابن الزبير، وابن رشيد الفهرى السبتى (ت٧٢١هـ/١٣٢١م)، والوزير ابن سهل الأزدى الغرناطى (ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م)، وعبدالحليم بن الحسن بن تدرارت التينمالى (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م) (٥)، وأثير الدين محمد يوسف أبو حيان

(١) أحمد بكير، سابق، ص٦٥.

(٢) استولى ابن الأحمر محمد بن يوسف بن هود على غرناطة من الموحدين سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م وأسس مملكته التى دامت حتى سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م، ومنذ انفصالها عن الموحدين بدا ابن الأحمر فى إعادت المذهب المالكى إليها ثانية وطبعها بالطابع الذى كانت عليه الأندلس قبل الموحدين أنظر: عنان، تراجم أندلسية، ص٢٥٧،٢٥٩.

(٣) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسى، ص٢٣٨؛ وانظر: الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٣٦٦،٣٦٧.

(٤) النباهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٤٢؛ وانظر ابن الخطيب، الإحاطة، ٤/١٨-٢٠ .

(٥) المقرى، نفح الطيب، ٢/٥٩؛ الغلبزورى، سابق، ص٣٧٠-٣٧٣، ٧٣٣.

الجياني الغرناطى (ت ٧٤٥هـ/١٣٤٤م) صاحب البحر المحيط في التفسير.

١٢- حرص حكام الموحدين للدفاع عن ابن حزم والمذهب الظاهرى وتشجيع علماء الظاهرية للرد على منتقدى ابن حزم والمذهب الظاهرى مثل أحمد بن محمد بن حزم المذحجى الذى صنف كتابا أسماه (الزوابغ والدوامغ) انتقد فيه أبا بكر بن العربى المالكى فى كتابه الذى رد فيه على ابن حزم والموسوم باسم (الدواهى والنواهى فى الرد على ابن حزم)، وقد أتى أحمد بن محمد بن حزم على كل شبهة روج لها ابن العربى، وأبطل كل مقولة رددها فى كتابه هذا (١)، هذا فضلا عن حرصهم على العناية والاهتمام البالغ بفقهاء الظاهرية مثل الحافظ إبراهيم بن خلف السنهورى الدمشقى (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م) الذى دخل الأندلس والمغرب فالتف حوله جماعة من الظاهرية درسوا على يديه ورووا عنه مثل ابن حوط الله الظاهرى، وابنه محمد، وأبوالعباس النباتى الظاهرى، وابن القطان الفاسى المالكى صاحب النزعة الظاهرية، وولد ابن القطان، وليس أدل على عناية الموحدين بالسنهورى أنه لما وقع فى أسر النصارى خلصه محمد الناصر بن المنصور وأحسن إليه، أضف إلى ذلك حرص حكام وولاة الموحدين على تقريب علماء الظاهرية وأئمتها منهم مثل المنتصر بالله حاكم بجاية الذى استحسن جهود ابن سيد الناس اليعمرى الظاهرى (ت ٦٥٩هـ/١٢٦٠م) وآثاره للتمكين للمذهب الظاهرى ببجاية فقرب منزله وأجزل عطيته وجائزته، وكان من أخص الحاضرين بمجلسه (٢).

١٣- أن المعاصرين للأحداث من المؤرخين والفقهاء ومن جاء بعدهم أقروا بأن الدولة الموحدية كانت دولة ظاهرية تحتكم للفقه الظاهرى، وقد أسلفنا قول القضاعى المالكى، وقول المراكشى عن ابن حزم وكثرة أتباعه فى عهد الموحدين، وكثرة ذكره على ألسنة العلماء والحكام مما هو غنى عن إعادته.

وللمراكشى شهادة أخرى توضح ظاهرية الدولة الموحدية قال فيها عن المنصور

(١) المراكشى، الذيل والتكملة، السفر الأول، القسم الأول، ص٤٠٨.

(٢) الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٢٩٧،٢٩٨،٣٦٣.

الموحدى "وفى أيامه انقطع علم الفروع، وخافه الفقهاء، وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله والقرآن... وتقدم إلى الناس فى ترك الاشتغال بعلم الرأى والخوض فى شيء منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة ... وكان قصده فى الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده إلا أنهما لم يظهراه وأظهره يعقوب هذا – يعنى المنصور– "(١)، فهذه شهادة مؤرخ معاصر للأحداث يؤكد على أن هدف كل من عبد المؤمن وابنه يوسف وحفيده المنصور هو حمل الناس على المذهب الظاهرى، ويؤكد ذلك شهادة ابن زرقون المالكى التى أسلفنا ذكرها بأن عبد المؤمن بن على كان هدفه من المناظرات بين الظاهرية والمالكية حمل الناس على الظاهر ؛ وشهادة ابن حمويه السرخسى الدمشقى (ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤م) الذى رحل إلى المغرب وأقام بمراكش عند المنصور الموحدى وأخبر بأن الفقهاء كانوا ينسبون المنصور إلى مذهب الظاهر(٢).

وهذا صاحب بيوتات فاس المتوفى فى العصر المرينى يقول "إن ملوك الموحدين تحلوا بالمذهب المعروف لهم، تابعين للمهدى رئيسهم الأول القائل باعتقاده الفاسد بإنكار الرأى فى الفروع الفقهية والعمل على محض الظاهرية ... وجروا على ذلك السنن بطول أيامهم" (٣)، وقد وافقه على ذلك صاحب كتاب الإعلام (٤)، وفى موضع آخر نرى صاحب بيوتات فاس يؤكد على ظاهرية الدولة الموحدية من بدايتها إلى نهايتها فى الحكم والقضاء وخلافه بقوله "ولما ولى يعقوب المرينى المذكور وطلب منه أهل المغرب الرجوع فى القضاء إلى مذهب مالك عن طيب أنفسهم، أمر قضاة المغرب بذلك وترك مذهب الظاهرية "(٥)،

(١) أنظر: المعجب، ص٢٣١،٢٣٢.
(٢) نقلا عن المقرى، نفح الطيب، ١١١/٣.
(٣) ابن الأحمر، بيوتات فاس، ص١٩.
(٤) العباس بن إبراهيم المراكشى، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ٣٩٦/٨.
(٥) أنظر: بيوتات فاس، ص٢٠،٢١. ويعقوب هو ابن عبدالحق المرينى ولد سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م وتولى الحكم بعد وفاة أخيه أبى بكر سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وهو الذى قطع مملكة بنى عبد المؤمن ومحى آثارهم، وهو أول من تسمى بأمير المسلمين من ملوك بنى مرين أنظر: ابن أبى زرع، الذخيرة السنية، ص٨٥.=

وهذا النص واضح وجلى على استمرار ظاهرية الدولة حتى عصر يعقوب المرينى الذى حكم من سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م حتى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م.

وممن أكد على ظاهرية المنصور والدولة الموحدية ابن جزى الغرناطى (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م) حيث قال "المنصور أبويوسف يعقوب، كان عالما محدثا ن ألف كتاب الترغيب فى الصلاة ،وحمل الناس على الظاهرية، وأحرق كتب المالكية" (١)، والحافظ الذهبى (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) الذى قال عن المنصور "ألزم الناس باخذ الفقه من الكتاب والسنن على طريقة أهل الظاهر، فنشا الطلبة على هذا بالمغرب بعد سنة ثمانين وخمسمائة"(٢) والشاطبى المالكى (ت ٧٩٠هـ/١٣٨٨م) الذى قال عن مذهب ابن تومرت "وكان مذهبه البدعة الظاهرية" (٣) وفى موضع آخر ينسب الموحدين للظاهرية المحضة بقوله "فمزقوا كتب المالكية وسموها كتب الرأى، ونكلوا بجملة من الفضلاء بسبب أخذهم فى الشريعة بمذهب مالك، وكانوا مرتكبين للظاهرية المحضة ... وثبتت زمانا طويلا، ثم ذهب منها جملة، وبقيت أخرى منها إلى اليوم "(٤).

وذهب النباهى المالقى الأندلسى إلى ظاهرية المنصور الموحدى ودولته أيضا(٥)، وكذلك وصف ابن فرحون المالكى (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م) دولة بنى عبد المؤمن بالظاهرية(٦)، وقد سبق ذكر كلام البرزالى عن ظاهرية الموحدين، وكذا وصف الونشريسى (٩١٤هـ/١٥٠٨م) ابن تومرت بالظاهرى فقال "ومنها ما أحدثه المهدى الظاهرى محمد بن

=ومن عهد يعقوب المرينى بدأ التقليد يعود ثانية، وانطفأت جذوة التجديد والاجتهاد، وجددت كل فروع المالكية ونسى العلماء الأصول ثانية حتى قال قائلهم وهو أحمد بن عمر المزكلدى بفاس "ما نزل من السماء حكم إلا وهو فى المدونة" أنظر: ابن القاضى المكناسى، جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٣م، ١٢٧/١.

(١) أنظر: القوانين الفقهية، دار القلم، بيروت، ص٢٧٦.

(٢) أنظر: سير أعلام النبلاء، ٣١١/٢٢.

(٣) أنظر: الاعتصام، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض ،٢٥٦/١.

(٤) أنظر: الاعتصام، ١٧١/١.

(٥) أنظر: تاريخ قضاة الأندلس، ص١١٨.

(٦) أنظر: الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ٢٦٠/٢.

obeikandi.com

تومرت "[١]، وذهب ابن العماد الحنبلى إلى ظاهرية الموحدين [٢]، ومثله ابن رأس العسكرى (ت ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م)، والشيخ عليش المالكى (ت ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م)، وابن خضراء السلاوى [٣].

وقد ذهب إلى هذا الرأى – ظاهرية ابن تومرت والموحدين – جماعة من الباحثين المحدثين منهم الأسبانى آنخل جونثالث بالنثيا[٤]، ومحمد المنونى المغربى [٥]، ومحمد عبد الله عنان [٦]، والحجوى الثعالبى الفاسى [٧]، وعبدالحفيظ الفاسى، ومحمد زاهد الكوثرى، وسعيد الأفغانى، وسعيد أعراب، والدكتور إحسان عباس، والدكتور شوقى ضيف، وفؤاد سزكين، وبطرس البستانى، والدكتور عباس الجراوى، وأحمد أمين [٨]، ومراجع عقيلة الغنـاى [٩]، والإمـام محمـد أبـوزهرة [١٠]، وابـن عقيـل الظـاهرى [١١]، والـدكتور زكريـا إبـراهيم[١٢]، والـدكتور فـاروق عبـدالمعطى [١٣]، والـدكتور محمـد إبـراهيم الفيـومى [١٤]، والدكتور حسان محمد حسان [١٥]، والعلامة محمد بن الأمين بوخبزة الحسنى التطوانى

---

(١) أنظر: المعيار المغرب، ٣٦١/٢.

(٢) أنظر: شذرات الذهب، ٩٦/٥.

(٣) أنظر: الرد على من يقبض فى صلاة الفرض، مخطوط ضمن مجموع الخزانة العامة بالرباط، رقم (١٧٢٤د)، ورقة ٦٠،٦١.

(٤) أنظر: تاريخ الفكر الأندلسى، ص٢٣٨.

(٥) أنظر: حضارة الموحدين، ص٣٧.

(٦) أنظر: عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، ص٢٠٣.

(٧) أنظر: الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ، ١٧٢/٢.

(٨) الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٦٨٥،٦٨٦.

(٩) أنظر: قيام دولة الموحدين، ماجستير، آداب عين شمس، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص٢١٤.

(١٠) أنظر: ابن حزم حياته وعصره، ص٥٧٧-٥٨٢.

(١١) أنظر: ابن حزم خلال ألف عام، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ٩،٨٢/٢.

(١٢) أنظر: ابن حزم الأندلسى، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ص٢٠٥.

(١٣) أنظر: ابن حزم الظاهرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص١٦٢.

(١٤) أنظر: تاريخ الفلسفة الإسلامية فى المغرب والأندلس، دار الجيل، بيروت، ط١٤١٧،١هـ/١٩٩٧م، ص٢١٢.

(١٥) أنظر: ابن حزم الأندلسى عصره ومنهجه وفكره التربوى، دار الفكر العربى، القاهرة، (د.ت)، ص٩٨.

obeikandl.com

الظاهري، والدكتور توفيق الغلبزورى ([1]) والباحث النابه فى تراث ابن حزم سمير قدورى ([2])، ([2])، ولا شك أن العرض السابق يوضح خطأ بعض الباحثين فيما ذهب إليه من عدم تأثر الموحدين بالفقه الظاهري الحزمى ([3]).

الخلفاء من أخل الظاهر:

١- محمد بن تومرت الهرغى الظاهرى إمام دولة الموحدين (ت ٥٢٤هـ)

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت البربري المصمودي الهرغي الخارج بالمغرب المدعي أنه علوي حسني وأنه الإمام المعصوم المهدي وأنه محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب.

رحل من السوس الأقصى شابا إلى المشرق فحج وتفقه وحصل أطرافا من العلم وكان أمارا بالمعروف نهاء عن المنكر قوي النفس زعرا شجاعا مهيبا قوالا بالحق عمالا على الملك غاويا في الرياسة والظهور ذا هيبة ووقار وجلالة ومعاملة وتأله انتفع به خلق واهتدوا في الجملة وملكوا المدائن وقهروا الملوك.

أخذ عن إلكيا الهراسي وأبي حامد الغزالي وأبي بكر الطرطوشي وكان لهجا بعلم الكلام خائضا في مزال الأقدام ألف عقيدة لقبها بالمرشدة فيها توحيد وخير بانحراف فحمل عليها أتباعه وسماهم الموحدين ونبز من خالف المرشدة بالتجسيم وأباح دمه .

وكان خشن العيش فقيرا قانعا باليسير مقتصرا على زي الفقر لا لذة له في مأكل ولا منكح ولا مال ولا في شيء غير رياسة الأمر حتى لقي الله تعالى لكنه دخل في الدماء لنيل الرياسة المردية وكان ذا عصا وركوة ودفاس غرامه في إزالة المنكر والصدع بالحق وكان يتبسم إلى من لقيه وله فصاحة في العربية والبربرية وكان يؤذى ويضرب ويصبر أوذي بمكة فراح إلى مصر وبالغ في الإنكار فطردوه وآذوه وكان إذا خاف من البطش به خلط وتباله ثم

---

(١) توفيق الغلبزوى، المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس، ص.ذ،٧.

(٢) أنظر: الردود على ابن حزم بالأندلس والمغرب من خلال مؤلفات ابن حزم، مقال بمجلة الأحمدية، دبى، محرم ١٤٢٤هـ/مارس ٢٠٠٣م، عدد١٣، ص٣١٩.

(٣) عبد الله علام، الدولة الموحدية، ص٣١٢.

سكن الثغر مدة ثم ركب البحر إلى المغرب وقد رأى أنه شرب ماء البحر مرتين وأخذ ينكر في المركب على الناس وألزمهم بالصلاة فآذوه فقدم المهدية وعليها ابن باديس فنزل بمسجد معلق فمتى رأى منكرا أو خمرا كسر وبدد فالتف عليه جماعة واشتغلوا عليه فطلبه ابن باديس فلما رأى حاله وسمع كلامه سأله الدعاء فقال أصلحك الله لرعيتك وسار إلى بجاية فبقي ينكر كعادته فنفي فذهب إلى قرية ملالة فوقع بها بعبد المؤمن الذي تسلطن وكان أمردا عاقلا فقال يا شاب ما اسمك قال عبد المؤمن قال الله أكبر أنت طلبتي فأين مقصدك قال طلب العلم قال قد وجدت العلم والشرف اصحبني ونظر في حليته فوافقت ما عنده مما قيل إنه اطلع على كتاب الجفر فالله أعلم فقال ممن أنت قال من كومية فربط الشاب وشوقه إلى أمور عشقها وأفضى إليه بسره وكان في صحبته الفقيه عبد الله الونشريسي وكان جميلا نحويا فاتفقا على أن يخفي علمه وفصاحته ويتظاهر بالجهل واللكن مدة ثم يجعل إظهار نفسه معجزة ففعل ذلك ثم عمد إلى ستة من أجلاد أتباعه وسار بهم إلى مراكش وهي لابن تاشفين فأخذوا في الإنكار فخوفوا الملك منهم وكانوا بمسجد خراب فأحضرهم الملك فكلموه فيما وقع فيه من سب الملك فقال ما نقل من الوقيعة فيه فقد قلته هل من ورائه أقوال وأنتم تطرونه وهو مغرور بكم فيا قاضي هل بلغك أن الخمر تباع جهارا وتمشي الخنازير في الأسواق وتؤخذ أموال اليتامى فذرفت عينا الملك وأطرق وفهم الدهاة طمع ابن تومرت في الملك فنصح مالك بن وهيب الفيلسوف سلطانه وقال إني خائف عليك من هذا فاسجنه وأصحابه وأنفق عليهم مؤنتهم وإلا انفقت عليهم خزائنك فوافقه فقال الوزير يقبح بالملك أن يبكي من وعظه ثم يسيء إليه في مجلس وأن يظهر خوفك وأنت سلطان من رجل فقير فأخذته نخوة وصرفه وسأله الدعاء وسار ابن تومرت إلى أغمات فنزلوا على الفقيه عبدالحق المصمودي فأكرمهم فاستشاروه فقال هنا لا يحميكم هذا الموضع فعليكم بتينمل فهي يوم عنا وهو أحصن الأماكن فأقيموا به برهة كي ينسى ذكركم فتجدد لابن تومرت بهذا الاسم ذكر لما عنده فلما رآهم أهل الجبل على تلك الصورة علموا أنهم طلبة علم فأنزلوهم وأقبلوا عليهم ثم تسامع به أهل الجبل فتسارعوا إليهم فكان ابن تومرت من رأى فيه جلادة عرض عليه ما في نفسه فإن أسرع إليه أضافه إلى خواصه وإن سكت أعرض عنه وكان

كهولهم ينهون شبانهم ويحذرونهم وطالت المدة ثم كثر أتباعه من جبال درن وهو جبل الثلج وطريقه وعر ضيق.

قال اليسع وكان في وصيته إلى قومه إذا ظفروا بمرابط أو تلمساني أن يحرقوه فلما كان عام تسعة عشر وخمس مئة خرج يوما فقال تعلمون أن البشير يريد الونشريسي رجل أمي ولا يثبت على دابة فقد جعله الله مبشرا لكم مطلعا على أسراركم وهو آية لكم قد حفظ القرآن وتعلم الركوب وقال اقرأ فقرأ الختمة في أربعة أيام وركب حصانا وساقه فبهتوا وعدوها آية لغباوتهم فقام خطيبا وتلا (ليميز الله الخبيث من الطيب) [الأنفال ٣٧] وتلا (منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) [آل عمران ١١٠] فهذا البشير مطلع على الأنفس ملهم ونبيكم صلى الله عليه وسلم يقول إن في هذه الأمة محدثين وإن عمر منهم وقد صحبنا أقوام أطلعه الله على سرهم ولا بد من النظر في أمرهم وتيمم العدل فيهم ثم نودي في جبال المصامدة من كان مطيعا للإمام فليأت فأقبلوا يهرعون فكانوا يعرضون على البشير فيخرج قوما على يمينه ويعدهم من أهل الجنة وقوما على يساره فيقول هؤلاء شاكون في الأمر وكان يؤتى بالرجل منهم فيقول هذا تائب ردوه على اليمين تاب البارحة فيعترف بما قال واتفقت له فيهم عجائب حتى كان يطلق أهل اليسار وهم يعلمون أن مآلهم إلى القتل فلا يفر منهم أحد وإذا تجمع منهم عدة قتلهم قراباتهم حتى يقتل الأخ أخاه.

قال فالذي صح عندي أنهم قتل منهم سبعون ألفا على هذه الصفة ويسمونه التمييز فلما كمل التمييز وجه جموعه مع البشير نحو أغمات فالتقاهم المرابطون فهزمهم المرابطون وثبت خلق من المصامدة فقتلوا وجرح عمر الهنتاني عدة جراحات فحمل على أعناقهم مثخنا فقال لهم البشير إنه لا يموت حتى تفتح البلاد ثم بعد مدة فتح عينيه وسلم فلما أتوا عزاهم ابن تومرت وقال يوم بيوم وكذلك حرب الرسل، وقال عبد الواحد المراكشي: ولما كانت سنة 515 قام بسوس محمد بن عبد الله بن تومرت في صورة آمر بالمعروف ناه عن المنكر .ومحمد هذا رجل من أهل سوس مولده بها بضيعة منها تعرف بإيجلي أن وارغن - وهو من قبيلة تسمى هرغة – من قوم يعرفون بأيسرغينن وهم الشرفاء بلسان المصامدة ولمحمد بن تومرت نسبة متصلة بالحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وجدت بخطه وكان قد

رحل إلى المشرق في شهور سنة ٥٠١ في طلب العلم وانتهى إلى بغداد ولقي أبا بكر الشاشي فأخذ عليه شيئاً من أصول الفقه وأصول الدين وسمع الحديث على المبارك بن عبد الجبار ونظرائه من المحدثين وقيل إنه لقي أبا حامد الغزالي بالشام أيام تزهده فالله أعلم.

وحكي أنه ذكر للغزالي ما فعل أمير المسلمين بكتبه التي وصلت إلى المغرب من إحراقها وإفسادها وابن تومرت حاضر ذلك المجلس فقال: الغزالي حين بلغه ذلك ليذهبن عن قليل مكه وليقتلن ولده وما أحسب المتولي لذلك إلا حاضراً مجلسنا وكان ابن تومرت يحدث نفسه بالقيام عليهم فقوى طمعه..... ثم قال سمع ابن تومرت ببغداد من المبارك بن الطيوري وأخذ الأصول عن الشاشي ونفاه من الإسكندرية أميرها فبلغني أنه استمر ينكر في المركب فألقوه فأقام نصف يوم يعوم فأنزلوا من أطلعه واحترموه فنزل ببجاية فدرس ووعظ وأقبلوا عليه فخاف صاحبها وأخرجه وكان بارعا في خط الرمل وقيل وقع بالجفر وصادف عبد المؤمن ثم لقيهما عبد الواحد الشرقي فساروا إلى أقصى المغرب وقيل لقي عبد المؤمن يؤدب بأرض متيجة ورأى عبد المؤمن أنه يأكل مع الملك علي بن تاشفين وأنه زاد على أكله ثم اختطف منه الصحفة فقال له العابر لا ينبغي أن تكون هذه الرؤيا لك بل لمن يثور على أمير المسلمين إلى أن يغلب على بلاده وكان ابن تومرت طويل الصمت دائم الانقباض له هيبة في النفوس قيل له مرة فلان مسجون فأتى الحبس فابتدر السجانون يتمسحون به فنادى فلان فأجابه فقال اخرج فخرج والسجانون باهتون فذهب به وكان لا يتعذر عليه أمر وانفصل عن تلمسان وقد استحوذ على قلوب كبرائها فأتى فاس وأخذ في الأمر بالمعروف قال وكان جل ما يدعو إليه الاعتقاد على رأي الأشعري وكان أهل الغرب ينافرون هذه العلوم فجمع متولي فاس الفقهاء وناظروه فظهر ووجد جوا خاليا وقوما لا يدرون الكلام فأشاروا على الأمير بإخراجه فسار إلى مراكش فبعثوا بخبره إلى ابن تاشفين فجمع له الفقهاء فناظره ابن وهيب الفيلسوف فاستشعر ذكاءه وقوة نفسه فأشار على ابن تاشفين بقتله وقال إن وقع إلى المصامدة قوي شره فخاف الله فيه فقال فاحبسه قال كيف أحبس مسلما لم يتعين لنا عليه حق بل يسافر فذهب ونزل بتينملل ومنه ظهر وبه دفن فبث في المصامدة العلم ودعاهم إلى الأمر بالمعروف واستمالهم وأخذ يشوق إلى المهدي ويروي أحاديث فيه فلما توثق منهم قال

أنا هو وأنا محمد بن عبد الله وساق نسبا له إلى علي فبايعوه وألف لهم كتاب أعز ما يطلب ووافق المعتزلة في شيء والأشعرية في شيء وكان فيه تشيع (١)ورتب أصحابه فمنهم العشرة فهم أول من لباه ثم الخمسين وكان يسميهم المؤمنين ويقول ما في الأرض من يؤمن إيمانكم وانتم العصابة الذين عنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لا يزال أهل الغرب ظاهرين وأنتم تفتحون الروم وتقتلون الدجال ومنكم الذي يؤم بعيسى وحدثهم بجزئيات اتفق وقوع أكثرها فعظمت فتنة القوم به حتى قتلوا أبناءهم وإخوتهم لقسوتهم وغلظ طباعهم وإقدامهم على الدماء فبعث جيشا وقال اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الدين فادعوهم إلى إماتة المنكر وإزالة البدع والإقرار بالمهدي المعصوم فإن أجابوا فهم إخوانكم وإلا فالسنة قد أباحت لكم قتالهم فسار بهم عبد المؤمن يقصد مراكش فالتقاه الزبير بن أمير المسلمين فكلموهم بالدعوة فردوا أقبح رد ثم انهزمت المصامدة وقتل منهم ملحمة فلما بلغ الخبر ابن تومرت قال أنجى عبد المؤمن قيل نعم قال لم يفقد أحد وهون عليهم وقال قتلاكم شهداء (٢).

وقال المراكشي: أخبرني من رآه – ممن أثق إليه – يضرب الناس على الخمر بالأكمام والنعال وعسب النخل متشبها في ذلك بالصحابة.

ولقد أخبرني بعض من شهده وقد أتى برجل سكران فأمر بحدة فقال: رجل من وجوه أصحابه يسمى يوسف بن سليمان لو شددنا عليه حتى يخبرنا من أين شربها لنحسم هذه العلة من أصلها! فأعرض عنه ثم أعاد عليه الحديث فأعرض عنه فلما كان في الثالثة قال: له أرأيت لو قال: لنا شربتها في دار يوسف بن سليمان ما نحن صانعون؟ فاستحيا الرجل وسكت ثم كشف على الأمر فإذا عبيد ذلك الرجل سقوه فكان هذا من جملة ما زادهم به فتنة وتعظيماً إلى أشياء كان يخبر بها فتقع كما يخبر .ولم يزل كذلك وأحواله صالحة وأصحابه ظاهرون وأحوال المرابطين المذكورين تختل وانتقاض دولتهم يتزيد إلى أن توفي ابن تومرت المذكور في شهور سنة ٥٢٤ بعد أن أسس الأمور وأحكم التدبير ورسم لهم ما هم فاعلوه (٣).

(١) ناقشنا ذلك بالتفصيل فى كتابنا الظاهرية والمالكية، دار الآفاق العربية، فلتراجع هناك .

(٢) أنظر: المعجب، ص١٥٥-١٦١.

(٣) نفسه، ص ١٦٦.

قلت: وكان "محمد بن تومرت" حين يعلم أن أتباعه ينظرون إلى الغنائم التي حصّلوها من دولة المرابطين في حربهم معهم كان يأخذها كلها فيحرقها.. وكان يعذّر بالضرب من يفوته قيام الليل من جماعته. فنشأت جماعة من الطائعين الزاهدين العابدين، لكن على غير نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لم يكن يحرق الغنائم أو يضرب المتباطئين أو المتثاقلين عن قيام الليل، أو يتبع مثل هذا المنهج وتلك الرهبنة المتشددة، فكره كثير من الناس مثل هذا الأسلوب، لكنهم مع ذلك اتبعوه!!...

وقال الأمير عزيز في أخبار القيروان سمى ابن تومرت أصحابه بالموحدين ومن خالفه بالمجسمين واشتهر سنة خمس عشرة وبايعته هرغة على أنه المهدي فقصده الملثمون فكسروا الملثمين وحازوا الغنائم ووثقت نفوسهم وأتتهم أمداد القبائل ووحدت هنتاتة وهي من أقوى القبائل ثم قال عزيز لهم تودد وأدب وبشاشة ويلبسون الثياب القصيرة الرخيصة ولا يخلون يوما من طراد ومثاقفة ونضال وكان في القبائل مفسدون فطلب ابن تومرت مشايخ القبائل ووعظهم وقال لا يصلح دينكم إلا بالنهي عن المنكر فابحثوا عن كل مفسد فانهوه فإن لم ينته فاكتبوا إلي أسماءهم ففعلوا ثم هدد ثانيا فأخذ ما تكرر من الأسماء فأفردها ثم جمع القبائل وحضهم على أن لا يغيب منهم أحد ودفع تلك الأسماء إلى البشير فتأملها ثم عرضهم رجلا رجلا فمن وجد اسمه رده إلى الشمال ومن لم يجده بعثه على اليمين ثم أمر بتكتيف أهل الشمال وقال لقراباتهم هؤلاء أشقياء من أهل النار فلتقتل كل قبيلة أشقياءها فقتلوهم فكانت واقعة عجيبة وقال بهذا الفعل صح دينكم وقوي أمركم.

وأهل العشرة هم عبد المؤمن والهزرجي وعمر بن يحيى الهنتاتي وعبدالله البشير وعبدالواحد الزواوي طير الجنة وعبدالله بن أبي بكر وعمر بن أرناق وواسنار أبو محمد وإبراهيم بن جامع وآخر وفي أول سنة أربع وعشرين جهز عشرين ألف مقاتل عليهم البشير وعبدالمؤمن بعد أمور يطول شرحها فالتقى الجمعان واستحر القتل بالموحدين وقتل البشير ودام الحرب إلى الليل فصلى بهم عبد المؤمن صلاة الخوف ثم تحيز بمن بقي إلى بستان يعرف بالبحيرة فراح منهم تحت السيف ثلاثة عشر ألفا وكان ابن تومرت مريضا فأوصى باتباع عبد المؤمن وعقد له ولقبه أمير المؤمنين وقال هو الذي يفتح البلاد فاعضدوه بأنفسكم وأموالكم ثم مات في آخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة.

قال اليسع بن حزم سمى ابن تومرت المرابطين بالمجسمين فكفرهم لجهلهم العرض والجوهر وأن من لم يعرف ذلك لم يعرف المخلوق من الخالق وبأن من لم يهاجر إليه ويقاتل معه فإنه حلال الدم والحريم وذكر أن غضبه لله وقيامه حسبة.

قال ابن خلكان قبره بالجبل معظم مات كهلا وكان أسمر ربعة عظيم الهامة حديد النظر مهيبا وآثاره تغني عن أخباره قدم في الثرى وهامة في الثريا ونفس ترى إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء المحيا أغفل المرابطون ربطه وحله حتى دب دبيب الفلق في الغسق وكان قوته من غزل أخته رغيفا بزيت أو قليل سمن لم ينتقل عن ذلك حين كثرت عليه الدنيا رأى أصحابه يوما وقد مالت نفوسهم إلى كثرة ما غنموه فأمر بإحراق جميعه وقال من أراد الدنيا فهذا له عندي ومن كان يبغي الآخرة فجزاؤه عند الله وكان يتمثل كثيرا

تجرد من الدنيا فإنك إنما خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد

ولم يفتتح شيئا من المدائن وإنما قرر القواعد ومهد وبغته الموت وافتتح بعده البلاد عبد المؤمن.

ويقال أن ابن تومرت أخفى رجالا في قبور دوارس وجاء في جماعة ليريهم آية يعني فصاح أيها الموتى أجيبوا فأجابوه أنت المهدي المعصوم وأنت وأنت ثم إنه خاف من انتشار الحيلة فخسف فوقهم القبور فماتوا.

قال الذهبى وبكل حال فالرجل من فحول العالم رام أمرا فتم له وربط البربر بادعاء العصمة وأقدم على الدماء إقدام الخوارج ووجد ما قدم.

قال الحافظ منصور بن العمادية في تاريخ الثغر أملى علي نسبه فلان وفي ذلك نظر من حيث إن محمد بن الحسن لم يعقب ولابن تومرت شعرا منه:

دعني ففي النفس أشياء مخبأة لألبسن بها درعا وجلبابا

والله لو ظفرت نفسي ببغيتها ما كنت عن ضرب أعناق الورى آبى

حتى أطهر ثوب الدين عن دنس وأوجب الحق للسادات إيجابا (١).

قلت: وقد طرحت بعضا من أقوال المؤرخين حول ابن تومرت، وجلهم اتفق على أنه

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٩/ ٥٣٩- ٥٥٢ .

لم يقع منه إلا بدعة القول بالعصمة وادعاء المهدوية.بجانب بعض التأثيرات الاعتزالية والأشعرية .كما اتفقوا على أنه كان واحدا من أكابر العلماء. ولكن وقع منه إسراف فى القتل للمرابطين ولمن يشك فى عصمته ومهدويته، والله نسأله العفو والعافية. وايا ما كن من أمره فهو أول مؤسس للدولة الموحدية، واول من شرع فى الدعوة للعودة إلى النصوص، ونفى القياس والتقليد والظنون فى شرع الله.

هذا وقد تعلم ابن تومرت المذهب الظاهرى فى قرطبة على يد تلاميذ ابن حزم وقرأ كتب ابن حزم على يد الطرطوشى أحد المهتمين بكتب ابن حزم وصاحب أبناؤه رغم كونه مالكيا ومن ثم النزعة الظاهرية عند ابن حزم واضحة جدا لا تخفى على أحد ممن اطلع على فكره.

ومن الأمور التى روجت ضد المهدى وكان من جملة من روجها واحد من أساتذتى المتخصصين فى المغربيات إذ قال عنه أن قوام مذهبه العقيدة الشيعية وهذا باطل ومن طالع كتاب ابن تومرت أعز ما يطلب علم أن الرجل ليس له من التأثير الشيعى إلا قول العصمة وقوام نظرية الشيعة فى الإمامة هدمها ابن تومرت لما اعترف بخلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن بن على وقال مدة الخلافة بعد النبى ثلاثين عاما فهذا ضرب لصميم العقيدة الشيعية.

ظاهرية ابن تومرت (١): مزج ابن تومرت دعوته بالمذهب الظاهرى فى الجانب الفقهى ليحارب به المرابطين كما حارب به ابن حزم المالكية (٢) حيث ذهب ابن تومرت

(١) أكد الشاطبى ظاهريته وصاحب بيوتات فاس ومؤرخو العصر المرينى اللاحق لعصر الموحدين، والونشريسى فى معياره.

(٢) حسين مؤنس، عقد بيعة بولاية العهد لأبى عبد الله المعروف بالخليفة الناصر الموحدى، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، ديسمبر ١٩٥٠م، مجلد١٢، ج٢ص١٤٨،المنونى، حضارة الموحدين، ص٣٧، أحمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص١٠٩، ديلاسى أوليرى، الفكر العربى ومكانته فى التاريخ، ترجمة تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م، ص١٧٤،١٧٢، سعد زغلول عبدالحميد، محمد بن تومرت وحركة التجديد فى المغرب والأندلس، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٣م، ص٢١، محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامى، ج٣ طور الانهيار، القسم الأول، ص١٧٥،=

إلى قرطبة وهناك تشبع بتعاليم ابن حزم (١) ومنها أن الشريعة لا تثبت بالعقل وأن أصولها تنحصر فى القرآن والسنة، ولم يعتبر القياس والإجماع الذى لا نص يؤيده من تلك الأصول بل عمد إلى حجج القائلين بالقياس وأبطلها، واهتم بدراسة الأصول دون الفروع وأبطل الاعتماد على الشك والظن والتقليد ودعا إلى التأصيل الشرعى للأحكام من نصوص القرآن والسنة، كما دعا إلى الجهاد ضد القوى التى عملت على نشر المنكر، وقاوم المنكرات بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر(٢).

بل إن المطلع على كتاب المهدى محمد بن تومرت سرعان ما يتضح له أثر الفكر الظاهرى عليه، إذ أنه عبارة عن دعوة للعودة إلى الكتاب والسنة، حيث بوب كتابه وأفتى فى كل مسألة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية (٣)، بل إن ابن تومرت خطا خطوة أكدت ظاهريته حينما أمر بقطع كتب الفروع الفقهية وحرقها على قول شارح كتاب أعز ما يطلب(٤) وهو ما أكده ابن الخطيب حينما قال إن ابن تومرت كان ينكر كتب الرأى والتقليد (٥) وكذا أثبت الونشريسى ظاهريته (٦)، بل إن صاحب بيوتات فاس كان أكثر جرأة وصراحة حينما صرح بظاهرية دولة الموحدين من أول ظهورها حتى انتهائها حينما قال "إن ملوك الموحدين تحلوا بالمذهب المعروف لهم، تابعين للمهدى رئيسهم الأول القائل .. بإنكار الرأى فى الفروع الفقهية والعمل شرعا على محض الظاهرية ... وجروا على ذلك

=عادل يحيى عبدالمنعم، العلم والتعليم فى المغرب العربى من الفتح إلى نهاية دولة الموحدين، رسالة ماجستير، بنات عين شمس، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٧٥.

(١) ابن القطان، نظم الجمان، ص٤؛ عبد الله العروى، تاريخ المغرب، ترجمة ذوقان فرقوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص١٧٦؛ الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٦٢٣.

(٢) محمد بن تومرت، أعز ما يطلب، ص١-٥ ،١١-١٨ ،١٦٣-١٦٥ ،٢٥٨-٢٦٦؛ وانظر: الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٦٣٦-٦٦٠.

(٣) ابن تومرت، مصدر سابق، ص٣١٣-٣٧٦.

(٤) عبدالمجيد النجار، المهدى بن تومرت، ص٣٦٢.

(٥) أنظر: شرح رقم الحلل، تحقيق عدنان درويش، منشورات وزارة الثقافة، دمش، ١٩٩٠م، ص٥٧.

(٦) أنظر: المعيار المغرب، ٣٦١/٢.

السنن بطول أيامهم إلى أن انقرضوا، أولهم فى ذلك مهديهم أول ملوكهم ..."(١) وهذا القول أكده صاحب كتاب الإعلام (٢)، وباستقراء تاريخ الدولة الموحدية نجد أن كل من عبد المؤمن بن على(٣) والمنصور بن يوسف بن عبد المؤمن (٤) والناصر بن المنصور (٥) قد تابعوا ابن تومرت فى تقطيع كتب الفروع وإحراقها وتنفير الناس منها وحمل الناس على محض الظاهرية.

مصنفاته:

١- المرشدة وهى رسالة صغيرة عرض فيها لمسائل العقيدة بإيجاز. مطبوعة.

٢- العقيدة وهى رسالة فى مسائل العقيدة واشار إليها المراكشى باسم "عقائد فى اصول الدين "، وقد وردت فى مجموع أعز ما يطلب .

٣- رسالة فى توحيد البارى. وردت ضمن كتاب أعز ما يطلب. كتاب فى التوحيد باللسان البربى فى سبعة أحزاب على قول ابن القطان.

١ - كتاب القواعد. ورد فى مجموع أعز ما يطلب .

٢ - رسالة فى العبادة وردت ضمن مجموع أعز ما يطلب.

---

(١) اسماعيل بن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م، ص١٩؛ وانظر: المنونى، حضارة الموحدين، ص٣٧،٣٨.

(٢) العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٧٤م-١٩٧٧م، ٣٩٦/٨.

(٣) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ٢٥٥، الناصرى، الاستقصا ،١٢٥/٢، ابن العماد، شذرات الذهب، دار الفكر، ٣٢٢/٤.

(٤) المراكشى، المعجب، ٢٣١؛ وانظر: النويرى، نهاية الأرب، ٣٣٨/٢٤،٣٣٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١١/٧، المقرى، نفح الطيب، ١١٤/٣.

(٥) قال صاحب بيوتات فاس عن الناصر بن المنصور "كان كأبيه لا يحكم إلا بمحض الظاهرية، وأن الفقهاء من المالكية أنكروا عليه ذلك وقالوا: الحق هو مذهب المدونة فأمر بجمع ما وجد من النسخ منها بالمغرب وإحراقها فأحرقت عن آخرها "أنظر: إسماعيل بن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، ص١٩؛ الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٤٥٨.

obeikandl.com

٣ - رسالة فى الدليل على أن الشريعة لا تثبت بالعقل. وردت ضمن مجموع أعز ما يطلب.
٤ - رسالة فى العلم. وردت ضمن مجموع أعز ما يطلب.
٥ - رسالة فى المحدث. وردت ضمن مجموع أعز ما يطلب.
٦ - كتاب الإمامة. ورد ضمن مجموع أعز ما يطلب.
٧ - رسالة فى الصلاة – كتاب الطهارة – كتاب الغلول – كتاب تحريم الخمر – كتاب الجهاد – رسالة فى أصول الفقه. وكل ذلك ورد ضمن مجموع أعز ما يطلب.
٨ - محاذى الموطأ وهو كتاب اختصر فيه موطأ مالك، نشر بالجزائر سنة ١٩٠٧م.
٩ - مختصر صحيح مسلم، وهو محذوف الأسانيد.
١٠ -رسالة فى بيان طوائف المبطلين من الملثمين والمجسمين. وردت ضمن مجموع أعز ما يطلب.

وفاتة: قال المراكشي: قبل موته – أى ابن تومرت– بأيام يسيرة استدعى هؤلاء المسمين بالجماعة وأهل خمسين....فلما حضروا بين يديه قام وكان متكئاً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على محمد نبيه صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يترضى عن الخلفاء الراشدين – رضوان الله عليهم – ويذكر ما كانوا عليه من الثبات في دينهم والعزيمة في أمرهم وأن أحدهم كان لا تأخذه في الله لومة لائم وذكر من حد عمر رضي الله عنه ابنه في الخمر وتصميمه على الحق في أشباه لهذه الفصول ثم قال: فانقرضت هذه العصابة – نضر الله وجوهها وشكر لها سعيها وجزاها خيراً عن أمة نبيها – وخبطت الناس فتنة تركت الحليم حيران والعالم متجاهلاً مداهناً فلم ينتفع العلماء بعلمهم بل قصدوا به الملوك واجتلبوا به الدنيا وأمالوا وجوه الناس إليهم في أشباه لهذا القول إلى هاجراً: ثم إن الله – سبحانه وله الحمد – من عليكم أيتها الطائفة بتأييده وخصكم من بين أهل هذا العصر بحقيقة توحيده وقيض لكم من ألفاكم ضلالاً لا تهتدون وعمياً لا تبصرون لا تعرفون معروفاً ولا تنكرون منكراً قد فشت فيكم البدع واستهوتكم الأباطيل وزين لكم الشيطان أضاليل وترهات أنزه لساني عن النصق

بها وأربأ بلفظي عن ذكرها فهداكم الله به بعد الضلالة وبصركم بعد العمى وجمعكم بعد الفرقة وأعزكم بعد الذلة ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين وسيورثكم أرضهم وديارهم ذلك بما كسبته أيديهم وأضمرته قلوبهم وما ربك بظلام للعبيد فجددوا لله – سبحانه خالص نياتكم وأروه من الشكر قولاً وفعلاً ما يزكي به سعيكم ويتقبل أعمالكم وينشر أمركم واحذروا الفرقة واختلاف الكلمة وشتات الآراء وكونوا يداً واحدة على عدوكم فإنكم إن فعلتم ذلك هابكم الناس وأسرعوا إلى طاعتكم وكثر أتباعكم وأظهر الله الحق على أيديكم وإلا تفعلوا شملكم الذل وعمكم الصغار واحتقرتكم العامة فخطفتكم الخاصة وعليكم في جميع أموركم بمزج الرأفة بالغلظة واللين بالعنف واعلموا مع هذا أنه لا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا على الذي صلح عليه أمر أولها وقد اخترنا لكم رجلاً منكم وجعلناه أميراً عليكم هذا بعد أن بلوناه في جميع أحواله من ليله ونهاره ومدخله ومخرجه واختبرنا سريرته وعلانيته فرأيناه في ذلك كله ثبتاً في دينه متبصراً في أمره وإني لأرجو ألا يخلف الظن فيه وهذا المشار إليه هو عبد المؤمن فاسمعوا له وأطيعوا ما دام سامعاً مطيعاً لربه فإن بدل أو نكص على عقبه أو ارتاب في أمره ففي الموحدين أعزهم الله بركة وخير كثير والأمر أمر الله يقلده من شاء من عباده . فبايع القوم عبد المؤمن ودعا لهم ابن تومرت ومسح وجوههم وصدورهم واحداً واحداً فهذا سبب إمرة عبد المؤمن – رحمه الله – ثم توفي ابن تومرت بعد عهده بيسير واجتمع أمر المصامدة على عبد المؤمن.([1]) وكانت واته يوم الاربعاء ١٣ رمضان سنة ٥٢٤هـ، وقيل إن المهدى لما مات لم يعلم بخبر وفاته إلا عبد المؤمن وأصحابه العشرة وهم يدبرون أمر الدولة بسياسة ظاهرة من عبد المؤمن ثلاث سنوات ([2])

٢–عبد المؤمن بن علي الكومي الظاهرى (٤٨٧ – ٥٥٨هـ، ١٠٩٤ – ١١٦٣م)

هو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان، أبو محمد الكومي نسبته إلى كومية، من قبائل الأمازيغ، ولد بمدينة ندرومة . قرب تلمسان سنة ٤٨٧هـ فى أيام يوسف بن تاشفين. وفيها نشأ وتعلم. وكان والده صانع خزف أو فخار.

(١) أنظر: المعجب، ص١٦٧،١٦٨.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٣٦.

نسبه وقبيلته: نسبته إلى كومية من قبائل البربر، ومن أرباب التاريخ من نسبه لقيس عيلان (١)

وفي وصف "عبد المؤمن بن عليّ" قال عبد الواحد المراكشي: وكان أبيض ذا جسم عمم تعلوه حمرة شديد سواد الشعر معتدل القامة وضيء الوجه جهوري الصوت فصيح الألفاظ جزل المنطق وكان محبباً إلى النفوس لا يراه أحد إلا أحبه وبلغني أن ابن تومرت كان ينشد كلما رآه:

تكاملت فيك أخلاق خصصت بها فكلنا بك مسرور ومغتبط

فالسن ضاحكة والكف مانحة والصدر منشرح والوجه منبسط (٢)

ورث عبد المؤمن عن ابن تومرت حركة ثائرة فحولها إلى دولة مستقرة، ومد سلطانها حتى شلمت المغرب كله وما بقي من الأندلس ووضع لها القواعد والنظم الإدارية التي تمكن من تسيير أمور الدولة وإدارة شئونها. ويحفظ التاريخ رسالة طويلة بعث بها عبد المؤمن إلى أهل الأندلس، تعد دستورًا لنظم الحكم الموحدية.

ونظم عبد المؤمن أمور دولته وجعل لها مؤسسات، فللعدل والنظر في الشكايات وزير، ولأعمال الحرب والجهاد وزير يسمى "صاحب السيف"، وللثغور وزير، وللشرطة رئيس يسمى "الحاكم"، وجعل للكتابة والمراسلات وزيرًا من أهل الرأي والبلاغة، وكان لعبد المؤمن مجلس خاص للنظر والمشاورة يحضره الفقهاء ونواب القبائل وكبار رجال الدولة.

عني عبد المؤمن بن علي بالجيش حتى صار من أعظم الجيوش في وقته، وكان هو نفسه قائدًا عظيمًا وجنديًا ممتازًا، يشاطر جنوده مشقة الطريق وتقشف الحياة العسكرية، واجتمع له من الجيوش الجرارة ما لم يجتمع لملوك المغرب مثله، حيث حقق به انتصارات رائعة.

يُعدّ عبد المؤمن بن علي الرجل الثاني بعد ابن تومرت المؤسس الحقيقي والفعلي لجماعة الموحدين.

كان ملكًا عادلًا، سائسًا، عظيم الهيبة، عالي الهمة، متين الديانة، كثير المحاسن،

(١) ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص١٠٧.

(٢) المراكشي، المعجب، ص١٦٩.

قليل المِثل، وكان يقرأ كل يوم سُبُعًا من القرآن العظيم، ويجتنب لبس الحرير - وهذا يعني أن لبس الحرير كان عادة وإلفًا في زمانه – وكان يصوم الاثنين والخميس، ويهتم بالجهاد والنظر في الْمُلْك كأنما خُلق له. ثم بعد هذه الأوصاف نجد هذه العبارة التي تحمل كثيرًا من علامات الاستفهام حيث يقول :وكان سفّاكا لدماء من خالفه!!.

قال عنه "الزركلي" في "الأعلام :"وكان عاقلًا حازمًا شجاعًا موفقًا، كثير البذل للأموال، شديد العقاب على الجرم الصغير عظيم الاهتمام بشؤون الدين، محبًا للغزو والفتوح، خضع له المغربان (الاقصى والاوسط) واستولى على إشبيلية وقرطبة وغرناطة والجزائر المهدية وطرابلس الغرب وسائر بلاد أفريقية، وأنشأ الاساطيل، وضرب الخراج على قبائل المغرب، وهو أول من فعل ذلك هنالك...

ومثل هذه الأوصاف ذكرها ابن كثير أيضًا في البداية والنهاية، وأضاف أنه كان يعيبه كثرة سفك الدماء لمن عارضه من أتباعه أو من غير أتباعه. وهذه بالطبع– وكما ذكرنا – هي تعاليم محمد بن تومرت.

وعلى ما يبدو فقد كانت فكرتا العصمة والمهدية اللتين ادّعاهما محمد بن تومرت واقتنع بهما أتباعه من بعده لم يكن عبد المؤمن بن عليّ مقتنعا بهما ؛ لأنه أبدًا ما ادّعى أيا منهما،كما أنه لم يدّع فكر الخوارج الذي كان قد اعتقد به أو ببعضه "محمد بن تومرت."، وعلى الجانب الآخر فإن "عبد المؤمن بن عليّ" لم ينف مثل هذه الأفكار الضالة صراحة؛ وذلك لأن غالب شيوخ الموحّدين كانوا على هذا الفكر وذلك الاعتقاد، فخاف إن هو أعلن أن أفكار "محمد بن تومرت" هذه مخالفة للشرع أن ينفرط العقد ويحدث التفكك في هذه الفترة الحرجة من دولة الموحدين....

مشاهد من حياة عبد المؤمن بن علي: قال المراكشي: حدثني غير واحد أن عبد المؤمن لما نزل "سلا" – مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمور إلا مدينة صغيرة يقال لها: غَرنيطُوف – وهي على البحر المحيط ينصب إليها نهر عظيم، ويمر في البحر – عبر النهر، وضربت له خيمة، وجعلت جيوشه تعبر قبيلة قبيلة، فخر ساجدًا، ثم رفع وقد بل الدمع لحيته، فقال: أعرف ثلاثة وردوا هذه المدينة، لا شئ لهم إلا رغيف واحد، فراموا عبور هذا

النهر، فبذلوا الرغيف لصاحب القارب على أن يعدي بهم، فقال: لا آخذه إلا عن اثنين، فقال أحدهم وكان شابًا: تأخذ ثيابي وأنا أسبح، ففعل، فكان الشاب كلما أعيا، دنا من القارب، ووضع يده عليه يستريح، فيضربه بالمجذاف، فما عدى إلا بعد جهد. فما شك السامعون أنه هو السابح، والآخران ابن تومرت، وعبد الواحد الشرقي.

وقال المراكشي: فأخبرني بعض أشياخ الموحدين من ذوي التحصيل منهم والثقة أن عبد المؤمن مر في طريقه راجعاً من إفريقية ببجاية فدخل البلد متنزهاً فيه فمر بسويقة بناحية باب من أبوابها يدعى باب تاطنت فوقف ووقفت معه وجوه دولته فسأل عن بياع بها سماه باسمه فأخبره أهل السويقة بوفاته فقال: هل خلف عقباً؟ قالوا نعم فأمر بشراء جميع الدكاكين التي بتلك السويقة وأوقفها عليهم وأمر لهم بمال كثير ثم التفت إلى بعض خواصه وقال: له أتيت إلى هذا البياع ولي وللإمام – يعني ابن تومرت – ولجماعة من أصحابنا من الطلبة أيام لم نطعم فيها وما معي إلا سكين الدواة فأخذت منه خبزاً وإداماً ثم وضعت عنده السكين رهناً على ذلك فأبى قبولها وقال: لي إني توسمت فيك الخير فمتى أعوزك شيء فهلم الدكان فهو بين يديك وبحكمك! فحقه علي أكثر من هذا. (١)

أولاده: وكان له من الولد ستة عشر ذكراً وهم محمد وهو أكبر ولده وولي عهده وهو الذي خُلع وعلي وعمر ويوسف وعثمان وسليمان ويحيى وإسماعيل والحسن والحسين وعبد الله وعبد الرحمن وعيسى وموسى وإبراهيم ويعقوب...

مشروع عبد المؤمن النهضوي بالمغرب:

أولًا: أطلق حرية العلوم والمعارف وأنشأ الكثير من المدارس والمساجد، وكان هذا على خلاف نهج "محمد بن تومرت" صاحب الفكر الأوحد، فأصبح الناس يتعلمون أكثر من طريقة ومنهج وأكثر من فكر وفقه، وأصبحوا لا يرتبطون بقطب واحد كما كان العهد أيام "محمد بن تومرت"، لكن هذا لم يكن ليغضّ الطرف عن كون عبد المؤمن بن عليّ ذو فرديّة في نظام الحكم والإدارة، أي أنه كان – بلغة العصر – حاكما ديكتاتوريا، فردي الرأي لا يأخذ بالشورى.

(١) أنظر: المعجب، ص١٩٤.

ثانيًا: عمل "عبد المؤمن بن عليّ" على إقران الخدمة العسكريّة بالعلوم التثقيفية، وأنشأ مدارس كثيرة لتعليم وتخريج رجال السياسة والحكم، وكان يمتحن الطلاب بنفسه، فأنشأ جيلا فريدا من قوّاد الحروب والسياسيين البارعين في دولة الموحدين، وكان يدربهم على كل فنون الحرب، حتى إنه أنشأ بحيرة صناعية كبيرة في بلاد المغرب لتعليم الناس كيف يتقاتلون في الماء، وكيف تكون الحروب البحرية، وكان أيضا يختبر المقاتلين الموحدين بنفسه.

ثالثًا: أقام مصانع ومخازن ضخمة وكثيرة للأسلحة، و أصبحت دولة الموحدين من أقوى الدول الموجودة في المنطقة من الناحية العسكرية.

رابعا: سعى لإضعاف سيطرة مذهب مالك والمالكية على الحياة بدءا فى تمكين المدرسة الظاهرية وأهل الظاهر من الدولة، وذلك بإنشاء مدرسته فى مراكش لتخريج العلماء ورجال الدولة من حفظة الكتاب والسنة، وكان عدد الطلبة والحفاظ بها نحو ثلاثة آلاف، وكان يدخلهم كل يوم جمعة إلى قصره ويجتمع بهم ([1])، عقب ذلك أمر بحرق كتب الفروع المالكية وإلزام العلماء بالاجتهاد، ثم بدأ يجتمع بعلماء المالكية الكبار مع الطلبة من أهل الظاهر ويطرح عليهم المسائل الفقهية ليتم حسمها حسب المنهج الظاهرى كما سيتضح بعد قليل.

عبد المؤمن بن عليّ في الأندلس: في سنة ٥٤٣ هـ-١١٤٨م وبعد التدهور الكبير الذي حدث في بلاد الأندلس، قدم إلى بلاد المغرب العربي القاضي ابن العربي صاحب (العواصم من القواصم) قدم من الأندلس وبايع "عبد المؤمن بن علي"، وطلب النجدة لأهل الأندلس. إن مبايعة القاضي ابن العربي لعبد المؤمن بن عليّ لتعطي إشارة واضحة إلى أن عبد المؤمن بن عليّ لم يكن ليعتقد أو يدعو إلى أفكار ضالة كما في الدعوة إلى العصمة أو المهدية أو غيرها مما كان يدين بها محمد بن تومرت وبعض من أتباعه، وإلا لم يكن للقاضي ابن العربي – وهو الذي اشتهر وعرف عنه الذبّ عن الإسلام من الضلالات والانحرافات – أن يقدم من بلاد الأندلس لمبايعته على الطاعة والنصرة.

(١) ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص١٥٠.

قَبِلَ عبد المؤمن بن عليّ الدعوة من القاضي ابن العربي، وجهزّ جيوشه وانطلق إلى بلاد الأندلس، وهناك بدأ يحارب القوات الصليبية حتى ضم معظم بلاد الأندلس الإسلامية التي كانت في أملاك المرابطين إلى دولة الموحدين، وكان ممن قاتله هناك بعض أنصار دولة المرابطين إلا أنه قاتلهم وانتصر عليهم وذلك في سنة 545هـ- ١١٥٠ م.

وفي سنة ٥٥٢ هـ- ١١٥٧م استطاع أن يستعيد ألمريّة، وفي سنة ٥٥٥هـ- ١١٦٠م استعاد تونس من يد النصارى، وبعدها بقليل -ولأول مرة – استطاع أن يضم ليبيا إلى دولة الموحدين، وهي بعد لم تكن ضمن حدود دولة المرابطين. وبهذا يكون قد وصل بحدود دولة الموحدين إلى ما كانت عليه أثناء دولة المرابطين إضافة إلى ليبيا، وقد اقتربت حدود دولته من مصر كثيرا، وكان يفكر في أن يوحّد كل أطراف الدولة الإسلامية تحت راية واحدة تكون لدولة الموحدين.

ظاهرية عبدالمؤمن: كان عبد المؤمن بن على يعقد المناظرات بين المالكية والظاهرية نصرة للنهج الظاهرى وتمهيدا لفرضه واتخاذه منهجا رسميا للدولة الموحدية. وكان عبد المؤمن نفسه يناظر المالكية ويستخدم حجج ابن حزم فى المناظرة.

ولنصغ إلى ابن زرقون الذى شهد واقعة جمع عبد المؤمن بن على للفقهاء وذلك لحمل الناس على المذهب الظاهرى فيحدثنا بقوله "كنت فيمن جمعهم – أى عبدالمؤمن- فقام على رأسه كاتبه ووزيره أبوجعفر ابن عطية فخطب خطبة مختصرة، ثم رد رأسه إلى الفقهاء، وقال لهم: بلغ سيدنا أن قوما من أولى العلم، تركوا كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وصاروا يحكمون بين الناس، ويفتون بهذه الفروع والمسائل التى لا أصل لها فى الشرع، وقد أمر أن من فعل ذلك بعد هذا اليوم، ونظر فى شىء من الفروع والمسائل، عوقب العقاب الشديد، وفعل به كذا وكذا وسكت، ورفع الأمير عبد المؤمن رأسه إليه وأشار عليه بالحلوس فجلس، وقال: سمعتم ما قال ؟ قال له الطلبة نعم. قال: وسمعنا أن عند القوم تأليفا من هذه الفروع يسمونه الكتاب – يعنى المدونة- وأنهم إذا قال لهم قائل مسألة من السنة ولم تكن فيه، أو مخالفة له قالوا: ما هذا فى الكتاب أو ما هو مذهب الكتاب وليس ثمة كتاب يرجع إليه إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،

قال :وأرعد وأبرق فى التخويف والتحذير من النظر فى هذه الكتب، والفقهاء سكوت. ثم قال: ومن العجيب أنهم يقولون أقوالا برأيهم وليست من الشرع، فيقولون من طرأ عليه خلل فى صلاته يعيد فى الوقت ويتحكمون فى دين الله تعالى، لأنها إما صحيحة فلا إعادة، وإما باطلة فيعيد أبدا، فيا ليت شعرى من أين أخذوه فصمت القوم ولم يجبه أحد، لحدة الأمر والإنكار...، ثم قام ابن زرقون وحاول أن يجيب عبد المؤمن ويحل له الإشكال إلى أن قال "يا سيدى جميع ما فى الكتاب – يعنى المدونة– مبنى على الكتاب والسنة، وأقوال السلف والإجماع، وإنما اختصره الفقهاء تقريبا لمن ينظر فيه من المتعلمين والطالبين، فانطلقت ألسنة الفقهاء الحاضرين حينئذ ووافقونى على ما قلت – أى ابن زرقون– قال ابن زرقون ثم دعا – أى عبدالمؤمن– فقال: اللهم وفقنا يا رب العالمين، وقام إلى منزله... "([1]).

ومما سبق يتضح الآتى: أن عبد المؤمن كان هدفه حمل الناس على المذهب الظاهرى، وهو ما أكده ابن زرقون الذى شهد الواقعة كما سبق، وقد أكد ذلك أيضا المراكشى على ما سيتضح، كما أكد ذلك أحمد بن محمد البلوى البرزالى (ت ٨٤١هـ/١٤٣٧م) الذى قال "ولما أن اطمأنت بالأمير عبد المؤمن الدار، جمع الفقهاء إما لاختيار مذهبهم أو حملهم على مذهب ابن حزم" ([2])، وهذا التردد من البرزالى سرعان ما يزول بشهادة ابن زرقون التى جاء فيها أن عبد المؤمن كان هدفه حمل الناس على مذهب ابن حزم كما سبق. كما أن المسألة التى تذرع بها عبد المؤمن للطعن فى مذهب المالكية من المسائل التى بالغ فيها ابن حزم فى الرد على مالك وقال: "هذا خطأ ؛ لأنه لا يخلو من أن يكون أدى الصلاة التى أمر بها كما أمر، أو لم يؤدها كما أمر، فإن كان أداها كما أمر فلا يحل له أن يصلى فى يوم واحد صلاتين، ولا معنى لإعادته صلاة قد صلاها، وإن لم يؤدها كما أمر، فمن قوله أن يصلى من لم يصلى أبدا ؛ فظهر بطلان هذا القول "([3]).

(١) نقلا عن عليش، فتح العلى المالك فى الفتوى على مذهب مالك، دار الفكر، (د.ت)، ١٠٢،١٠٣/١.

(٢) نقلا عن الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٦٦٤،٦٦٥. وكلام البرزالى السابق ذكره فى كتابه "جامع مسائل الأحكام مما نزل بالمفتين والحكام" وفيه ذكر واقعة جمع عبد المؤمن للفقهاء بتمامها، وعنه نقلها عليش فى كتابه فتح العلى المالك، وكتاب البرزالى لا يزال مخطوطا فى أجزاء متفرقة بخزانات المغرب وغيرها.

(٣) أنظر: المحلى، ٢٣٨/٢.

والمدقق فى كلام ابن حزم وكلام عبد المؤمن السابق يتضح له أن الأخير كان يتكلم بلسان ابن حزم، وما كان هدفه من طرح هذه المسألة بالذات إلا إظهار فساد المذهب الفروعى وحمل الناس على الظاهر خاصة وأن هذه المسألة طرحها سحنون فى المدونة بدون حجج ولا براهين وجعل عنوانها "باب ما تعاد منه الصلاة فى الوقت" (١). أضف إلى ذلك أن سكوت عبد المؤمن فى نهاية الجلسة وقيامه إلى منزله ليس معناه أنه أقر فقهاء المالكية على قولهم بخصوص المدونة، بل لأنه ما قبل منهم الكلام، ومن ثم لما وجد اتفاقهم على قول ابن زرقون وإصرارهم على المذهب المالكى تراجع عن حملهم على المذهب الظاهرى خشية الثورة عليه، إذ كان يعلم مكانتهم فى نفوس أهل المغرب (٢)، لكن ظل هو ومن حوله متمسكين بالمذهب الظاهرى إلى أن تأتى فرصة فرضه والعمل به، وقد أكد المراكشى ذلك بقوله عند حديثه عن المنصور "وكان قصده فى الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده إلا أنهما لم يظهراه وأظهره يعقوب هذا – يعنى المنصور– "(٣) .

ومن البراهين على ظاهرية عبد المؤمن تكنيه بكنية ابن حزم، وهى أبو محمد، وتسمية ابنه بأبى سليمان داوود (٤)، وهو اسم وكنية إمام أهل الظاهر داود بن على الأصفهانى، وهذا أمر واضح لتأثر عبد المؤمن بالمذهب الظاهرى، حتى أنه تكنى بكنية مجدد المذهب، وسمى ابنه باسم إمام المذهب. أضف إلى ذلك إصداره الأمر فى العام ٥٥٠هـ بإحراق كتب الفروع ورد الناس لحفظ كتب الحديث واستنباط الأحكام وكتب بذلك إلى جميع طلبة العلم بالمغرب والأندلس (٥)، كما طبق عبد المؤمن طريقة الظاهرية فى حفظ القرآن والحديث والعقيدة والفقه وهى التلقين أو الحفظ على أبنائه وعلى الطلبة

(١) أنظر: المدونة الكبرى برواية سحنون بن سعيد، دار صادر، بيروت، ٩١/١.
(٢) الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٦٦٩.
(٣) أنظر: المعجب، ص٢٣١،٢٣٢.
(٤) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٥٥،١٥٦.
(٥) السلاوى، الاستقصا، ١١٢/٢.

الذين استدعاهم من إشبيلية وقرطبة وفاس وتلمسان وغيرها إلى مراكش، وتتمثل هذه الطريقة فى قيام الأستاذ بقراءة الجزء المطلوب تلقينه للطالب على ان يردده الطالب وراء الاستاذ حتى يحفظه، وقد امتدح القاضى ابن القطان المالكى هذه الطريقة واعتبرها من مآثر عبد المؤمن ([1])

وفاة عبدالمؤمن: توفى ليلة الجمعة الثامن من جمادى الآخرة من سنة ٥٥٨ هـ . وكان قد عهد في حياته إلى أكبر أولاده محمد وبايعه الناس وكتب ببيعته إلى البلاد فأبى تمام هذا الأمر لمحمد هذا ما كان عليه من أمور لا تصلح معها الخلافة من إدمان شرب الخمر واختلال الرأي وكثرة الطيش وجبن النفس ويقال إنه مع هذا كان به ضرب من الجذام ولما مات عبد المؤمن اضطرب أمر محمد واختلف عليه اختلافاً كثيراً فكانت ولايته إلى أن خلع خمساً وأربعين يوماً واتفقوا على خلعه في شعبان سنة ٥٥٨هـ وكان الذي سعى في خلعه أخواه يوسف وعمر([2])، وقيل إن عبد المؤمن هو الذى عزل ابنه محمد عن العهد لما تبين له عجزه عن اقيام بالخلافة وكتب بذلك إلى جميع ولاته قبل موته، وكان سنه يوم توفى ثلاث وستون سنة، وقيل أربع وستون، وحمل إلى تينمل ودفن بها بجوار قبر ابن تومرت ([3])

٣–أبويعقوب يوسف بن عبد المؤمن الظاهرى (ت ٥٨٠هـ)

في عام ٥٥٨ هـ– ١١٦٣م توفي عبد المؤمن بن عليّ في "رباط سلا" في طريقه إلى الاندلس مجاهدًا، ونقل إلى "تينملل" فدفن فيها إلى جانب قبر ابن تومرت وخلفه على الحكم ابنه محمد ثم خُلع لفسقه وسوء خلقه وولي الأمر يوسف بن عبد المؤمن بن عليّ، وكان يبلغ من العمر اثنين وعشرين عامًا، وقد كان مجاهدًا شهمًا كريمًا إلا أنه لم يكن في كفاءة أبيه القتالية.

صفته وصفاته: كان أبيض تعلوه حمرة شديد سواد الشعر مستدير الوجه أفوه أعين

(١) صلاح السيد، التربية الإسلامية، ص٣٧٦–٣٧٩.
(٢) أنظر: المعجب، ص١٩٧،١٩٨.
(٣) ابن أبي زرع، الروض القرطاس، ٢٦٥،٢٦٦.

obeikandi.com

إلى الطول أقرب جهورى الصوت رقيق حواشى اللسان حلو الألفاظ حسن الحديث طيب المجالسة (١).

وكان عادلاً حازمًا شجاعا دينًا خبيرًا بشئون الحكم والملك، معنيًا بشئون وأحوال الرعية، شديدًا على العصاة والمفسدين، بعيد الهمة، شديد الكرم والبذل والمواساة، وكان من العلماء الأدباء حافظًا للقرآن الكريم، من رواة الحديث المتقنين، حتى أنه كان يحفظ صحيح البخاري بسنده الخاص به، وكان شديد الفصاحة باللغة العربية، يعلم أخبار العرب في الجاهلية والإسلام، لذلك انتظم في بلاطه أعظم علماء وأدباء العصر. وكان له علم بالفقه كثير الميل إلى الحكمة والفلسفة، استقدم إليه بعض علماء الاقطار وفي جملتهم أبو الوليد ابن رشد...(٢) وهو باني مسجد إشبيلية، أتمّه سنة ٥٦٧ وإليه تنسب الدنانير "اليوسفية "في المغرب، وكانت علامته في المكاتبات وعلامة من بعده: "الحمد لله وحده..."

أما أفضل خصاله، فهي شغفه الكبير بالجهاد في سبيل الله، فلقد كان دائم الغزو والتجهيز له، واعتنى بالجيوش وقواها واستمال العرب بالمغرب وضمهم لجنوده، حتى أنه قد ألف رسالة مشهورة في فضل الجهاد في سبيل الله ومكانته والحض عليه، وهى مطبوعة ضمن كتاب أعز ما يطلب لابن تومرت ويكفي دليلاً على حبه للجهاد أنه استشهد في معركة شنترين الشهيرة بالأندلس، وقد أصابته إصابات بالغة في هذه المعركة توفي على إثرها في ١٨ ربيع الآخر ٥٨٠هـ. ٢٩ يوليو ١١٨٤م.

وقد حرص يوسف على التمكين للمنهج الظاهرى إذ إنه منع فقهاء المالكية من تعليم الناس الفقه الفروعى، ودعاهم إلى استخدام القرآن والسنة فى استنباط الأحكام، وخيرهم بين ذلك وبين السيف، وكان عميد فقهاء المالكية آنذاك ابن الجد .

ظل يوسف بن عبد المؤمن بن عليّ يحكم دولة الموحدين اثنين وعشرين عامًا متصلة، منذ سنة ٥٥٨ هـ- ١١٦٣م وحتى سنة ٥٨٠ هـ- ١١٨٥م وقد نظم الأمور وأحكمها في كل بلاد الأندلس وبلاد المغرب العربي، وكانت له أعمال جهادية ضخمة ضد

(١) المراكشى، المعجب، ص١٩٩.
(٢) نفسه ١٩٩، ٢٠٠.

النصارى، لكنه كان يعيبه شيء خطير وهو أنه كان متفرد الرأي لا يأخذ بالشورى، وهذا – بالطبع – كان من تعليم وتربية أبيه عبد المؤمن بن علي .

ظاهرية يوسف بن عبدالمؤمن: ذكر المراكشي كما أسلفنا عند الحديث عن ظاهرية عبد المؤمن أن يوسف كان يهدف إلى حمل الناس على القول بالظاهر، ومحو مذهب مالك، وقد لجا إلى المناظرات والحوارات لتحقيق ذلك ومنها ما وقع بينه وبين أبى بكر بن الجد المالكى حول كتاب ابن يونس المالكى، وما فيه من أقوال متعددة وآراء مختلفة، وانتهى الأمر إلى قول يوسف لا بن الجد ليس إلا المصحف وسنن أبى داوود(إشارة إلى كتب الحديث) ([1]) وهذا هو عين القول بالظاهر إذ لا مجال لأقوال الرجال بل الحكم للكتاب والسنة، ومن الأدلة على ظاهريته أنه كان يرسل للقضاة الرسائل وفيها أصول الحكم وهى القرآن والسنة والإجماع .

مصنفاته:

١– كتاب الجهاد. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٢٦٤ق.

٢– ثلاثة من الرسائل نشرها الستشرق ليفى بروفنسال ضمن مجموع رسائل موحدية .

وفاته: استشهد في موقعة "شنترين" مع النصارى حيث كان يقاتل فيها بنفسه، فقتل ستة من النصارى، ثم طُعن بعد ذلك واشتد ألمه فمات بالطريق قرب الجزيرة الخضراء يوم السبت ١٨ ربيع الآخر سنة ٥٨٠ هـ= ١١٨٤ م فحمل إلى تينمل فدفن بها بجوار قبر أبيه، وقيل إنه لم يمت حتى وصل مراكش ودفن بتنيمل، وكان ولده يعقوب هو الذى يدخل على

أبيه ويخرج وتتصرف الأمور على يديه من يوم طعنه إلى يوم مماته، وكتم موته حتى وصل مدينة سلا فأشهره ([2]).

٣–أمير المؤمنين المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدى الظاهرى (ت

(١) المراكشى، المعجب، ص٢٣٢.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٨٢،٢٨٣.

٥٩٥هـ)

أعلم بنى عبد المؤمن وافقههم واسمه يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على الكومى القيسى وكنيته أبويوسف، وكنية أبوه أبويعقوب، وكنية جده أبوسليمان نفس كنية إمام المذهب الظاهرى داود بن على.

والمنصور هذا لقب له أطلق عليه بعد انتصاره فى معركة الأرك ٥٩١هـ، وكان ابن عربى الصوفى الظاهرى قد أخبر عن انتصار المنصور فى هذه المعركة قبل بدايتها من خلال رؤيا رآها.

صفته وصفاتة: كان صافي السمرة جداً، جميل الوجه أفوه أعين شديد الكحل ضخم الأعضاء جهوري الصوت جزل الألفاظ، من أصدق الناس لهجة وأحسنهم حديثاً وأكثرهم إصابة بالظن، مجرباً للأمور، ولي وزارة أبيه، فبحث عن الأحوال بحثاً شافياً وطالع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعة أفادته معرفة جزئيات الأمور (١).

ولما مات أبوه اجتمع رأي أشياخ الموحدين وبني عبد المؤمن على تقديمه فبايعوه وعقدوا له الولاية ودعوه أمير المؤمنين كأبيه وجده ولقبوه بالمنصور، فقام الأمر أحسن قيام، وهو الذي أظهر أبهة ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع ونظر في أمور الدين والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام الحدود حتى في أهله وعشيرته الأقربين كما أقامها في سائر الناس أجمعين، فاستقامت الأحوال في أيامه وعظمت الفتوحات.

ولما مات أبوه كان معه في الصحبة، فباشر تدبير المملكة من هناك، وأول ما رتب قواعد بلاد الأندلس، فأصلح شأنها وقرر المقاتلين في مراكزها ومهد مصالحها في مدة شهرين. وأمر بقراءة البسملة في أول الفاتحة في الصلوات وأرسل بذلك إلى سائر بلاد الشام التي في مملكته. فأجاب قوم وامتنع آخرون...

كان المنصور أقوى شخصيه في تاريخ دولة الموحدين، ومن أعظم الشخصيات في تاريخ المسلمين بصفة عامة، وقد عُدّ عصره في دولة الموحدين بالعصر الذهبي.

---

(١) المركشى، المعجب، ص٢١٩.

obeikandi.com

تولى أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي وكان عمره خمسا وعشرين سنة فقط، وقد قام بالأمر أحسن ما يكون القيام، وقد رفع راية الجهاد، ونصب ميزان العدل، ونظر في أمور الدين والوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتي هي أحسن.

استطاع أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي أن يغير كثيرا من أسلوب السابقين له، فكان سمته الهدوء والسكينة والعدل والحلم، حتى إنه كان يقف ليقضي حاجة المرأة وحاجة الضعيف في قارعة الطريق، وكان يؤم الناس في الصلوات الخمس، وكان زاهدا يلبس الصوف الخشن من الثياب، وقد أقام الحدود حتى في أهله وعشيرته، فاستقامت الأحوال في البلاد وعظمت الفتوحات.

بلغت أعمال أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي الجليلة في دولته أوجها، حتى وصلت إلى أن حارب الخمور، وأحرق كتب الفلاسفة، واهتم بالطب والهندسة، وألغى المناظرات العقيمة التي كانت في أواخر عهد المرابطين وأوائل عهد الموحدين، وقد أسقط الديون عن الأفراد وزاد كثيرا في العطاء للعلماء، وأعلن منهجه الظاهرى صراحة وأحرق الكثير من كتب الفروع وأمر بالاعتماد على كتاب الله وعلى كتب السنة الصحيحة.

وفي دولته اهتم أيضا أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي بالعمران، وقد أنشأ مدينة الرباط وسمّاها رباط الفتح، وأقام المستشفيات وغرس فيها الأشجار، وخصّص الأموال الثابتة لكل مريض، وكان رحمه الله يعود المرضى بنفسه يوم الجمعة، وأيضا كان يجمع الزكاة بنفسه ويفرقها على أهلها، وكان كريما كثير الإنفاق حتى إنه وزّع في يوم عيد أكثر من سبعين ألف شاة على الفقراء.

المنصور الموحدي يتبرأ من أباطيل ابن تومرت: يُعدّ أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي أول من أعلن صراحة فساد أقوال محمد بن تومرت في فكرة العصمة والمهدية، وقال بأن هذا من الضلالات، وأنه ليس لأحد عصمة بعد الأنبياء، وكان مجلسه رحمه الله عامرا بالعلماء وأهل الخير والصالحين. وقد ذكر الذهبي رحمه الله في العبر أنه كان يجيد حفظ القرآن والحديث، ويتكلم في الفقه ويناظر، وكان فصيحا مهيبا، يرتدي زي الزهّاد

والعلماء ومع ذلك عليه جلالة الملوك. وعدم اعتراف المنصور الموحدي بأفكار ابن تومرت المخالفة للكتاب والسنة يجعله من أهل السنة والجماعة ومن الفئة الصالحة المصلحة التي يحقق الله بها النصر والتمكين لدينه والعزة والمنعة لأهله – تعالى – وقد أورد المراكشي ما يفيد براءة المنصور الموحدي من أفكار ابن تومرت فقال: أخبرني الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن مطرف المري ونحن بحجر الكعبة قال: قال لي أمير المؤمنين أبو يوسف يا أبا العباس اشهد لي بين يدي الله عز وجل أني لا أقول بالعصمة – يعني عصمة ابن تومرت - قال: وقال: لي يوماً وقد استأذنته في فعل شيء يفتقر إلى وجود الإمام: يا أبا العباس أين الإمام؟ أين الإمام؟ .

ويقول أيضًا: أخبرني شيخ ممن لقيته من أهل مدينة جيان من جزيرة الأندلس يسمى أبا بكر بن هانئ مشهور البيت هناك لقيته وقد علت سنه فرويت عنه قال: لي لما رجع أمير المؤمنين - يعني المنصور الموحدي – من غزوة الأرك وهي التي أوقع فيها بالأدنفش وأصحابه خرجنا نتلقاه فقدمني أهل البلد لتكليمه فرفعت إليه فسألني عن أحوال البلد وأحوال قضاته وولاته وعماله على ما جرت عادته فلما فرغت من جوابه سألني كيف حالي في نفسي فتشكرت له ودعوت بطول بقائه ثم قال: لي ما قرأت من العلم قلت: قرأت تواليف الإمام أعني ابن تومرت فنظر إلي نظرة المغضب وقال: ما هكذا يقول: الطالب إنما حكمك أن تقول قرأت كتاب الله وقرأت شيئاً من السنة ثم بعد هذا قل ما شئت... (١).

قلت: وتأكيد المنصور على الكتاب والسنة دليل ناهض على ظاهريته حتى إنه من عظم معرفته بالكتاب والسنة وصفه بعض المنظرين بالمجتهد المطلق (٢).

المنصور ومشروعه النهضوى: قال المراكشي: وكان في جميع أيامه وسيره مؤثراً للعدل متحرياً له بحسب طاقته وما يقتضيه إقليمه والأمة التي هو فيها كان في أول أمره أراد الجري على سنن الخلفاء الأول.

(١) أنظر: المعجب، ص٢٤٠

(٢) الكتانى، مؤلفات ابن حزم بين أنصاره وخصومه، ص٩١.

فمن ذلك أنه كان يتولى الإمامة بنفسه في الصلوات الخمس لم يزل على ذلك مستمراً أشهراً إلى أن أبطأ يوماً عن صلاة العصر إبطاء كاد وقتها يفوت وقعد الناس ينتظرونه فخرج عليهم فصلى ثم أوسعهم لوماً وتأنيباً وقال: ما أرى صلاتكم إلا لنا وإلا فما منعكم عن أن تقدموا رجلاً منكم فيصلي بكم أليس قد قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف حين دخل وقت الصلاة وهو غائب أما لكم بهم أسوة وهم الأئمة المتبعون والهداة المهتدون فكان ذلك سبباً لقطعه الإمامة. وكان يقعد للناس عامة لا يحجب عنه أحد من صغير ولا كبير حتى اختصم إليه رجلان في نصف درهم فقضى بينهما وأمر الوزير أبا يحيى صاحب الشرطة أن يضربهما ضرباً خفيفاً تأديباً لهما وقال: لهما أما كان في البلد حكام قد نصبوا لمثل هذا فكان هذا أيضاً مما حمله على القعود في أيام مخصوصة لمسائل مخصوصة لا ينفذها غيره. وكان قد أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم. وكان إذا وفد عليه أهل بلد فأول ما يسألهم عن عمالهم وقضاتهم وولاتهم فإذا أثنوا خيراً قال: أعلموا أنكم مسؤولون عن هذه الشهادة يوم القيامة فلا يقولن امرؤ منكم إلا حقاً وربما تلا في بعض المجالس] :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ} النساء ١٣٥.([1])

قلت: ما كان يفعله المنصور هو عين ما دونه ابن حزم فى كتابه السياسه، وقد فصلنا القول عن هذا الموضوع فى كتابنا ابن حزم الظاهرى وأثره فى المجتمع الأندلسى .

هذا وقد صنف ابن القطان الفاسى لشيخه المنصور الموحدى كما اعتاد أن يلقبه رسالة بخصوص الجلوس للرعية وسماع مظالمهم أسماها (رسالة فى حث الإمام على القعود لسماع مظالم الرعية)([2]) الأمر الذى يؤكد ما ذهبنا إليه من وصول المذهب الظاهرى والظاهرية إلى مرحلة الازدهار والتمكين فى عهد الموحدين .

واستكمالا لمشروعه النهضوى نراه يبنى بيمارستانا لعلاج المرضى جهزه بكل ما

(١) أنظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٢٣٥،٢٣٦.

(٢) محمود مكى، تقديم كتاب نظم الجمان لابن القطان، ص١٧.

يدخل السرور على المرضى وقد وصفه من رآه من مؤرخي المغرب فقال: وبنى بمدينة مراكش بيمارستانا ما أظن أن في الدنيا مثله وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع في البلد، وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه وأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح؛ وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار والشمومات والمأكولات وأجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوت، زيادة على أربع برك في وسط إحداها رخام أبيض، ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيره بما يزيد عن الوصف ويأتي فوق النعت، وأجرى له ثلاثين دينارا في كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجا عما جلب إليه من الأدوية، وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال وأعدّ فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء فإذا نقه المريض فإن كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل، وإن كان غنيا دفع إليه ماله وتركته وسببه، ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء، بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل إليه وعولج إلا أن يستريح أو يموت. وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله يعود المرضى ويسأل عن أهل بيت أهل بيت ويقول: كيف حالكم؟ وكيف القومة عليكم؟ إلى غير ذلك من السؤال ثم يخرج، لم يزل مستمرا على هذا إلى أن مات رحمه الله... (١)

إضافة إلى أعماله السابقة في دولة الموحدين بصفة عامة، فقد وطد أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي الأوضاع في بلاد الأندلس، وقوى الثغور هناك، وكان يقاتل فيها بنفسه، وقد كانت أشد الممالك ضراوة عليه مملكة البرتغال ثم من بعدها مملكة قشتالة. وقد كان له في الأندلس ما يلي:

أولا: القضاء على ثورات بني غانية: في سنة ٥٨٥ هـ- ١١٨٩م وفي جزر البليار من بلاد الأندلس قامت قبيلة بني غانية من أتباع المرابطين بثورة عارمة على الموحدين، وقد كان لهذه القبيلة ثورات من قبل على عبد المؤمن بن عليّ وابنه يوسف، فقاموا بثورة في جزر البليار وأخرى في تونس. ما كان من أبي يوسف يعقوب المنصور إلا أن عاد

(١) المراكشي، المعجب، ص٢٣٧، ٢٣٨.

من داخل بلاد الأندلس إلى جزر البليار فقمع ثورة بني غانية هناك، ثم رجع إلى تونس فقمع أيضا ثورتهم. استغلّ ملك البرتغال انشغال أبي يوسف يعقوب المنصور بالقضاء على هذه الثورات واستغل الضعف الذي كان نتيجة طبيعية لذلك، واستعان بجيوش ألمانيا وإنجلترا البرية والبحرية، ثم حاصر أحد مدن المسلمين هناك واستطاع أن يحتلها ويخرج المسلمين منها، وقد فعل فيها من الموبقات ما فعل، ثم استطاع أن يواصل تقدمه إلى غرب مدينة أشبيليّة في جنوب الأندلس.

ثانيا: المواجهات مع النصارى واستعادة السيطرة: بعد القضاء على ثورات بني غانية أخذ أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي يفكر في كيفية إعادة الوضع إلى ما كان عليه، ووقف أطماع النصارى في بلاد الأندلس.

علم أولا أن أشد قوتين عليه هما قوة قشتالة وقوة البرتغال، لكنه رأى أن قوة البرتغال أشد وأعنف من سابقتها، فقام بعقد اتفاقيه مع قشتالة عاهدهم فيها على الهدنة وعدم القتال مدة عشر سنوات.

اتجه أبو يوسف يعقوب المنصور بعد ذلك إلى منطقة البرتغال، وهناك حاربهم حروبا شديدة وانتصر عليهم في أكثر من مرة، واستطاع أن يحرر المنطقة بكاملها ويسترد إلى أملاك المسلمين من جديد ما كان قد فقد هناك.

وقبل أن يكتمل له تحرير تلك المنطقة نقض ملك قشتاله العهد الذي كان قد أبرمه معه، وعليه فقد بدأ يعيث تهجما وفسادا على أراضي المسلمين، ثم بعث ألفونسو الثامن– ملك قشتالة في ذلك الوقت، وهو من أحفاد ألفونسو السادس الذي هُزم في موقعة الزلاّقة الشهيرة – بعث برسالة إلى أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي يهين فيها المسلمين ويهدده ويتوعده.

رسالة ألفونسو التي أثارت حميّة المسلمين: كتب ألفونسو الثامن ملك قشتالة إلى سلطان الموحدين "المنصور الموحدي" كتابًا يشابه الكتاب الذي أرسله ألفونسو السادس إلى يوسف بن تاشفين، يدعوه إلى القتال وهذا نص خطابه: باسمك اللهم فاطر السموات والأرض، وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح، أما بعد فإنه لا

يخفى على ذي ذهن ثاقب ولا ذي عقل لازب، أنك أمير الملة الحنيفية كما أني أمير الملة النصرانية، وقد علمت الآن ما عليه رؤساء أهل الأندلس من التخاذل والتواكل وإهمال الرعية، وإخلادهم إلى الراحة، وأنا أسومهم بحكم القهر وجلاء الديار وأسبي الذراري وأمثل بالرجال، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم إذا أمكنتك يد القدرة، وأنتم تزعمون أن الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم، فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا تستطيعون دفاعاً ولا تملكون امتناعاً، وقد حكي لي عنك أنك أخذت في الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال، وتماطل نفسك عاماً بعد عام، تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فلا أدري أكان الجبن أبطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك، ثم قيل لي إنك لا تجد إلى جواز البحر سبيلاً لعلةٍ لا يسوغ لك التقحم معها، وها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك وأعتذر لك وعنك، على أن تفي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهان، وترسل إليّ جملة من عبيدك بالمراكب والشواني والطرائد والمسطحات، وأجوز بجملتي إليك، وأقاتلك في أعز الأماكن لديك، فإن كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك، وإن كانت لي كانت يدي العليا عليك، واستحقيت إمارة الملتين والحكم على البرين، والله تعالى يوفق للسعادة ويسهل الإرادة، لارب غيره ولا خير إلا خيره، إن شاء الله تعالى.

فلما وصل كتابه إلى الأمير يعقوب مزّقه وكتب على ظهر قطعة منه :ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ النمل: ٣٧ .الجواب ما ترى لا ما تسمع(١).

وعلى الفور أعلن الجهاد والاستنفار العام في كل ربوع المغرب والصحراء، وأمر بنشر ما جاء في كتاب ألفونسو الثامن ليحمس الناس ويزيد من تشويقهم للجهاد. قبل هذا الوقت بسنوات قلائل كان المسلمون في كل مكان يعيشون نشوة النصر الكبير الذي حققه صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين في موقعة حطين الخالدة في سنة ٥٨٣ هـ= ١١٨٧ م أي قبل هذه الأحداث بسبع سنوات فقط، وما زال المسلمون في المغرب يعيشون هذا الحدث

(١) ابن عذارى، روض القرطاس، ص٢٩١.

الإسلامي الكبير ويتمنون ويريدون أن يكرروا ما حدث في المشرق، خاصة بعد أن قام أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي بتحفيزهم في الخروج إلى الجهاد، فتنافسوا في ذلك (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)المطَّففين:٢٦.

دوّت صيحة الجهاد في جميع أنحاء المغرب، من مدينة "سلا" على المحيط الأطلسي، حتى "برقة" شرقًا على حدود مصر، ضد الذين غدوا خطرًا على الإسلام...لقد هرع الرجال والشباب والشيوخ وسكان الهضاب والصحارى والشواطيءفي جميع أنحاء المغرب إلى الانضمام إلى ألوية الجهاد في الأندلس، وأخذ الخطر الداهم ينذر الغرب في الوقت الذي حاول فيه النصارى أن يرفعوا الصليب في الشرق.

بدأ هذا الاستنفار في سنة ٥٩٠ هـ= ١١٩٤ م وبعدها بعام واحد وفي سنة ٥٩١ هـ=١١٩٥ م انطلقت الجيوش الإسلامية من المغرب العربي والصحراء وعبرت مضيق جبل طارق إلى بلاد الأندلس لتلتقي مع قوات الصليبيين الرابضة هناك في موقعة ما برح التاريخ يذكرها ويجلّها.

موقعة الأرك الخالدة (١)"الأرك :"حصن على بعد عشرين كم إلى الشمال الغربي من قلعة رباح، على أحد فروع نهر وادي آنة، غرب المدينة الاسبانية الحديثة giadad real "المدينة الملكية ."والأرك هي نقطة الحدود بين قشتالة والأندلس في حينه .

في التاسع من شهر شعبان لسنة سنة ٥٩١ هـ=١١٩٥ م وعند هذا الحصن الكبير الذي يقع في جنوب "طليطلة" على الحدود بين قشتالة ودولة الأندلس في ذلك الوقت التقت الجيوش الإسلامية مع جيوش النصارى هناك.

أعد "ألفونسو الثامن" جيشه بعد أن استعان بمملكتي "ليون ونافار"، وبجيوش ألمانيا وإنجلترا وهولندا.. في قوة يبلغ قوامها خمسة وعشرين ألفا ومائتي ألف نصراني، وقد أحضروا معهم بعض جماعات اليهود لشراء أسرى المسلمين بعد انتهاء المعركة لصالحهم، ليتم بيعهم بعد ذلك في أوروبا.

وعلى الجانب الآخر فقد أعدّ أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي جيشا كبيرًا، بلغ

(١) عنها بالتفصيل أنظر: روض القرطاس، ص٢٩٣ وما بعدها .

قوامه مائتي ألف مسلم من جراء تلك الحمية التي كانت في قلوب أهل المغرب العربي وأهل الأندلس على السواء، خاصة بعد انتصارات المسلمين في حطين (٥٨٣ هـ= ١١٨٧م) في الشرق...

في منطقة "الأرك" وفي أول عمل له عقد أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي مجلسًا استشاريًا يستوضح فيه الآراء والخطط المقترحة في هذا الشأن، وقد كان هذا على غير نسق كل القادة الموحدين السابقين له والذين غلب عليهم التفرد في الرأي، فنهج منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر. وفي هذا المجلس الاستشاري استرشد أبو يوسف يعقوب المنصور بكل الآراء، حتى إنه استعان برأي أبي عبد الله بن صناديد في وضع خطة الحرب، وهو زعيم الأندلسيين وليس من قبائل المغرب البربرية، وكان هذا أيضًا أمرًا جديدًا على دولة الموحدين التي كانت تعتمد فقط على جيوش المغرب العربي، فضم أبو يوسف يعقوب المنصور قوة الأندلسيين إلى قوة المغاربة وقوة البربر القادمين من الصحراء.

في خُطة شبيهة جدًا بخطة موقعة الزلاقة قسم أبو يوسف يعقوب المنصور الجيش إلى نصفين، فجعل جزءا في المقدمة وأخفى الآخر خلف التلال وكان هو على رأسه، ثم اختار أميرا عاما للجيش هو كبير وزرائه أبو يحيى بن أبي حفص، وقد ولى قيادة الأندلسيين لأبي عبد الله بن صناديد؛ وذلك حتى لا يوغر صدور الأندلسيين وتضعف حماستهم حين يتولى عليهم مغربي أو بربري. وإتمامًا لهذه الخطة فقد جعل الجزء الأول من الجيش النظامي الموحدي ومن الأندلسيين، وقد قسمه إلى ميمنه من الأندلسيين وقلب من الموحدين وميسرة من العرب، ثم جعل من خلفهم مجموعة المتطوعين غير النظاميين، الذين ليست لهم كفاءة عالية في القتال. ومكث هو في المجموعة الأخيرة خلف التلال.

راح بعد ذلك أبو يوسف يعقوب المنصور يوزع الخطباء على أطراف الجيش يحمسونه على الجهاد، وعند اكتمال الحشد وانتهاء الاستعداد للقتال أرسل الأمير الموحدي رسالة إلى كل المسلمين يقول فيها: إن الأمير يقول لكم اغفروا له فإن هذا موضع غفران، وتغافروا فيما بينكم، وطيبوا نفوسكم، وأخلصوا لله نياتكم. فبكى الناس جميعهم، وأعظموا ما سمعوه من أميرهم المؤمن المخلص، وعلموا أنه موقف وداع، وفي موقف مهيب التقى

المسلمون مع بعضهم البعض وعانقوا بعضهم بعضًا، وقد ودّعوا الدنيا وأقبلوا على الآخرة.

في تلك الموقعة كان موقع النصارى في أعلى تل كبير، وكان على المسلمين أن يقاتلوا من أسفل ذلك التل، لكن ذلك لم يرد المسلمين عن القتال.

بدأ اللقاء ونزل القشتاليون كالسيل الجارف المندفع من أقصى ارتفاع، فهبطوا من مراكزهم كالليل الدامس وكالبحر الزاخر، أسرابا تتلوها أسراب، وأفواجا تعقبها أفواج، وكانت الصدمة كبيرة جدا على المسلمين، فقد وقع منهم الكثير في تعداد الشهداء، ثم ثبتوا بعض الشيء ثم تراجعوا، وحين رأى المنصور ذلك نزل بنفسه ودون جيشه، وفي شجاعة نادرة قام يمر على كل الفرق مناديا بأعلى صوته في كل الصفوف: جددوا نياتكم وأحضروا قلوبكم. ثم عاد رحمه الله إلى مكانه من جديد.

استطاع المسلمون بعدها أن يردّوا النصارى في هذا الهجوم، ثم ما لبث النصارى أن قاموا بهجوم آخر، وكان كسابقه، انكسار للمسلمين ثم ثبات من جديد وردّ للهجوم للمرة الثانية، ثم كان الهجوم الثالث للنصارى وكان شرسا ومركزا على القلب من الموحدين، فسقط آلاف من المسلمين شهداء، واستشهد القائد العام للجيش أبو يحيى بن أبي حفص.

وهنا ظن النّصارى أن الدائرة قد دارت على المسلمين وأن المعركة قد باتت لصالحهم، فنزل ملك قشتالة إلى الموقعة يحوطه عشرة آلاف فارس، عندئذ كانت قد تحركت ميمنة المسلمين من الأندلسيين وهجمت على قلب الجيش القشتالي مستغلة ضعفه في تقدم الفرسان القشتاليين نحو الموحدين في القلب، وهجمت بشدة على النصارى، واستطاعت حصار العشرة آلاف الذين يحوطون ألفونسو الثامن.

حدث لذلك اضطراب كبير داخل صفوف الجيش القشتالي، واستمرت الموقعة طويلا، وقد ارتفعت ألسنة الغبار الكثيف، وأصبح لا يسمع إلا صوت الحديد وقرع الطبول وصيحات التكبير من جيش المؤمنين، وبدأت الدائرة تدريجيا تدور على النصارى، فالتفوا حول ملكهم وقد تزعزت قلوبهم.

وهنا وحين رأى ذلك أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي أمرَ جيشه الكامن خلف التلال بالتحرك، وقد انطلق معهم وفي مقدمة جيشه علم دولة الموحدين الأبيض، وقد نقش

عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، لا غالب إلا الله.

ارتفعت بذلك معنويات الجيش الإسلامي كثيرًا، وقد أسلم النصارى رقابهم لسيوف المسلمين فأعملوها فيهم قتلًا وتشريدًا، وانتصر المسلمون انتصارًا باهرًا في ذلك اليوم الموافق التاسع من شهر شعبان لسنة ٥٩١ هـ من الهجرة، وأصبح "يوم الأرك" من أيام الإسلام المشهودة، قالوا عنه: مثل الزلّاقة، وقالوا عنه: بل فاق الزلاقة.

وقد هرب "ألفونسو الثامن" في فرقة من جنوده إلى "طليطلة"، وطارت أخبار النصر في كل مكان، ودوت أخبار ذلك الانتصار العظيم على منابر المسلمين في أطراف دولة الموحدين الشاسعة، بل وصلت هذه الأخبار إلى المشرق الاسلامي، وكانت سعادة لا توصف، خاصة وأنها بعد ثمانية أعوام فقط من انتصار حطيّن العظيم.

قال المقرّي: وكان عدّة من قتل من الفرنج – فيما قيل – مائة ألف وستّة وأربعين ألفاً، وعدّة الأسارى ثلاثين ألفاً، وعدّة الخيام مائة ألف وستّة وخمسين ألف خيمة، والخيل ثماني ألفاً، والبغال مائة ألف، والحمير أربعمائة ألف، جاء بها الكفّر لحمل أثقالهم لأنّهم لا إبل لهم، وأمّا الجواهر والأموال فلا تحصى، وبيع الأسير بدرهم، والسيف بنصف درهم، والفرس بخمسة دراهم، والحمار بدرهم، وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع، ونجا الفنش ملك النصارى إلى طليطلة في أسوأ حال، فحلق رأسه ولحيته، ونكس صليبه، وآلى أن لا ينام على فراش، ولا يقرب النساء،ولا يركب فرساً ولا دابة، حتى يأخذ بالثأر، وصار يجمع من الجزائر والبلاد البعيدة ويستعدّ، ثم لقيه يعقوب وهزمه وساق خلفه إلى طليطلة وحاصره ورمى عليها بالمجانيق وضيّق عليها، ولم يبق مدينة إلا فتحها، فخرجت إليه والدة الأذفونش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه، وسألنه إبقاء البلد عليهن، فرقّ لهن ومنّ عليهن بها، ووهب لهن من الأموال والجواهر ما جلّ،وردّهنّ مكرماتٍ، وعفا بعد القدرة، وعاد إلى قرطبة، فأقام شهراً يقسم الغنائم...([1]).

نتائج انتصار الأرك: الهزيمة الساحقة لقوات النصارى، فى حين حصد المسلمون من الغنائم ما لا يحصى، وقد بلغت – كما جاء في نفح الطيب – ثمانين ألفا من الخيول، ومائة

(١) أنظر: نفح الطيب، ٣/

ألف من البغال، وما لا يحصى من الخيام. وقد وزع المنصور رحمه الله هذه الأموال الضخمة وهذه الغنائم كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوزع على الجيش أربعة أخماسها، واستغل الخمس الباقي في بناء مسجد جامع كبير في أشبيلية؛ تخليدا لذكرى الأرك، وقد أنشأ له مئذنة سامقة يبلغ طولها مائتي متر، وكانت من أعظم المآذن في الأندلس في ذلك الوقت، إلا أنها - وسبحان الله – حين سقطت أشبيليّه بعد ذلك في أيدي النصارى تحولت هذه المئذنة والتي كانت رمزا للسيادة الإسلامية إلى برج نواقيس للكنيسة التي حلت مكان المسجد الجامع، وهي موجودة إلى الآن.

كان من نتائج موقعة الأرك أن استمرت حركة الفتوح الإسلامية، واستطاع المسلمون فتح بعض الحصون الأخرى، وضموا الشمال الشرقي من جديد إلى أملاك المسلمين كما كان في عهد المرابطين، وحاصروا طليطلة سنوات عديدة إلا أنها كانت من أحصن المدن الأندلسية فلم يستطيعوا فتحها.

ونتيجة لموقعة الأرك أيضا حدثت صراعات شتى بين ليون ونافار من ناحية وبين قشتالة من ناحية أخرى.. فقد ألقى عليهم ألفونسو الثامن (ملك قشتالة) مسؤلية الهزيمة، وكان من نتائج ذلك أيضا أن وقعت لهم الهزيمة النفسية. وترتب على هذا أيضا أن أتت السفارات من بلاد أوروبا تطلب العهد والمصالحة مع المنصور الموحدي رحمه الله والتي كان من أشهرها سفارة إنجلترا، تلك التي جاءت المنصور الموحدي في أواخر أيامه.

أيضا كان من نتائج موقعة الأرك أن تمت معاهدة جديدة بين قشتالة و المسلمين على الهدنة ووقف القتال مدة عشر سنوات، بداية من سنة ٥٩٥ هـ= ١١٩٩م وحتى سنة 605هـ= ١٢٠٨م أراد المنصور أن يرتب فيها الأمور من جديد في بلاد الموحدين.

ثالثا: ترويضه لليهود وإخضاعه لهم بحكم الإسلام فى ظل الدولة الإسلامية وفى ذلك يقول المراكشى "وفي آخر أيام أبي يوسف أمر أن يميز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم،وذلك ثياب وأكمام مفرطة السعة تصل إلى قريب من أقدامهم، وبدلا من العمائم كلوتات(ما يُغطى به الرأس) على أشنع صورة كأنها البراديع تبلغ إلى تحت آذانهم فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب، ولم يزالوا كذلك بقية

أيامه وصدرا من أيام ابنه أبي عبد الله، إلى أن غيره أبو عبد الله المذكور، بعد أن توسلوا إليه بكل وسيلة(..) فأمرهم أبو عبد الله بلبسان ثياب صفر وعمائم صفر، فهم على هذا الزي إلى وقتنا هذا وهو سنة٦٢١ وإنما حمل أبا يوسف على ما صنعه(..) شكه في إسلامهم وكان يقول: لو صح عندي إسلامهم لتركتهم يختلطون بالمسلمين في أنكحتهم وسائر أمورهم، ولو صح عندي كفرهم لقتلت رجالهم وسبيت ذراريهم وجعلت أموالهم فيئا للمسلمين ولكني متردد في أمرهم" (١).

ظاهرية المنصور: كان المنصور قد أعلن ظاهريته ولم يخفها كما كان حال أبوه يوسف وجده عبدالمؤمن، ومن ثم فقد أمر جماعة من العلماء المحدثين بجمع مجموعة من الأحاديث من كتب السنة، وأخذ الناس على حفظها حتى حفظها العوام، وكان يجعل لمن يحفظ ذلك جعلا من الكساء والأموال، ونال عنده طلبة الحديث حظوة كبيرة، وكان لهم ملجا وملاذا (٢)، ونهى عن استخدام كتب الرأى والفروع وأمر بحرقها، وصنف فى الحديث وفى الفقه، وكا مفتيا يلجا إليه القضاة والفقاء يسألونه عن ما أشكل عليهم، ومن عجائب أقواله أنه طلب من أحد قضاته أن يرسل إليه اثنين من العلماء لتعليم أولاده فأرسل القاضى إليه اثنين وقال له يا أمير المؤمنين أرسلت إليك اثنين اما أحدهما فبر فى دينه وأما الآخر فبحر فى علمه فاختبرهما المنصور ثم أرسل إلى القاضى فقال له قد اختبرتهما فوجدتهما كما قال الله تعالى "ظهر الفساد فى البر والبحر "وهذا تأصيل لمنهجيته الظاهرية فى كل قولة له.

وبلغ من حرصه علي نشر المذهب الظاهرى أن اتخذ لبنيه مؤدبا ظاهريا وهو أبا سليمان بن حوط الله الغرناطى الذى كان قد تولى قضاء قرطبة وإشبيلية ومرسية وسبته وسلا وميورقة، وذلك لينشئهم على أصول المذهب (٣)

وقد أثمرت سياسته هذه إذ إن ابنه الناصر لما فتح ميورقة واستردها من بنى غانية

(١) أنظر: المعجب، ٢٥٢، ٢٥١.

(٢) المراكشى، المعجب، ص٢٧٨-٢٨٠.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ٨٨٥/٢؛ وانظر:النباهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص١١٧؛ أحمد بكير، المدرسة الظاهرية، ص٦٤.

المالكية حرص على أن يولى عليها قاضيا ظاهريا وهو ابن حوط الله ليحافظ على المذهب الظاهرى بالجزيرة ويعيده إلى سابق عهده كما كان أيام ابن حزم (١)، ويجب ألا ننسى في هذا المقام قول أمير المؤمنين يعقوب المنصور الموحدي المجتهد المطلق وقد وقف على ضريح ابن حزم: كل العلماء عالة على ابن حزم! (٢).

أم المنصور وأولاده: أم المنصور كانت أم ولد رومية اسمها ساحر ... وكان للمنصور من الولد محمد ولى عهده وابراهيم وعبدالله وعبدالعزيز وابوبكر وزكريا وادريس وعيسى وموسى وصالح وعثمان ويونس وسعد ومساعد والحسن والحسين فهؤلاء عاشوا بعد ابيهم وقد مات للمنصور عدة من البنين والبنات فى حياته (٣).

مصنفات:

١- الترغيب فى الصلاة. جمع فيه المنصور متون الأحاديث الصحاح. وهذا الكتاب مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم ٤٤٧٨ يضم أربعين ورقة.

٢- فتاوى المنصور. ذكرها ابن حموية بقوله "كان فقهاء الوقت يرجعون إليه فى الفتوى، وله فتاوى مجموعة حسبما أدى إليه اجتهاده" (٤).

وفاة المنصور: كان المنصور الموحدي قد استخلف ابنه الناصر لدين الله قبل وفاته على أمل أن يمد الله في عمره فيستطيع الناصر لدين الله أن يكتسب من الخبرات ما يؤهله لأن يصبح بعد ذلك قائدا فذا على شاكلة أبيه، لكن الموت فاجأ للمنصور الموحدي بعد كان أن وضع الناصر لدين الله على رئاسة البلاد، وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره. وقد كان من الواجب على الموحدين أن ينتخبوا من بينهم ومن حين الوفاة من يصلح للقيادة بدلا منه. ولما حضرته الوفاة قال ما ندمت على شيء فعلته فى خلافتى إلا على ثلاث وددت أنى لم أفعلها الأولى إدخال العرب من أفريقية إلى المغرب مع أنى أعلم أنهم أهل فساد، والثانية بناء رباط الفتح أنفقت فيه بيت المال وهو بعد لا يعمر والثالثة: إطلاقى أسارى الأرك ولابد

(١) الناصرى، الاستقصا، ٢/٢١٧.

(٢) تقلا عن: المقري، نفح الطيب، ٤ / ٢٢٢ .

(٣) المراكشى، المعجب،ص٢١٨،٢١٩

(٤) نقلا عن المقرى، نفح الطيب، ٣/١٠١،١٠٢.

لهم أن يطلبوا بثأرهم ([1])

وفي ليلة الجمعة وبعد العشاء الأخيرة الثانى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٥٩٥ هـ 1199 =م يلقى المنصور الموحدي ربه وهو فى الثامنة والاربعين من عمره ودفن بمجلس سكناه بمراكش، وكانت مدة حكمه خمسة عشر سنة، وقد كذب العامة بموته ولوعا به، وادعوا أنه ساح فى الارض ([2]).

٥–محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الظاهرى (ت ٦١١هـ)

كان الناصر لدين الله شابا طموحا قويا مجاهدا لكنه لم يكن في كفاءة أبيه، وفضلا عن هذا فقد كانت البلاد محاطة بالأعداء من كل جانب، و النصارى بعد لم ينسوا هزيمتهم في موقعة الأرك التي كانت قبل سنوات قلائل، ويريدون أن يعيدوا الكرة من جديد على بلاد المسلمين، وفوق ذلك فبعد وفاة المنصور الموحدي قامت من جديد ثورات بني غانية المؤيدة لدولة المرابطين السابقة.

وفي سبيل استعادة الوضع إلى ما كان عليه وجّه الناصر لدين الله جلّ طاقته للقضاء على ثورات بني غانية داخل دولة الموحدين، فخاض معهم معارك وحروب كثيرة، حتى استطاع نهاية الأمر إخمادها تماما، وذلك في ٦٠٤ هـ= ١٢٠٧ م أي أنها استمرت تسع سنوات كاملة منذ بداية حكمه وحتى ذلك التاريخ.

في هذه الأثناء التي كان يسعى فيها الناصر لدين الله للقضاء على ثورات بني غانية، كان قد تجدد الأمل عند ألفونسو الثامن، فعمل على تجهيز العدة لرد الاعتبار، وأقسم على ألا يقرب النساء ولا يركب فرسا ولا بغلا، وأن ينكس الصليب حتى يأخذ بثأره من المسلمين، فأخذ يعد العدة ويجهز الجيوش ويعقد الأحلاف ويعد الحصون تمهيدا لحرب جديدة معهم.

وقبل انتهاء الهدنة ومخالفة للمعاهدة التي كان قد عقدها مع المنصور الموحدي قبل موته هجم ألفونسو الثامن على بلاد المسلمين، فنهب القرى وأحرق الزروع، وقتل العُزّل من

(١) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٣٠٢،٣٠٣

(٢) السلاوى، الاستقصا، ١٨٣/٢.

المسلمين، وكانت هذه بداية حرب جديدة ضد المسلمين. وكان ثمة عيب خطير آخر في القيادة كان متأصلا في أجداده من قبله، وهو اعتداد الناصر لدين الله برأيه ومخالفته أمر الشورى، ذلك العيب الذي تفاداه أبوه من قبله. وزاد من ذلك أمر آخر كان في غاية الخطورة، وهو أن الناصر لدين الله كان قد استعان ببطانة سوء ووزير ذميم الخلُق يدعى أبا سعيد بن جامع، والذي شكّ كثير من المؤرخين في نياته، وشك كثير من الأندلسيين والمغاربة المعاصريين له في اقتراحاته. فإن كثيرا منهم قالوا بأنه كان على اتصالات مع النصارى، والتي أدّت إلى النكبة الحتمية فى معركة العقاب (١)، ومع كل هذا فقد كان هو الرجل الوحيد الذي يأمن له الناصر لدين الله ويستعين بآرائه، ضاربا عرض الحائط كل آراء أشياخ الموحدين وقادة الأندلسيين في ذلك الوقت.

على الجانب الآخر من أحداث دولة الموحدين فقد كانت هناك تعبئة روحية عالية في جيش النصارى يقودها البابا في روما بنفسه، وقد أعلنوها حربا صليبية وراحوا يضفون عليها ألوانا من القداسة، وقد رفعوا صور المسيح، وصرح البابا بأن من يشارك في هذه الحرب سيمنح صكوك الغفران، تماما كما حدث في موقعة الزلاّقة.

أتبع ذلك استنفار عام في كل أنحاء أوروبا، اشتركت فيه معظم الدول الأوروبية حتى وصل إلى القسطنطينية في شرق أوروبا وبعيدا جدا عن بلاد الأندلس، وقد تولت فرنسا مهمة الإنفاق على الجيوش بالإضافة إلى إمداد الجيش القشتالي بالرجال، وكانت فرنسا يهمها كثيرا هزيمة المسلمين لكونها البلاد التالية لبلاد الأندلس، فإن قامت لدولة الموحدين دولة قوية فحتما ستكون الدائرة عليها في المرحلة التالية.

وقد زاد الأمر تعقيدا إرسال البابا رسالة إلى مملكة نافار – وكانت قد وقعت معاهدة مع المنصور الموحدي قبل وفاته – يحضها فيها على نبذ المعاهدة التي مع الموحدين، وعلى استعادة العلاقة مع القشتاليين، وكان القشتاليون – كما ذكرنا – قد اختلفوا مع مملكة ليون ونافار بعد هزيمة الأرك، لكن البابا الآن يريد منهم التوحد في مواجهة الصف المسلم، فخاطبه بنقض عهده مع المسلمين ومحالفة ملك قشتالة، فما كان من ملك نافار إلا أن

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣١٢.

أبدى السمع والطاعة. توحدت دول وبلغ عدد جيوشها مائتي ألف نصراني يتقدمهم الملوك والرهبان نحو موقعة فصل بينهم وبين المسلمين.

التقى الطرفان على جبال الشارات أو السييرا مورينا وعسكروا في أطراف تلك الجبال. نظمت الصفوف وحمس الجنود وكان الجميع بانتظار شرارة البداية حتى كان السادس عشر من يونيو الموافق الخامس عشر من صفر ٦٠٩ هـ. في ذلك اليوم التحم الجيشان وفي بادئ الأمر قاومت مقدمة الجيش الإسلامي المؤلفة من المتطوعين المغاربة وصدر الجيش المكون من الجيش النظامي الموحدي قاوموا فرسان التحالف المسيحي مقاومة شرسة حتى بدأت قوات المسيحيين بالتراجع وظهرت عليهم أمارات الخوف. استشار ألفونسو قادة جيشه وكبار دولته فأشاروا عليه بمحاولة حصار الجيش الإسلامي وكان صوابا أن فعل فانطلق جناحا الجيش المسيحي المكون من قوات نافارة وأراجون وطوقوا جيش محمد الناصر الأمر الذي أدى إلى اضطراب الجيش وانسحاب جناحاه من أرض المعركة.

بعد ذلك اقتحم المسيحيون الجيش الإسلامي وقتلوا أغلب من فيه وانسحب من استطاع أن ينسحب إلى بلاد المغرب وكان منهم محمد الناصر ومجموع الجنود. انسحب محمد الناصر مكرها، فبعد أن رأى هزيمة جيشه ومقتل ابنه على أرض المعركة جلس في خيمته منتظرا الموت أو الأسر إلا أن جموع المسلمين المنسحبة أجبرته على الانسحاب معها فانطلق حتى وصل إلى إشبيلية ومنها إلى مراكش.

صفته: أبيض أشقر شعر اللحية، أشهل العينين أسيل الخدين حسن القامة كثير الإطراق شديد الصمت بعيد الغور، حليما شجاعا عفيفا عن الدماء قليل الخوض فيما لا يعنيه وكان أكبر أسباب صمته لثغا بلسانه ([1])

ظاهرية محمد الناصر: حرص على تولية القضاة من أهل الظاهر لا سيما على مناطق التجمع لأهل الظاهر كجزيرة ميورقة كما أسلفنا، كما اتخذ وزيرا ظاهريا وهو أخاه إبراهيم بن يعقوب المنصور ([2]).

(١) المراكشي، المعجب، ص٢٥٤.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٢٥٤.

obeikandi.com

وفاته: لما وصل الناصر مراكش بعد العقاب أخذ البيعة لابنه يوسف الملقب

بالمستنصر، فبايعه كافة الموحدين وخطب له على جميع منابرهم، وذلك فى العشرة الأخيرة من ذى الحجة سنة ٦٠٩هـ، فلما تمت البيعة دخل الناصر قصره فاحتجب عن الناس إلى شهر شعبان من سنة ٦١٠هـ فمت مسموما بأمر وزرائه دسوا له من سمه من جواريه، لأنه كان قد عزم على قتلهم، فكانت وفاته يوم الأربعاء ١١ شعبان سنة ٦١٠هـ (١) وقيل توفى عندما احتل رباط الفتح من سلا ليلة الثلاثاء عاشر شعبان ٦١٠هـ، وقيل غير ذلك (٢)، وأصح ما قيل فى سبب وفاته أنه أصابته سكتة من ورم فى دماغه يوم الجمعة فاقام ساكتا لا يتكلم أيام السبت والأحد والاثنين والثلاثاء وأشار عليه الأطباء بالفصد فرفض، فكانت وفاته يوم الأربعاء (٣).

٦- أبو يعقوب يوسف الثانى المستنصر بالله بن الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن على ٦١١-٦٢٠هـ لقبه المنتصر او المستنصر، كنيته أبو يعقوب.

صفته: شاب السن، حسن القد، أزهر اللون، جميل الصورة، أقنى الأنف، سبط الشعر صافى السمرة مستدير الوجه شديد الكحل يشبهونه بجده المنصور فى أكثر خلقه وخلقه (٤).

بيعته: وفي يوم السبت أذن للناس عامة وأبو عبد الله بن عياش الكاتب قائم على رأسه يقول للناس: تبايعون أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين، على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمع والطاعة في المنشط والمكره واليسر والعسر، والنصح له ولولاته ولعامة المسلمين، هذا ماله عليكم. ولكم عليه أن يحمي ثغوركم، وأن لا يدخر عنكم شيئاً مما نعمكم مصلحته، وأن يعجل لكم عطاءكم. وأن لا يحتجب دونكم. أعانكم الله

(١) ابن عذارى، روض القرطاس، ص٣١٦،٣١٧.
(٢) السلاوى، الاستقصا، ٢/٢٠١.
(٣) المراكشى، المعجب، ص٢٦٦.
(٤) نفسه، ص٢٦٦.

على الوفاء، وأعانه على ما قلده من أموركم.(١)

قلت: بويع له وهو بلا حكمة ولا تجربة ولا معرفة بالأمور فأقام أشياخ الموحدين مع أشياخ من أعمامه الدولة، ومن ثم استقرت خلافته لذلك ولم ينازع عليها، ولم يغز فى أيامه، إلا أن أوامره لم تمتثل وكل من ولى بلدا عمل فيه برأيه واستبد بأمره، ولما كبر واستقبل أمره ونهيه فرق أعمامه من حواليه وكانوا يسوسون الدولة وقرب أناسا لم يكن لهم أصل فى الدولة.

وبعد أربعة أشهر من حكم المستنصر، قبض على رجل كان قد ثار عليهم اسمه عبد الرحمن، ادعى أنه من أولاد العاضد من خلفاء المصرين .وكان خروجه في زمن أبيه محمد بن يعقوب، والتفت عليه ببلاد صنهاجة جماعة كبيرة. وكان كثير الإطراق والصمت، حسن الهيئة. وقصد سجلماسة في حياة محمد بن يعقوب في جيش عظيم. فخرج إليه متوليها سليمان بن عمر بن عبد المؤمن .فهزمه عبد الرحمن هذا، وأعاده إلى سلجلماسة أسوأ عود. ولم يزل يتنقل في قبائل البربر ولا تثبت عليه جماعة لأنه غريب البلد، حتى قبض عليه بظاهر فاس. فضربت عنقه وصلب، ووجّه برأسه إلى مراكش. وثار في أيام يوسف رجل ببلده جزولة يدعى أنه فاطمي، فقتل وجيء برأسه. وثار آخر من صنهاجة، فقتل في سنة ثماني عشرة وستمائة، بعد أن أثر آثاراً قبيحة، وهزم بعوثاً كثيرة، وافسد خلقاً من الناس (٢).

قال ابن خلكان: لم يكن فى بنى عبد المؤمن أحسن وجها من المستنصر، ولا أبلغ فى المخاطبة، إلا أنه كان مشغوفا براحته فلم يبرح عن حضرته فضعفت الدولة فى أيامه (٣)

قلت: وفى عهده ظهر بنى مرين بفاس سنة ٦١٣ هـ، وكذا هزم المسلمين بقصر أبى دانس بالاندلس سنة ٦١٤هـ وهى من الهزائم الكبار التى تشبه العقاب (٤).

وقد أمر المستنصر بقتل جماعة من النصارى، وقامت العامة بثورة عارمة وأحرقت جثثهم، وذلك لقيام النصارى بالتبشير بالمسيحية بمراكش، ودعوتهم العامة لنبذ الإسلام،

(١) نفسه، ص٢٦٨.
(٢) النويرى، نهاية الأرب، ٣٤٤/٢٤.
(٣) نقلا عن: السلاوى، الاستقصا، ٢٠٤/٢.
(٤) السلاوى، الاستقا، ٢٠٣،٢٠٢/٢.

واعتناق المسيحية ([1]).

وفى عهده ظهر طالب من نسب عثمان بن عفان كان يقول ليس محمد خاتم النبيين هذه كلمة قالها موسى وعيسى، وقيل إنه رأى الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وملكا يلازمه هو شلاتون ورأى الملائكة كلهم شيوخ إلا محمد كهلا، ورأى الجنة والنار، وفى الجنة رأى ابن حزم على الدرجة ١٠٧، والقاضى أبا عمران بن عمران على إحدى عشرة درجة، وكان يخبر بأشياء وينذر بوقوع أشياء فتحدث كما قال، وتحدث الناس عنه كثيرا حتى حمل للقاضى ابن القطان مقيدا فأمر بقتله ليكون أمره عبرة للسائلين على حد تعبير المراكشى([2]).

وفاته: توفى عشى يوم السبت ١٢ من ذى الحجة سنة ٦٢٠هـ وكان مغرما بالبقر والخيل، فيؤتى بالبقر من الأندلس فيستنتجها فى رياضه الكبير من حضرة مراكش، فركب فحلا من الثيران ومشى به بين البقر فقصدت إليه واحدة منهن كانت شرودة فضربته بقرنها على قلبه فمات من حينه ([3]) وقيل سمه الوزير ابن جامع والفتى مسرور([4]).

٧- أبومالك عبد الواحد المخلوع بن يوسف بن عبد المؤمن بن على ٦٢٠هـ - ٦٢١هـ بايعه أشياخ الموحدين على كره منه بقبة النصر من قصبة مراكش، وذلك فى ضحى يوم الأحد ١٣ من ذى الحجة ٦٢٠هـ وهو فى سن الشيخوخة، وكان رجلا صالحا فاضلا متورعا فاستقام له الأمر شهرين، وخطب له فى جميع البلاد ما عدا مرسية بالأندلس وكان واليها ابن أخيه عبد الله الملقب بالعادل، ووزيره عبد الرحمن بن يوجان المعروف بالاصفر الذى كان يستعيذ منه المنصور إذا رآه ويقول "ما يجرى على يديك من الفتن يا أصفر "هذا الوزير منع العادل من المبايعة وقال له "إنك أحق بالخلافة واقرب إليها منه، أنت ولد المنصور وأخو الناصر وعم المنتصر ولك الحزم والعقل الراجح والكرم وحسن السياسة وإصابة الرأى ولو دعوت الموحدين إلى بيعتك لم يختلف عليك اثنان

(١) مجدى ياسين عبدالعال، مراكش منذ تأسيسها فى عصر المرابطين إلى نهاية دولة بنى مرين، ص٢٨٢.
(٢) المراكشى، الذيل والتكملة، السفر الثامن القسم الأول، ص١٧٩-١٩١.
(٣) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٣١٩.
(٤) الزركشى، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص٢٠.

فدع التوانى وبادر إلى فسخ أمره قبل التمكين "فأسرع العادل إلى مجلس حكمه وأرسل إلى كبار مرسية وفقهائها يدعوهم لبيعته فبايعوا، وأرسل لوالى إشبيلية فبايع وبايعه ولاة قرطبة ومالقة وغرناطة ثم ارسل إلى مشايخ الموحدين بمراكش ودعاهم إلى بيعته وخلع عبد الواحد فتم ذلك وبعد خلع عبد الواحد تحت التهديد والتخويف شهد القاضى والفقهاء والأشياخ على خلعه ومبايعته للعادل، وذلك فى اليوم التالى من خلعه وهو الأحد ٢٢ شعبان ٦٢١هـ(١) .

قال الملاحى: يذكر عنه أنه كان مجاب الدعوة (٢)

وفاتة: بعد ثلاثة عشر يوما من خلع عبد الواحد دخل عليه مشايخ الموحدين فخنقوه حتى مات فى الخامس من رمضان ٦٢١هـ وانتهبوا قصره وأخذوا أمواله وسبوا حريمه وهتكوا ستره، فكان رحمه الله أول من خلع وقتل من بنى عبد المؤمن (٣)

٨- أبو محمد عبد الله العادل بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ٦٢١هـ - ٦٢٤هـ لقبه العادل فى أحكام الله تعالى. كنيته أبو محمد .

أمه: أم ولد رومية من سبى شنترين، اسمها سر الحسن .

صفته: أبيض اللون تام القد نحيل الجسم أشهل العينين، أقنى الأأنف، خفيف العارضين، حازم فى أموره قبل خلوص الأمر له (٤)

بويع له البيعة الأولى بمرسية، واجتمع على بيعته كافة الموحدين ما عدا أهل أفريقية الحفصيون الذين استبدوا لأنفسهم بالأمر، وخطب له بحضرة مراكش وسائر بلاد العدوة والأندلس، وتوقف عن بيعته صاحب بلنسية وشاطبة ودانية عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن بن على، ثم إن صاحب بياسة وقرطبة وجيان وقيجاطة وحصون الثغر الأسوط عبد الله بن محمد بن إدريس لما رأى أخاه عبد الرحمن صاحب بلنسية

(١) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٣٢٠،٣٢١؛ وانظر: السلاوى، الاستقصا، ٢/٢٠٥.
(٢) ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص١٢٣.
(٣) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٣٢٠،٣٢١.
(٤) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٣٢٣.

ضابطا لبلاده نقض بيعته هو الآخر واستقل بما تحت ملكه مما أدى إلى وقوع القتال بينه وبين العادل.

استنصر صاحب بياسة وقرطبة والذى عرف بالبياسى بألفونسو ملك النصارى على العادل مقابل أن يعطيه بياسة وقيجاطة، فكان أول من سن إعطاء البلاد والحصون للنصارى، وانتصر البياسى هو ومن معه من النصارى على جيش العادل والذى كان بقيادة أخيه إدريس، ومن ثم لما رأى العادل ذلك انفلت من الأندلس إلى المغرب واستقر بقصر الخلافة بمراكش، وفوض أمر الاندلس لأخيه إدريس .

خلع العادل وقتله: لم يستمر إدريس فى ولايته لأخيه العادل طويلا إذ سرعان ما نكث بيعته ودعا لنفسه بالخلافة وتلقب بالمأمون فبايعه أهل إشبيلية وجميع مدن الأندلس، وكتب إلى الموحدين بمراكش يعلمهم بما وقع ويدعوهم لبيعته وخلع العادل فدخل أشيخ الموحدين على العادل القصر وسألوه أن يخلع نفسه فامتنع فجعلوا رأسه فى خصة تفور بالماء، وقالوا: لا نفارقك أو تشهد على نفسك بالخلع وتبايع لأخيك المأمون. فقال لهم اصنعوا ما بدا لكم أنا لا أموت إلا أمير المؤمنين فجعلوا عمامته فى عنقه وخنقوه بها ورأسه فى ماء الخصة حتى مات يوم الثلاثاء ٢١ شوال سنة ٦٢٤هـ، وكتبوا البيعة للمأمون، ثم نكثوا بيعتهم وبايعوا ليحيي بن محمد الناصر (١)، وسبحان من بيده الأمر وكما تدين تدان خلع فانخلع، وقتل فقتل .

٩- يحيى المعتصم بالله بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ٦٢٤هـ - ٦٢٦هـ

كنيته: أبو زكريا، وقيل أبو سليمان. لقبه: المعتصم بالله .

صفته: شاب السن حسن القد والوجه، أدم اللون، خفيف العارضين، أشقر الشعر (٢).

بايع له الموحدون فى جامع المنصور بمراكش، بعد أن خنقوا عمه العادل (عبد الله بن يعقوب) ونكثوا بيعة عمه الثاني المأمون إدريس ابن يعقوب سنة ٦٢٤ هـ.

(١) نفسه، ص٣٢٣-٣٢٥؛ وانظر السلاوى، الاستقصا، ٢/٢٠٧،٢٠٨.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٢٥.

قلت: نكث أشياخ الموحدين بيعة المأمون لمعرفتهم بشهامته وشدة سطوته فى حين أن يحيى سيكون أطوع لهم فى تحقيق رغباتهم، فضلا عن قتلهم عبد الواحد عم المأمون وأخاه العادل،.

وقد امتنع عرب الخلط وقبائل هسكورة عن مبايعة يحيى وقالوا قد بايعنا للمأمون فلا ننكث بيعته .

فلما رأى يحيى اختلال أمره ومبايعة أكثر أهل المغرب لعمه المأمون فر إلى تينملل فى جمادى الآخرة سنة ٦٢٦هـ، وكتب أشياخ الموحدين للمأمون بخبر يحيي وضبطوا له مراكش ريثما يقدم عليهم .

مكث يحيى بالجبل أربعة أشهر ثم عاد إلى مراكش وطرد عامل المأمون وظل بها سبعة أيام ثم خرج إلى جبل جيلز وعسكر به، وكان المأمون قد استنصر بملك قشتالة فرناندو الثالث(١) لقتال يحيى مقابل شروط منها أن يعطيه عشرة حصون مما يلي إشبيلية وأن يبني لجنده الأسبان كنيسة في مراكش إذا دخلها وأن من أسلم من جنده لا يقبل إسلامه (٢).

تقدم المأمون بمن معه من الموحدين والفرنجة وعند اقترابه من مراكش وقع الاشتباك بينه وبين يحيى يوم السبت ٢٥ ربيع الأول ٦٢٦هـ وهزم يحيى وفر إلى الجبل بعد مقتل الآلاف من أتباعه، ودخل المأمون مراكش(٣).

١٠-أمير المؤمنين أبوالعلاء إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن على الظاهرى (٦٢٦هـ - ٦٣٠هـ)

ولد بمالقة سنة ٥٨١هـ. رفض زعم ابن تومرت للمهدوية وللعصمة (٤) مثل أبيه

---

(١) كانت أم المأمون أسبانية .

(٢) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٣٢٩.

(٣) السلاوى، الاستقصا، ٢/٢١١،٢١٢.

(٤) وهذا نص رسالته إلى الكافة فى ظل دولته بمنع المهدوية والعصمة لابن تومرت ... من عبد الله بن ادريس أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين الى الطلبة و الاشراف والاعيان والكافة ومن معهم من المؤمنين و المسلمين، أوزعهم الله شكر أنعمه الجسام ولا أعدمهم طلاقة أوجه الايام الوسام وانا كتبنا اليكم -كتب الله لكم= =عملا منقادا ، وسعدا وقادا وخاطرا سليما لايزال على الطاعة مقيما - من خضرة مراكش - كلاها الله

المنصور تماما لكن المأمون حسم الأمر بالقوة وكتب الكتب التى تنهى عن تلقيب ابن تومرت بالمهدى والمأمون، وكان ذلك أول أعماله التى أعلنها من على منبر مراكش بعد مبايعة الموحدين له، و نوه بأن أبا يوسف يعقوب المنصور كان قد عزم على ذلك الأمر لولا أجله، فقام بمحو اسم المهدي من السكة والخطبة وإلغاء النعي عليه في النداء للصلاة باللغة الآمازيغية وإلغاء زيادة النداء لطلوع الفجر وهو: "أصبح ولله الحمد" وغير ذلك من السنن التي اختص بها المهدي واعتبرها من البدع.

عقب ذلك دخل المأمون قصره ولبث به ثلاثا وطلع فى اليوم الرابع فدعا اشياخ الموحدين وأظهر لهم كتابهم إليه بالبيعة ثم نكثهم لها والتفت إلى قاضيه يسأله عن حكم الشرع فيهم: فقال القاضى "يا أمير المؤمنين إن الله يقول ومن نكث فإنما ينكث على نفسه "فقال المأمون صدق الله العظيم فإنا نحكم بهم بحكم الله "ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون" فأمر بهم فقتلوا (١)، وبايع المأمون حاكم فاس وحاكم تلمسان وحاكم سبتة وحاكم بجاية .

وقد نفذ المأمون شروط ملك قشتالة فرناندو الثالث فسلمه الحصون العشرة وبنى في

تعالى – وللحق لسان ساطع وحسام قاطع ، وقضاء لايرد وباب لايسد وظلال على الافاق تمحو النفاق وبعـــــــــــــــد:

فالدي نوصيكم به تقوى الله العظيم و الاستعانة به والتوكل عليه ولتعلموا أنا نبدنا الباطل و أظهرنا الحق وأن لامهدي الا عيسى بن مريم روح الله وما سمي مهديا الا لانه تكلم في المهد فتلك بدعة قد أزلناها= =والله يعيننا على هده القلادة التي تقلدناها وقد أزلنا لفظ العصمة عمن لم تثبت له عصمةفلدلك أزلنا عنه رسمه (يقصد ابن تومرت) فيمخى ويسقط ولا يثبت وقد كان سيدنا المنصور (بطل موقعة الارك الخالدة) رضي الله عنه هم بأن يصدع بما به الان صدعنا وأن يرقع للامة الخرق الدي رقعنا قلم يساعده لدلك أمله ولا أجله اليه أجله فقدم على ربه بصدق نية وخالص طوية واداكانت العصمة لم تثبت عند العلماء للصحابة فما الظن بمن لم يدر بأي يد يأخدكتابه أف لهم قد ضلوا وأضلوا ولدلك ولوا ودلوما تكون لهم الحجة على تلك المحجة ، اللهم اشهد اللهم اشهد أنا قد تبرأنا منهم تبرؤ أهل الجنة من أهل النار ونعود بك ياجبار من فعلهم الرثيث و أمرهم الخبيث انهم في المعتقد من الكفار وانا نقول فيهم كما قال نبيك عليه السلام "رب لا تدر على الارض من الكافرين ديارا "والسلام على من اتبع الهدى واستقام. أنظر: رسائل موحدية، تحقيق أحمد العزاوي، منشورات جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، ٣٨٤،٤٨٥/١.

(١) السلاوى، الاستقصا، ٢١٣/٢.

مراكش كنيسة لجنده الأسبان .وأخذت النواقيس تدق بالعاصمة الموحدية منذ إنشاء الكنيسة(١).

قلت: لقى هذا الأمر اعتراضا من الفقهاء وعلى رأسهم قاضى الجماعة بمراكش أبومحمد عبدالحق بن عبدالحق الذى سجنه المأمون حتى افتدى بستة آلاف دينار، كما اعترض على هذا البناء يحيى بن الناصر ووجد تأييدا من فقهاء المالكية والظاهرية، واستغل يحيى انشغال المأمون بالقضاء على حركة أخيه أبى موسى عمران بن المنصور بالخروج عليه فى سبته وتسميه بالمؤيد فى عام ٦٢٩هـ/١٢٣١م وقام يحيى يؤيده عرب سفيان وشيخهم جرمون بن عيسى، ومعهم أبوسعيد بن وانودين شيخ هنتانة بدخول مراكش وهدم كنيسة النصارى وقتل كثيرا ممن بها، والسيطرة على أموالهم، وقتل كثيرا من اليهود وأبناء الزنا وسبى أموالهم ودخل القصر وحمل ما فيه إلى الجبل، ولما وصل الخبر للمأمون وكان بسبتة عاد مسرعا إلى مراكش وبلغه وهو فى الطريق سيطرة ابن هود على سبتة فأصيب بفجعة ومرض مرضا شديدا ومات بوادى العبيد يوم السبت منسلخ ذى الحجة سنة ٦٢٩ هـ (٢)، ولا شك أن هذه المعارضة فضلا عن هدم الكنيسة له ما يبرره إذ إن العهدة العمرية اشترطت عدم إحداث كنائس جديدة فى ديار الإسلام (٣)، وهو ما دفع الظاهرية إلى تأييد المعارضة، فضلا عن أن ابن حزم الذى يعمل الظاهرية بفتاويه أفتى بأنه ليس لأهل الذمة أن يظهروا من أمر دينهم شيئا لم يكن فى صلحهم، وما دام إحداث الكنائس ليس فى الصلح فمن الواجب معارضة تشييد أهل الذمة لها وهدمها، وقد اتفق الشافعية والأحناف والحنابلة مع الظاهرية بخصوص فتوى ابن حزم لأن أئمتهم أفتوا بما أفتى به ابن حزم (٤)

(١) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٣٢٩؛ وانظر: ابن خلدون، العبر، ١٢/٥٣٠،٥٣١؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/٢٣٧-٢٣٩؛ عنان، عصر الموحدين، ص٣٧٢.

(٢) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٣٣٢،٣٣٣؛ وانظر ك الناصرى، الاستقصا، ٢/٢٣٧-٢٤٠؛ وانظر: عزاوى، رسائل موحدية، ١/٤٠١.

(٣) أنظر: نص العهدة العمرية فى ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبى سعيد عمر غرامة، دار الفكر، بيروت، ١٤٥١هـ/١٩٩٥م، ٢/١٧٤ وما بعدها.

(٤) الونشريسى، المعيار، ٢/٢٥١.

وفى سنة ٦٢٨هـ أنفذ المأمون الكتب إلى جميع البلاد بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر، وفيها أيضا خرجت بلاد الأأندلس عن ملك الموحدين إلى ابن هود .

صفته وصفاته: قال ابن الخطيب: كانت له نفس كبيرة وكان عالما كاتبا أديبا فصيحا بليغا ذا نجدة ورأى وحزم إلا أن دولته كانت مزاحمة بأبى زكريا يحيي بن الناصر فلم يتأت له معه تمهيد (١).

وقال ابن أبى زرع: كان أبيض اللون أكحل العينين معتدل القد مليح الوجه فصحيح اللسان فقيها حافظا لحديث النبى ضابطا للرواية عارفا بالقرءات حسن الصوت والتلاوة، إماما فى اللغة العربية والمعرفة بالآداب وايام الناس، كاتبا بليغا له التوقيعات العجيبة إماما فى الحديث لم يزل ايام خلافته يقرأ كتاب الموطأ وكتاب البخارى وسنن أبى داوود عالما بأمور الدين والدنيا، وكان مع ذلك شهما حازما مهابا شجاعا مقداما على عظائم الأمور إلا أنه كان سفاكا للدماء لا يتوقف فيها طرفة عين (٢).

وقال أيضا: ولولا أن الحال فى دولته تغيرت والفتن فى نواحى الأندلس والمغرب قد اشتعلت لكان المأمون موافقا لوالده المنصور فى الخلال، متابعا له فى جميع الأعمال والأحوال(٣)

ظاهرية المأمون: كان المأمون معروفا بانه يقضى بأحكام الفقه الظاهرى ويولى قضاة من الظاهرية شأنه شأن حكام الدولة قبله وكان يحصر الأحكام فى الكتاب والسنة والإجماع ويكتب الرسائل للقضاة بذلك، وينكب بمن ينتقدون ابن حزم الظاهرى كما فعل بالقاضى عبدالحق بن بدالله بن عبدالحق الأنصارى الذى أمر بالقبض عليه وتقييده لأنه صنف كتابا فى الرد على ابن حزم (٤).

(١) أنظر: الحلل الموشية، ص١٢٣،١٢٤.
(٢) أنظر: روض القرطاس، ص٣٢٨.
(٣) أنظر: روض القرطاس، ٣٣٣.
(٤) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٣٣٢.

١١-أبو محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن على الظاهرى ٦٣٠هـ - ٦٤٠هـ (١)

كنيته: أبو محمد. لقبه: الرشيد .

أمه: أم ولد اسبانية اسمها حباب كانت من دهاة النساء وعقلائهن .

بُويع عبد الواحد بوادى العبيد بعد وفاة والده بيوم وهو يوم الأحد غرة محرم سنة ٦٣٠هـ ولُقِّبَ بالرشيد مع خلاف ابن عمِّه يحيى بن الناصر لَهُ، وعقب البيعة توجه الرشيد إلى مراكش وحمل اباه أمامه فى تابوت .

وفي عهده تولى يغمراسن بن زيان حكم إقليم تلمسان الذي كتب له الخليفة بالعهد على ولاية المغرب الأوسط.

وثار ابن وقاريط بقومه وأخذ بدعوة يحيى بن الناصر فاستنفرت له قبائل الموحدين ونهض إليهم الرشيد سنة ٦٣١هـ واستخلف على مراكش صهره أبا العلى إدريس وصعد إليهم الجبل فأوقع بيحيى وجموعه بمكانهم من هزرجة واستولى على معسكرهم ولحق يحيى ببلاد سجلماسة وعاد الرشيد إلى عاصمته واستأمن له كثير من الموحدين الذين كانوا مع يحيى بن الناصر فأمنهم ولحقوا بحضرته، وكان كبيرهم أبو عثمان سعيد بن زكريا الكدميوي وجاء الباقون على أثره بسعيه بعد أن اشترطوا على الرشيد إعادة الطقوس التي أزالها والده المأمون من رسوم المهدي فأعيدت وقدم فيهم أبو بكر بن يعزى التينمللي رسولا عن يوسف بن علي بن يوسف شيخ تينملل ومحمد بن يوزيكن الهنتاني رسولا عن أبي علي بن عزوز ورجعا إلى مرسليهما بالقبول فقدما على السلطان في مراكش وقدم معهم موسى بن الناصر أخو يحيى وكبيره وجاء على أثرهم أبو محمد ابن أبي زكريا وقاموا باسترجاع رسوم الدعوة المهدية، فبدأ الرشيد يقيم الخطبة بذكر المهدي بن تومرت، ليستميل بذلك قلوب الموحدين.

وفى عهده قام عمر بن وقاريطر بإغراء مسعود بن حمدان الخلطي على التمرد، وهو كبير قبيلة الخلط العربية الذين كانت قواتهم يومئذ تناهز إثني عشر ألفا، فأغراه ذلك، وتثاقل

(١) عنه أنظر: الذهبى، تاريخ الإسلام، ابن خلدون، الخبر عن دولة الرشيد بن المأمون، الناصرى، الاستقصا .

في الذهاب إلى أداء الطاعة، وتمرد على الخليفة. فأعمل الرشيد حيلة لاستدعائه، فأبعد جيشه إلى باجة كي يطمئن الآخر، فاستقدمه بحضرة مراكش وقدم معه معاوية وهو عم عمر بن وقاريط فقبض عليه وقتله واستدعى مسعود بن حمدان إلى المجلس الخلافي للحديث فقبض عليه هو كذلك ومعه أصحابه فقتلوا ساعتئذ، وبعد أن قضى الرشيد حاجته فيهم استقدم وزيره وعساكره من باجة فقدموا. ولما بلغ خبر مقتلهم إلى قومهم عينوا عليهم يحيى بن هلال بن حمدان واستقدموه من مكانه بقاصية الصحراء .وساندهم في ذلك عمرو بن وقاريط، فقاموا بالزحف لحصار مراكش وخرجت عساكرها لقتالهم ومعهم عبد الصمد بن يلولان واشتبكوا مع ابن وقاريط، فتفاقم أمر ساكنة مراكش بسبب انعدام المؤن.

فعزم الرشيد الخروج إلى جبال الموحدين وسار منها إلى سجلماسة فملكها واشتد الحصار على مراكش وافتتحها يحيى بن الناصر وقومه من هسكورة وعرب الخلط فسيطروا على عاصمة الخلافة. وتغلب على السلطان أبو إبراهيم بن أبي حفص الملقب بأبي حاقة. وفي سنة ٦٣٣ هـ تجهز وخرج السلطان الرشيد من سجلماسة يقصد مراكش وخاطب جرمون بن عيسى وقومه من بني سفيان فأجازوا واد أم الربيع وبرز إليه يحيى في جموعه والتقى الفريقان فانهزمت جموع يحيى واستحر القتل فيهم ودخل الرشيد إلى حضرة مراكش منتصرا، وبقى بها إلى وفاته سنة ٦٤٠هـ، وأما يحيي بن الناصر ففر بعد الهزيمة قاصدا رباط تازة فغدر به عرب المعقل فقتلوه غيلة وحملوا راسه للرشيد (١).

وقد منح عبد الواحد الرشيد الإشبيليين عام ٦٣٧ هـ حق اللجوء إلى المغرب حسب ظهير حرره قاضي الرباط آنذاك أبو المُطرِّف بن عَميرة المخزومي، ولعل ذلك كان بسبب انضمام الإشبيليين إلى الرشيد عام ٦٣٥ هـ عندما حاول الأمير ابن هود اقتحام مصب أبي رقراق .

وقد كتب ابن سبعين المسائل الصقلية بأمر من الخليفة الرشيد.

ظاهرية عبد الواحد الرشيد: ظل محافظا على شعار الحكم فى الدولة والقائم على منهج أهل الظاهر إذ كان يكتب للقضاة الرسائل يوقفهم فيها على أن القضاء قائم على الكتاب

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٣٥.

والسنة والإجماع كما هو واضح من الرسائل الموحدية، فضلا عن قول ابن الأحمر الذى حكم على ظاهرية الدولة من بدايتها حتى انقرضها .

وفاته: وجد غريقا يوم الخميس تاسع جمادى سنة ٦٤٠ هـ /٤ نوفمبر ١٢٤٢م في أحد بساتينه بحضرة مراكش، وأخرج من الماء حيا فحم لوقته ومات (١)، وذكر المؤرخ أكنسوس أن غرق الرشيد كان في البركة الكبرى التي بدار الهناء من أجدال اليوم التي كانت تسمى بالبحر الأصغر لأن ملوك بني عبد المؤمن الذين أنشؤوها كانوا يرسلون فيها الزوارق والفلك الصغار بقصد النزهة والفرجة (٢).

١٢- أبو الحسن على السعيد بن إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن على ٦٤٠هـ - ٦٤٦هـ.

كنيته: أبو الحسن. لقبه: السعيد وسمى بالمعتصم بالله. أمه: أم ولد نوبية .

صفته: أسمر اللون شديد السمرة تام القد معتدل الجسم سبط الشعر، مليح العينين، معتدل اللحية عالى الهمة بطل شجاع مهاب. له إقدام فى الحروب ونجدة فاق بها من تقدمه من آبائه .

بويع له بالخلافة فى مراكش يوم الجمعة ١٠ جمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ .

فى عهده ظهر أمر بنى مرين بالمغرب وملكوا جميع بواديه، فأرسل إليهم بالجيوش فهزمت جيوش أمير المؤمنين .

وفى عام ٦٤٣هـ دخل الأمير ابو بكر بن عبدالحق مدينة مكناسة، وتملك يغمراسن بن زيان تلمسان وأحوازها، وتسمى محمد المستنصر والى أفريقية بأمير المؤمنين احتقارا لدولة على السيعد بن المأمون إزاء هذا التفكك لم يجد السعيد مفرا إلا الخروج للدفاع عن وحدة دولته فتجهز وخرج من مراكش فى جيوش لا تحصى فكان أول ما وقع أن خرج أبو بكر بن عبدالحق عن مكناسة وسلمها للسعيد، وخرج أهلها يطلبون منه العفو وقدموا بين ايديهم

(١) الزركشى، تاريخ الدلتين، ص٣٠.
(٢) السلاوى / الاستقصا، ٢/٢٢١.

الشيخ الصالح منصور بن حرزوز وصبيان المكاتب بالألواح على رؤسهم والمصاحف بايديهم فعفا عنهم، وارتحل إلى مدينة فاس وأقام بها اياما فجاءته بيعة أبى بكر بن عبدالحق فسر بها وخلع على القوم، ثم ارتحل إلى تلمسان فخرج عنها ابن زيان فارا بماله وأهله وتحصن بقلعة تامجزرت فخرج السعيد لينظر إلى مناعة القلعة ففطن له فارس من بنى عبدالواد فقتله وهبط ابن زيان من القلعة إلى تلمسان وأمر بالسعيد فغسل وكفن ودفن بالعباد خارج تلمسان (١)

١٣- أبو حفص عمر المرتضى ابن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن ٦٤٦هـ ٦٦٥هـ.-

كنيته: أبو حفص. لقبه المرتضى. أمه: حرة بنت عم أبيه .

ولى بإجماع من أشياخ الموحدين بمراكش وتمت بيعته بجامع المنصور بمراكش فى ربيع الأول سنة ٦٤٦هـ، وكان المرتضى واليا للسعيد بقصبة رباط الفتح، جاءته البيعة وهو هناك بعد مقتل السعيد فقرئت على الناس وبايعه الفقهاء والأشياخ ثم قدم مراكش فجددت له البيعة .

كان فاضلا خيرا عفيفا معمد السيف مائلا إلى الهدنة رحمه الله. قال ابن الخطيب: كان له حظ وافر من العلم والأدب وبراعة الخط (٢)، وقال ابن أبى زرع: كان المرتضى يدعى الزهد والتصوف والورع، وتسمى بثالث العمرين، وكان مولعا بالسماع لا يكاد يستغنى عنه ليلا ولا نهارا، وكانت ايامه أيام أمن ودعة ورخاء مفرط لم ير أهل مراكش مثلها والبقاء لله وحده (٣).

قلت: وكان الخليفة المرتضى يحتفل بليلة النصف من شعبان ويطلب من الشعراء والعلماء أن ينظموا له القصائد والكلمات التى تقال فى تلك الليلة (٤). وكان ابن القطان قد صنف له كتاب (المجموعات) جمع فيه العديد من القصائد التى تقال فى الاحتفاليات وفيها

(١) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٣٣٧،٣٨٣.
(٢) أنظر: الحلل الموشية، ١٢٦.
(٣) أنظر ك روض القرطاس، ص٣٤٠.
(٤) ابن القطان، نظم الجمان، ص٣٨،٣٩.

ما يخص شهر شعبان وكتاب (المسموعات في المدائح النبوية) ([1]) .

ظاهريته: أعلن المرتضى فى رسالة لأهل سبتة جاء فيها (وما تعبدنا ربنا – جلا وعلا– إلا بالظاهر) ([2]) وهو القول الذى طالما كرره ابن حزم والظاهرية مرارا فى كتبهم، وهذا القول يوضح أن الدولة ظلت حتى النهاية متبنية للمذهب الظاهرى، إذ إن المرتضى كان الحاكم قبل الأخير فى تاريخ الدولة، وهو ما يتوافق مع قول ابن الأحمر بأن الدولة ظلت تحكم بمحض الظاهرية من أول حكامهم إلى أن انقرضت دولتهم.

وفى العام ٦٥٣هـ خرج إلى فاس لقتال من بها من بنى مرين فهزم وعاد إلى مراكش وظل بها حتى دخلها عليه أبو دبوس آخر خلفاء الموحدين يوم السبت ٢٣ محرم سنة ٦٦٥هـ فخرج المرتضى فارا بنفسه، فظفر به وقتل فى ٢٢ صفر ([3]) .

١٤– أبو العلا الواثق بالله إدريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن بن على لقب بأبى دبوس ٦٦٥هـ ٦٦٨هـ.

أمه: أم ولد رومية اسمها شمس .

صفته: أبيض اللون أشقر أزرق العينين طويل القامة، طويل اللحية، بطل شجاع، داهية مقدام فى الأمور .

يقال إنه سمى بأبى دبوس، لأنه كان يستخدم الدبوس (آلة حرب شبيهة بالسهم)، وكان يصوبه ببراعة، وهو ملك المغرب العربى (تونس والجزائر والمغرب) وقتها، وآخر ملوك دولة الموحدين بالمغرب العربى والأندلس، قتل على يد أعدائه من بنى »مَرين«، وهرب أبناؤه وأحفاده، وتفرقوا فى شمال إفريقيا وخاصة فى تونس وليبيا، وهاجر آخر جزء منهم إلى مصر، واستقربها بقيادة الأمير «منصور أبو دبوس» حفيد الملك الواثق بالله أبى دبوس

بيعته: بعد ان قتل المرتضى غدرا بايعه اشياخ الموحدين والوزراء والقضاة والفقهاء

(١) ابن أبي دينار، المؤنس، ص١٢٨؛ وانظر: محمد زكريا عناني وأنور السنوسي، تقديم ديوان ابن الصباغ الجذامي، دار الأمين، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص .ج

(٢) انظر: عزاوى، رسائل موحدية، ٤٩٥/١.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٣٩، ٣٤٠.

فى جامع المنصور بمراكش يوم الأحد ٢٣ محرم سنة ٦٦٥هـ، وكان سبب دخوله مراكش أن المرتضى اراد قتله فتحالف أبو دبوس مع أمير المسلمين يعقوب بن عبدالحق المرينى على حرب المرتضى نظير تخليه له عن مدينة مراكش واتصل أبو دبوس بخاصته من وزراء المرتضى الذين اخبروه بحال البلد فانتهز أبو دبوس فرصة خلو الأسوار من حراسها وحاميتها وتسور مراكش من باب أغمات ودخلها على حين فجأة وقصد القصبة فدخلها من باب

الطبول، ففر المرتضى من مراكش إلى آزمور فدخل أبو دبوس مراكش وقتل المرتضى غيلة وارسل بخبره إلى أبى دبوس .

ظاهريته: سبق وقد ذكرنا ما كانت عليه الدولة الموحدية من أولها إلى انقراضها حيث تبنت المذهب الظاهرى وجعلته مذهبا الرسمى كما ذكر ابن الأحمر .

مقتله وسقوط الدولة: بعد انتصار أبى دبوس دخله العجب وأدركه الكبر ونقض ما كان بينه وبين يعقوب بن عبدالحق المرينى وقال لرسوله "قل ليعقوب يغتنم سلامته ويقنع بما بيده من البلاد وإلا أتته بجنود لا قبل له بها" فضغب يعقوب وخرج يشن عليه الغارات ووقعت الحروب بينهما قاتل فيها أبو دبوس بنفسه حتى قتل يوم الجمعة فى شهر ذى الحجة سنة ٦٦٧هـ وأتى براسه إلى يعقوب المرينى فى فاس وطيف بها فى المدينة ([1])

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٤١-٣٤٣.

obeikandi.com

الولاة من أهل الظاهر

١- أحمد بن رشيق (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م) صاحب ميورقة فى عصر ملوك الطوائف وصاحب ابن حزم، وهو الذى آوى ابن حزم بجزيرته بعد أن طرده فقهاء المالكية من قرطبة وجعله أحد الوزراء المقربين له.

٢- أبو خالد الراضى يزيد بن المعتمد على الله بن المعتضد (ت ٤٨٤هـ)، ولاه أبوه الجزيرة الخضراء، وكان معظما للمذهب الظاهرى وكتبه، ولعله هو الذى طلب من الفضل أن يصنف له كتابا عن تاريخ الأسرة العبادية ونسبها، خاصة بعد أن صار الراضى ظاهريا، وأعاد لابن حزم اعتباره، بعد أن كان جده المعتضد (٤٣٤-٤٦٢هـ/١٠٤٢-١٠٦٩م) قد أمر بإحراق كتبه، وربما يقوى هذا الفرض إذا علمنا أن الراضى كان شغوفا بأنساب العرب (١)، وكان الراضى من أهل العلم والأدب قرأ مصنفات القاضى أبى بكر بن الطيب، وأقبل على المذهب الظاهرى ومهر فى الأصول، وكان على معرفة بالشرعيات والطبيعيات ذاكرا للعرب وأنسابها حافظا للغاتها وآدابها، وهو شاعر بنى عباد بعد أبيه، وكان له سبعة من البنين، قتل صبرا فى رمضان سنة ٤٨٤٨هـ بعد أن نزل من زندة عقب خلع والده المعتمد (٢)

٣- يوسف بن عبد المؤمن بت على كان واليا على إشبيلية سبق ذكره فى الخلفاء .

٤-يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن سبق ذكره فى الخلفاء .

٥- إبراهيم بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن على الكومى (ت ٦١٧هـ) نشأ ظاهريا وتعلم المذهب وولى الوزارة لأخية الناصر وظل فى الوزارة حتى عام ٦٠٥هـ/١٢٠٨م ثم ولاه الناصر على إشبيلية وكان المراكشى صاحب المعجب صاحبا له وصديقا. قال عنه المراكشى "لم أر فى العلماء بعلم الأثر المتفرغين المتفرغين لذلك أنقل منه للأثر(٣).

(١) ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/٣٤، ٧٠،٧١.

(٢) أبو معاوية البيروتى، طبقات أهل الظاهر، ص٩٥.

(٣) أنظر: المراكشى، المعجب، ص ٢٥٥،٢٥٦.

٦- أبو محمد عبد العزيز بن يوسف بن عبد المؤمن بن على. من أصغر أبناء يوسفبن عبدالمؤن أمه حرة اسمها مريم صنهاجية من قلعة بنى حماد، وكانت سبيت هى وأمها ملكة فيمن سبوا من أهل القلعة فأعتقهما عبدالمؤمن، وزوج مريم لابنه يوسف فولدت له ثمانية من الولد أربعة ذكور وهم إبراهيم وموسى وإدريس وعبدالعزيز، وأربع بنات هن زينب ورقية وعائشة وعلية .

ولى عبدالعزيز على مالقة وأعمالها فى عهد محمد الناصر سنة ٥٩٨هـ، ثم ولى فى عام ٦٠٣هـ أمر قبيلة هسكورة وهى ولاية كبيرة، ثم ولى على سجلمساة حتى مات الناصر وصدرا من خلافة ابنه المستنصر.

وقد ولاه يوسف المستنصر بن محمد الناصر مدينة إشبيلية حين عزل عنها أخاه أبا العلاء إدريس وولاه إفريقية.

وكان عبد العزيز هذا في أيام إمارته صواما قواما مجتهداً في دينه، شديد البصيرة في أمره، قوي العزيمة، شديد الشكيمة، لا تأخذه في الله لومة لائم، أرطب الناس لساناً بذكر الله وأتلاهم لكتابه، مع دماثه خلق ولين جانب وخفض جناح لأصحابه، مع سخاء نفس وطلاقة وجه(١).

ذكر المراكشى أنه شهده بنفسه فى ولايته ورغم أعباء الرعية فإنه لم يخل بشىء من أوراده ولا ترك وظيفة من الوظائف التى رتبها لنفسه من أخذ العلم وقراءة القرآن والأذكار التى رتبها فى الليل والنهار (٢).

صفته: أبيض تعلوه صفرة جميل الوجه جدا على قول المراكشى معتدل القامة متناسب الأعضاء.

أولاده: محمد وهو أكبرهم، عبدالرحمن، وأحمد، وبنات (٣).

٧-أبو حفص عمر المرتضى ابن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن ٦٤٦هـ ٦٦٥هـ. سبق ذكره فى الخلفاء.

٨-العلامة صديق حسن خان القنوجي الظاهري (ت ١٣٥٧هـ) الفقيه والمفسر حاكم بهوبال بالهند سيذكر فى الفقهاء .

---

(١) المراكشى، المعجب، ص٢٧٢؛ النويرى، نهاية الأرب، ٣٤٥/٢٤.

(٢) أنظر: المعجب، ص٢٧٢.

(٣) نفس المصدر والصفحة .

الأمراء من أهل الظاهر

١-أبو العباس أحمد بن يوسف بن أيوب بن شاذي (ت ٦٣٤هـ) ولد بحلب سنة ٥٧٧هـ كان يلقب بالملك المحسن ابن السلطان صلاح الدين الأيوبى نشأ نشوءا صالحا وحفظ القرآن وقرأ الأدب وطلب الحديث وأحضر الشيوخ من البلدان وسمع الكثير بعد الستمائة وكتب بخطه واستنسخ وحصل الكتب الكثيرة والأصول وجاور بمكة سنة كاملة أكثر فيها العبادة وقراءة الحديث على مشايخ الحرم ثم عاد إلى الشام وسكن بحلب عند أخيه الظاهر منقطعا في بيته مشتغلا بنفسه يحافظ على صلاة الجماعة في الجامع وحج بعد العشرين والستمائة ودخل بغداذ وسمع جماعة وحدث بها.

قال محب الدين ابن النجار كتبت عنه بحلب وكان صدوقا فاضلا متدينا كثير العبادة مليح الأخلاق ووقف كتبه كلها وجعلها بمدرسة أخيه (١) .

ظاهريته: قال ابن العديم "كان يميل إلى مذهب اهل الظاهر أولا ..." (٢)

وفاتة: توفي بحلب سنة أربع وثلاثين وستمائة وحمل إلى صفين ودفن بتربة عمار بن ياسر.

٢-الأمير ناصر الدين بن جنكلي (٣) بن البابا (ت٧٤١هـ) أحد أمراء الدولة الناصرية بالقاهرة كان جمال مواكب الديار المصرية وجهاً وصباحةً وقداً وشكلاً محبباً تام الخلق حسن الخلق لم يكن في زمانه أحسن وجهاً منه اشتغل في غالب العلوم ولم يزل مواظباً على سماع الحديث واختلط بالشيخ فتح الدين ابن سيد الناس كثيراً حفيد أبي بكر بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي الحافظ المحدث أحد أعلام الظاهرية وعنه أخذ معرفة الناس وأيامهم وطبقاتهم وأسماء الرجال. وكان الأمير ناصر الدين آية في معرفة فقه

---

(١) الصفدى، الوافى بالوفيات، ١٨٤/٨.

(٢) أنظر: بغية الطلب، ٢٢٥٩/٣.

(٣) جنكلي: نوع من الخشب اسود اللون أو رصاصي غامق، يستخدم في بناء السفن.قال الحنفي: (والنسبة فيه إلى (Jungle) بالانكليزية أي غابة. وربما كانت من (جنكل) الفارسية أي غابة، وترد اللفظة عند أهل البصرة والعراق والكويت في قولهم: (فلان جنكلي) أي لا يفهم شيئاً. فكان من عاش في الغابة كان ساذجاً بعيدا عن فهم اوضاع الناس في المدن.

السلف ونقل مذاهبهم وأقوال الصحابة والتابعين مع مشاركة جيدة في العربية والطب والموسيقى .وكان في أوله يتمذهب بمذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

قلت: وهذا الأمير شخصية محيرة فى التاريخ. بل عائلته كلها وهى عائلة آل جنكلى. فهم كانوا أمراء فى عصر المماليك، وكان لهم دور كبير فى تولية سلطان، وعزله، فضلا عن جهودهم الكبيرة فى الحروب، وفى قيام الثورات وخلافه .

وبشان الجنكلى الأمير فقد ذكر المقريزي عن شيخه شمس الدين النحوى محمد بن محمد الغمارى عن أبي حيان – الغرناطى الظاهرى– قال ألزمني الأمير ناصر الدين محمد بن جنكلي بن الباب المسير معه لزيارة أحمد البدوي بناحية طنتدا – طنطا الحالية وهى عاصمة محافظة الغربية بمصر– فوافيناه يوم الجمعة وإذا هو رجل طوال عليه ثوب جوخ عال وعمامة صوف رفيع والناس يأتونه أفواجاً فمنهم من يقول يا سيدي خاطرك مع غنمي وآخر يقول مع بقري وآخر مع زرعي إلى أن حان وقت الصلاة فنزلنا معه إلى الجامع وجلسنا لانتظار إقامة الجمعة فلما فرغ الخطيب وأقيمت الصلاة وضع الشيخ رأسه في طوقه بعد ما قام قائماً وكشف عن عورته بحضرة الناس وبال على ثيابه وحصر المسجد واستمر ورأسه في طوق ثوبه وهو جالس إلى أن انقضت الصلاة ولم يصل))([1]).

وقد ذكر هذه القصة نقلا عن المقريزى العلامة شمس الدين السخاوى تلميذ ابن حجر العسقلانى فى ترجمة محمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق الشمس أبي عبد الله الغماري شيخ العلامة المقريزى ([2]).

قلت: وهذه القصة لا تصح تاريخيا من وجوه:

الأول: أن الأمير ناصر الدين ابن جنكلي ولد سنة ٦٧٥ أي في السنة التي مات فيها البدوي.

(١) أنظر: درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة، ٣/ ٧٧.
(٢) أنظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٥٠/٩.

openkanal.com

ثانيا: أن الأمير الجنكلى لم يولد في مصر بل دخل مصر سنة ٧٠٢ أو ٧٠٣ أي بعد وفاة البدوي بخمس وعشرين سنة تقريبا.

ثالثا: أننا لو فرضنا جدلا أن الأمير الجنكلى هو الجد وليس الحفيد لتستقيم القصة مع الواقع التاريخى فسيبقى الإشكال قائما فى أن أبا حيان الغرناطى لم يدخل مصر إلا سنة ٦٧٨هـ أو سنة ٦٧٩ هـ أي بعد وفاة أحمد البدوي ببضع سنين. ومن ثم لا أدرى هل هذا السياق هو من تدوين المقريزى نفسه ؟!!! أم أن تحريفا وقع فى الرواية ؟ أم ان يد النساخ تطرقت لاصل الكتاب وأدرجت هذه القصة. فالله أعلم بالصواب.

وقد ذكر العلامة المقريزى "الجنكلى أيضا" فى كتابه العظيم السلوك لمعرفة دول الملوك فى أحداث سنة ٧٣٢هـ بقوله "وفيه – أى يوم الاثنين ٥ صفر– أنعم – أى السلطان – على الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جنكلي بن البابا بإمرة طبلخاناه(١) وأنعم بعشرة على أخيه.

كما ذكره المؤرخ الشهير ابن تغرى بردى فى كتابه النجوم الزاهرة فى أحداث سنة ٧٤١هـ وقال عنه "توفي الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا في يوم الرابع والعشرين من رجب، وكان من أعيان الأمراء وكان فقيهًا أديبًا شاعرًا"

وقال الصفدي: وأنشدني من لفظه لنفسه غير مرة:

بك استجار الحنبلي ..... محمد بن جنكلي
فاغفر له ذنوبه ..... فأنت ذو التفضل

(١) الطبلخانة هى موسيقى الجيش ،أو الفرقة الموسيقية السلطانية، وهى لفظ فارسى، وأمير الطبلخانة هو الأمير الذى تدق الطبول والأبواق على أبوابه. وهو أمير تحت أمرته غالباً أربعين فارس. أمير من الطبقة الثانية. منهم يكون أرباب الوظائف وكبار الولاة. أنظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، دار الفكر، بيروت – دمشق، ص١٠٦.

obeikandl.com

ظاهريته: قال الصفدى وفي آخر الأمر مال إلى الظاهر ورأى رأي ابن حزم وكان كثير المطالعة لكلامه([1]).

٣-الأمير شرف الدين موسى بن الفافا (ت ٧٨٨هـ). استدار ([2]) الأمير أيتمش البجاسى، كانت لديه فضيلة وتروة وحشم .

ظاهريته: قال ابن حجر: كان يتعصب للظاهرية ويميل إلى مذهبهم ([3])، وقال المقريزى: كان من رءوس الظاهرية ([4])، وقال ابن تغرى بردى: كان من رءوس الظاهرية مذهبا ([5])

وفاتة: مات في ٩ شوال سنة ٧٨٨هـ.

(١) أنظر: الوافي بالوفيات، ترجمة ٧٥٥، ٢/ ٣١٠،٣١١.

(٢) الأستدار بضه الهمزة لقب مملكى يطلق على القائم على الشئون الخاصة للسلطان، وبكسر الهمزة لقب يطلق على من يتولى قبض المال السلطانى وصرفه، وتمثيل أوامر السلطان فيه. أنظر: معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، ص١٤،١٥.

(٣) ابن حجر، إنباء الغمر ،١/٣٣٠.

(٤) أنظر: السلوك، وفيات سنة ٧٨٨هـ.

(٥) أنظر: النجوم الزاهرة، ١١/٢٥٤.

obeikandl.com

الوزراء من أهل الظاهر

١-أبوجعفر أحمد بن عباس (ت٤٢٧هـ/١٠٣٥م) الوزير، كان قد بلغ الغاية القصوى فى الدفاع عن صاحبه ابن حزم .

الوزير ابن حزم الظاهرى (ت ٤٥٦هـ)

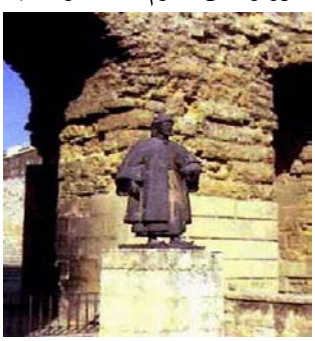

على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أبو محمد الشهير بابن حزم الظاهرى الأندلسى([1]) :

مولده ونشأته :

ولد بربض الزاوية من قرية لبلة niebla الواقعة فى بلدة منت ليشم بغرب الأندلس صباح يوم الخميس نهاية شهر رمضان سنة ٣٨٤هـ / ٧نوفمبر ٩٩٤م ([2])، وقد عاش حياته

---

(١) عنه بالتفصيل أنظر الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٨/ ١٨٤-٢١٣، وانظر كتابنا ابن حزم الظاهرى وأثره فى المجتمع الأندلسى، وهو أطروحتنا للماجستير .

(٢) صاعد بن أحمد الأندلسى، طبقات الأمم، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٩٨،٩٩، وقد ذهب آنخل جونثالث بالنثيا وغيره إلى أن مولد ابن حزم سنة ٣٨٣هـ /٩٩٣م أنظر: تاريخ الفكر الأندلسى، ص٢١٣، وهذا خطأ من وجهين :- الأول أن ابن حزم الإمام النسابة والمؤرخ النقادة كتب تاريخ مخولده لتلميذه صاعد بخطه، وهو ما عرضناه بأعلاه، ولا يمكن أن نترك قوله إلى سواه وهو الأعلم بتاريخ مولده، الثانى :- أن كل من ترجموا له أجمعوا أن مولده سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م. أنظر مثلا محمد بن أبى نصر الحميدى، جذوة المقتبس، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب المصرى واللبنانى، القاهرة – بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ٤٨٩/٢؛ ابن بشكوال، الصلة، ٦٠٥/٢؛ محمد بن عثمام الذهبى، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى، مؤسسة الرسالة، ط١١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ١٩٠/١٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٥٦٩/١٢؛ ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب، دار إحياء التراث العربى، (د.ت)، ٢٩٩/٣؛ Asin placios, Aben hazam , T.1,=

obeikandi.com

الأولى فى صحبة أخيه أبى بكر الذى كان يكبره بخمس سنوات فى قصر أبيه أحد وزراء المنصور بن أبى عامر، وابنه المظفر من بعده، وكانت تربيته فى تلك الفترة على أيدي جوارى القصر الذى كان مقاما فى الشارع الآخذ من النهر الصغير على الدرب المتصل بقصر الزاهرة، والملاصق لدار المنصور بن أبى عامر (١)، ومن ذلك نعرف مدى المكانة التى كان يحظى بها والد ابن حزم لدى المنصور بن أبى عارم حتى جاوره فى السكن.

أسرته :- كان ابن حزم قد خرج من وسط أسرة عرفت الإسلام منذ جده الأعلى يزيد بن أبى سفيان، وكان خلف أول من دخل الأندلس من أسرته فى صحبة الأمير عبد الرحمن الداخل، وكان مقامه فى لبلة (٢)، ومن ذلك نعرف أن مقر هذه الاسرة كانت الشام بعد مشاركة يزيد أصل هذه الاسرة فى الفتوحات الإسلامية بها، ولما خرج عبد الرحمن إلى الأندلس خرج معه خلف بن معدان .

وقد بدأت هذه الأسرة تحتل مكانها الرفيع كواحدة من كرائم العائلات بالاندلس فى عهد الحكم المستنصر، ونجحت فى امتلاك قرية بأسرها هى منت ليشم (٣)، ولا يعلم هل خلف بن معدان هو الذى تملكها أم أبناؤه من بعده، ولعل ذلك يحيلنا إلى مدى ذكاء هذه الاسرة الذى انعكس بدوره على أحمد بن سعيد وولده ابن حزم من بعده .

=P.38. ، ولبلة قرية فى غرب الأندلس قرب المحيط الأطلنطى، ومنت ليشم تعرف الآن باسم مونتيخار Montejar، وتقع على بعد سبعة كيلومترات شمال مدينة ولبة الحالية. أنظر محمد بن على بن الشباط، وصف الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٧م، ١٩٦٨م، مجلد ١٤ ص١١٧ .

(١) ابن حزم، طوق الحمامة، ص١٢٢، ١١٢٣، ١٦٦. وقد توفى أخيه أبو بكر فى الطاعون الذى اجتاح قرطبة فى عام ٤٠١هـ / ١٠١٠م أنظر، نفس المصدر، ص٢٥٧. وقد أقيم مكان قصر ابن حزم الآن كنيسة سان لورينزو بحى سان لورينزو. والزهراء مدينة أقامها المنصور سنة ٣٦٨هـ / ٩٧٨م بالقرب من قرطبة، وجعلها مقرا للحكم والإدارة لمزيد من التفاصيل أنظر محمد بن عبد الله الحميرى، صفة جزيرة الأندلس، تحقيق ليفى بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م، ص٨٠ – ٨٢.

(٢) الذهبى، مصدر سابق، ١٨/١٨٥؛ محمد أبوزهرة، ابن حزم حياته وعصره، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ص٢٧؛ سهير فضل الله، سيرة ابن حزم، ص١٧.

(٣) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، تحقيق أحمد فريد الرفاعى، دار المأمون ومكتبة القراء والثقافة الأدبية، (د.ت)، ١٢/٢٤٠؛ وانظر عبدالحليم عويس، ابن حزم، ص٥٨ .

ويعتبر أحمد بن سعيد أحد مشاهير هذه الأسرة ومؤسس ملكها حتى قال عنه ابن حيان "الوزير المعقل فى زمانه الراجح فى ميزانه ... هو الذى بنى بيت نفسه فى آخر الدهر برأس رابية وعمده بالخلال الفاضلة من الرجاحة والمعرفة والدهاء والرجولة "(١)، وقد كان لهذه الصفات إلى جانب اتجاهه للحزب الاموى وعمق ولائه لأمرائه وخلفائه دور هام فى استوزار المنصور له سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، وبلغ من شدة ثقته به انه كان يستخلفه على المملكة أوقات مغيبه عنها، وصير خاتمه فى يده (٢)، وكان لأحمد بن سعيد مجلس يحضره العلماء والشعراء أمثال أبى عمر بن حبرون وخلف بن رضا (٣)، وكان له باع طويل فى الشعر ومشاركة قوية فى البلاغة والادب حتى إنه ليتعجب ممن يلحن فى مخاطبة أو يجيء بلفظة قلقة فى مكاتبة (٤)، وقد كان لهذا أثره على ولده ابن حزم فى تمكنه من اللغة والشعر واهتمامه بهما، حتى أن بلاغته كان لها من التأثير أنها تأخذ بمجامع القلوب وتنفذ إلى أعماق النفوس فى أسلوب سهل ممتنع رقيق يخلو من الاستطرادات ويتسم بطول النفس وجمال النكته وخفة الروح، كما كان أحمد بن سعيد من المشاركين فى حركة الإفتاء بالأندلس من خلال مجالسه العلمية والمناظرات التى كانت تدور فى قصره حتى قال عنه ابن العماد "كان مفتيا لغويا متبحرا فى علم اللسان "(٥)، وهذه العبارة توضح الاثر الذى تركه أحمد بن سعيد على ولده ابن حزم الذى اعتمد فى فتواه وتفسيره لنصوص القرآن والسنة على ظاهر اللغة (٦)، ومن ثم يكون والده أحد الأسباب التى دفعته إلى المنهج الظاهرى فى الفتيا والتفسير بالرغم من أنه كان مالكى المذهب .

---

(١) نقلا عن ابن بسام، الذخيرة، قسم١ مجلد١ ص١٧٠.

(٢) Asin Placios , Aben hazam de cordoba , T.1 , P.35-36. ، وانظر إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسى، عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٦٠م ن ص٢٤٨،٢٤٧.

(٣) الضبى، بغية الملتمس، ص٢٦٣؛ إحسان عباس، المرجع السابق، ص٢٤٨.

(٤) الحميدى، جذوة المقتبس، ١٩٩/١؛ المقرى، نفح الطيب، ٧٢/٦.

(٥) أنظر: شذرات الذهب، ١٦٣/٣.

(٦) عن استخدام ابن حزم للغة كأساس فى الفتوى والتفسير أنظر، الفصل، ٤،٥،٧/٢؛ رسائل ابن حزم، ١٦٣/٣.

ظل أحمد بن سعيد وزيرا بعد المنصور لابنه المظفر، وأخيه عبد الرحمن شنجول إلى أن أعفى من منصبه فى عهد محمد المهدى، وترك منية المغيرة حى كبار موظفى البلاط وعاد لسكنه القديم فى بلاط مغيث بعيدا عن صخب السياسة، وبعد اغتيال المهدى فى ذى الحجة ٤٠٠هـ/١٠١٠م ومبايعة هشام المؤيد ثانية بعد الزعم بموته. اصطدم أحمد بن سعيد بالقائد الصقلبى واضح محسوب الخلافة الذى لاحقه وسجنه وصادر أمواله، وطلت الفتن والنكبات تتوالى على بنى حزم حتى وفاة أحمد بن سعيد فى ذى القعدة ٤٠٢هـ/١٠١٢م (١)، وقد كان لهذه النكبات أثرها السيء على ابن حزم إذ أنها زادت من حزنه، وكانت أحد أسباب حدته التى تظهر جلية فى مصنفاته .

أما عن أم ابن حزم فقد صمتت عنها المصادر بأسرها .بل إن ابن حزم نفسه لم يطالعنا على أدنى إشارة تجاهها فى أى من كتبه التى بين أيدينا، ومن ثم فالخلاف بين الباحثين حول أصلها لم يحسم بعد (٢)

ولعل الحديث عن العلاقة بين بعض اقاربه ابن حزم وأثرها على نفسيته وفكره ترتبط بهذا المقام، ونخص بالذكر أبى المغيرة عبدالوهاب ابن عمه الذى كان يتبادل مع ابن حزم رسائل المودة فى حداثة سنهما، ثم جرت بينهما جفوة سببها كتاب وصل أبوالمغيرة عن ابن حزم وصفه الأول بأنه مبنى على الظلم والبهتان والمكابرة (٣) مما كان لهذا أثره على ابن حزم فى اعتزازه بنفسه وشدة حدته إذ وجد أن أحد أقربائه الذى كان يتودد إليه فى الصغر، انقلب عليه هو الآخر، وانضم إلى خصومه ومعارضيه، ومن ثم فقد كل نصير يمكن أن يعتمد عليه سوى ذاته الانفرادية التى اعتز بها .

ومن المصنف الذى صنغه ابن حزم عن أسرته والذى يدعى "تواريخ أعمامه وأبيه وأخواته وبنيه وبناته مواليدهم وتاريخ من مات منهم فى حياته "يتضح أن أبناءه كانوا جمعا من

(١) ابن حزم، طوق الحمامة، ص٢٤٦؛ وأنظر الطاهر مكى، دراسات عن ابن حزم، ص٧٠،٦٩.

(٢) أنظر: عبدالكريم خليفة، ابن حزم الأندلسى، دار العربية ومكتبة الأقصى، بيروت – عمان، ص١٥،١٤؛ عبداللطيف شرارة، ابن حزم رائد الفكر العلمى، منشورات المكتب التجارى، بيروت، (د.ت)، ص٣٧،٣٦؛ سهير فضل الله، سيرة ابن حزم، ص٢١.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، قسم١مجلد١ ص١٣٧.

البنين والبنات، ولكن لا نعرف عن بناته شيئا. لفقدان هذا المصنف، فضلا عن عدم إشارة المصادر إليهن، ولو قدر لنا العثور علي هذا المصنف. لكان مجالا خصبا فى التعرف على أزواجهن وأسراتهن، وأثر هذه المصاهرة على فكر أبيهم وتراثه، هل دافعوا عنه وأذاعوا مصنفاته ؟ أم هاجموه وانتقدوا فكره ؟ مثلهم فى ذلك مثل خصومه .

أما عن أبنائه الذكور فنعرف منهم أربعة وهم أبورافع الفضل، وأبوأسامة يعقوب، وأبوسليمان المصعب، وسعيد وسنفصل القول عن كل واحد منهم فى كتابنا هذا فقد كانوا كلهم ظاهرى المذهب .

كان ابن حزم ذو مكانة اجتماعية مرموقة منذ صغره بحكم موقع أبيه كوزير للمنصور ابن أبى عامر، وقد أفاد ابن حزم من ذلك حيث يقص علينا أنه دخل على الحاجب المظفر بن المنصور بن أبى عامر وهو في الثانية عشر من عمره أى سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م (١)، ثم يحدثنا بعد ذلك عن دخوله على عدد من خلفاء وأمراء بنى أمية وجلوسه معهم مرارا منهم هشام المؤيد، ومحمد المهدى، وعبدالرحمن المرتضى (٢)، وقد ساعده وضعه الاجتماعى على الدخول لمكتبة قصر الخلافة والإفادة منها مما كان له أثره في تكوينه العلمى والفكرى، خاصة وأنها كانت تحتوى على العديد من الكتب الفريدة التى لم يكن لها وجود في الأندلس إلا فيها (٣)، وبلغت الوجاهة الاجتماعية بابن حزم إلى الحد الذى أصبح فيه مستشارا لعبدالرحمن المرتضى، ثم وزيرا لعبدالرحمن المستظهر (١٠٢٣/٤١٤) (٤) كما وزر لهشام المعتد بالله (٥) ويحدثنا ابن حزم في عام (٤٢٢هـ/١٠٣٠م) – وهو العام الذى سقطت فيه

(١) نقلا عن الحميدى، جذوة المقتبس، ٣٧٥/١ .

(٢) ابن حزم، طوق الحمامة، تحقيق الطاهر مكي، دار الهلال، القاهرة ،١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص٢٥١.

(٣) ابن الآبار، الحلة، ٢٠٣/١.

(٤) ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق أحمد فريد رفاعى، دار المأمون ومكتبة القراء والثقافة الأدبية، ٢٣٧/١٢، دوزى، المسلمون في الأندلس، ٢١٣/٢-٢١٥، وانظر الطاهر مكى، دراسات عن ابن حزم، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٩٣م، ص١٠٩.

(٥) ياقوت، معجم الأدباء، ٢٣٧/١٢، محمد أبوزهرة، ابن حزم حياته وعصره، ص٤٧.

الخلافة الأموية بالأندلس – بأنه كان متوليا منصب القضاء (١)، وفى عهد ملوك الطوائف كان ابن حزم على صلة بأبى الأحوص معن بن محمد التجيبى (٤٣٣ هـ –٤٤٣ م / ١٠٤١م – ١٠٥١م) صاحب المرية والذى طلب من ابن حزم أن يصنف له رسالة في (الوعد والوعيد وبيان الحق في ذلك من السنه والقرأن) فصنفها له (٢)، وهو ما يشير إلى وضع ابن حزم الاجتماعى المرموق في تلك الفترة من حياته إذ كان على اتصال بأحد حكام الأندلس في تلك الفترة. كما أنه كان أحد المستشارين والوزراء الذين اعتمد عليهم أحمد بن رشيق صاحب جزيرة ميورقة في الحكم (٣)، وهكذا يتضح أن الوضع الطبقى لابن حزم كان وضعا أرستقراطيا شأنه شأن الطبقة الحاكمة .

وبخصوص وضعه الاقتصادى فليس أدل على الرخاء والنعيم الذى كان يتقلب فيهما ما أورده في كتابه الطوق من أنه أيام والده الوزير كان يمتلك مع أسرته دور في الجانب الشرقى من قرطبة في ربض الزاهرة، ودور في الجانب الغربى من قرطبة ببلاط مغيث، وكان يتنقل بين هذه وتلك حسب تنقلات والده الوزير، وكانت هذه الدور تحتوى على المحاريب المنمقة والمقاصير المزينة، والجوارى والخدم، والحدائق الغناء (٤) الأمر الذى يوضح بجلاء عظم الوضع الاقتصادى الذى كان يحيا فيه ان حزم. كما يتضح الرخاء الاقتصادى لابن حزم أيضا من خلال امتلاكه لقرية بأكملها بما عليها من أراض ودور هى قرية منت ليشم والتى كانت ملكا لأسرته من قبله (٥)، وهى التى رحل إليها في آخر أيامه وبها توفى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م.

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥،٦.

(٢) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٩٦/١٨.

(٣) ابن الأبار، الحلة السيراء، ١٢٨/٢، عبدالباقى السيد، ابن حزم، ص٧٦،٧٨.

(٤) ابن حزم، طوق الحمامة، ص١١١،١٢٨.

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٣٠/٣، ياقوت، معجم الأدباء، ٢٤٠/١٢. خرج ابن حزم من وسط أسرة عرفت الإسلام منذ جده الأعلى يزيد بن أبى سفيان، وكان خلف أول من دخل الأندلس من أسرته فى صحبة الأمير عبد الرحمن الداخل، وكان مقامه فى لبلة، وقد بدأت هذه الأسرة تحتل مكانها الرفيع كواحدة من كرائم العائلات بالاندلس فى عهد الحكم المستنصر، ونجحت فى امتلاك قرية بأسرها هى منت ليشم. أنظر: عبدالباقى السيد، ابن حزم، ص٤٦.

مشايخ ابن حزم

مشايخه فى الفقه والحديث والتاريخ :

- **أحمد بن محمد بن سعيد بن الجسور القرطبى (٣٢٠هـ-٤٠١هـ/٩٣٢م-١٠١٠م) أول شيخ سمعه ابن حزم قبل الأربعمائة، كان شيخا له فى الفقه والحديث والتاريخ روى عنه موطأ مالك والمدونه له أيضا برواية سحنون، ومسند بن أبى شيبة، وفقه أبى عبيد القاسم بن سلام، ومسند عبد بن حميد، وقرأ عليه تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبرى.**
- **مسعود بن سليمان بن مفلت الشنترينى القرطبى المعروف بأبى الخيار (ت٤٢٦هـ /١٠٣٤م) كان شيخا له فى الفقه والحديث وعلومه وعنه أخذ القول بالظاهر والدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد .**
- **أبوعبدالله بن عبد الرحمن بن جحاف المعافرى قاضى بلنسية (ت٤١٧هـ /١٠٢٦م) كان شيخا له فى الفقه .**
- **البزار محمد بن عبد الله بن هانىء اللخمى (ت٤١٠هـ/١٠١٩م) كان شيخا له فى الفقه والحديث والتاريخ .**
- **أبوسعيد مولى الحاجب جعفر (ت٤٢٥هـ /١٠٣٣م) كان شيخا له فى اللغة والحديث روى عنه سنن النسائى .**
- **القاضى أبوبكر حمام بن أحمد الأطروش القرطبى(٣٥٧هـ-٤٢١هـ /٩٦٧م-١٠٣٠م) كان شيخا له فى اللغة وآدابها والحديث وعلومه روى عنه صحيح البخارى ومصنف ابن أيمن وابن أبى شيبة ومصنف بقى بن مخلد ومسند عبدالرازق .**
- **أحمد بن قاسم بن محمد بن أصبغ القرطبى (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م) كان شيخا له فى الحديث روى عنه مصنف جده قاسم بن أصبغ .**
- **أبومحمد عبد الله بن يوسف بن نامى الرهوانى القرطبى (٣٤٨هـ-٤٣٥هـ /٩٥٩م-١٠٤٣م) كان شيخا له فى الحديث روى عنه صحيح مسلم .**

- أبوالقاسم سلمة بن سعيد الأنصارى الإستجى(ت٤٠٦هـ/١٠١٥م) كان شيخا له فى الفقه والحديث ويبدو أنه هو الذى أخذ عنه الفقه الشافعى.
- أبوالمطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس (٣٤٨هـ-٤٠٢هـ /٩٥٠م-١٠١١م) القاضى الوزير .
- عبد الله بن يحيى بن أحمد بن دحون (ت٤٣١هـ/١٠٤٠م) كان شيخا له فى الفقه وعنه روى موطا مالك .
- أبو على الحسين بن سلمون (ت٤٣١هـ/١٠٣٩م) كان شيخا له فى الفقه عن طريق والده أحمد بن سعيد بن حزم، وقد ذكره مستحسنا قولا قاله له وهو (من كثرت ذنوبه فعليه بكسب الضياع)، وقد عقب ابن حزم على ذلك بقوله (ولعمرى لقد قال الحق).
- أبوعبدالله محمد بن سعيد بن جرج القرطبى، أبوالحسين على الفاسى، محمد بن عبدالأعلى بن هشام القرطبى قاضى مالقة، أبوعمر أحمد بن جبرون، أبوعبدالله محمد بن إسحاق بن إدريس بن خالد سمعهما فى مجلس والده، وهؤلاء لم نعرف لهم تاريخا لمولدهم ولا لوفاتهم .
- عبد الرحمن بن محمد بن أبى زيد خالد الأزدى العتكى (ت٤١٠هـ/١٠١٩م) كان شيخا له فى التاريخ والحديث وعلم الكلام والجدل، وتأثر به ابن حزم فى ذلك وروى عنه صحيح البخارى .
- محمد بن الحسن الرازى الصوفى (توفى بعد عام٤٥٠هـ/١٠٥٨م) كان شيخا له فى الحديث وعلومه روى عنه الحديث مكاتبة بأسانيده .
- عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدى المعروف بابن الفرضى (ت٤٠٣هـ /١٠١٢م) كان شيخا له فى الفقه والتاريخ والحديث وعلومه روى عنه صحيح مسلم
- أبوبكر يحيى بن عبد الرحمن بن مسعود بن موسى بن وجه الجنة القرطبى(٣٠٤هـ-٤٠٢هـ/٩١٦م-١٠١١م) كان شيخا له فى الحديث روى عنه مسند أحمد بن حنبل وقطعة وكيع بن الجراح .
- أبوالقاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر بن الحزاز الهمدانى الوهرانى

البجانى (ت٤١١هـ/١٠٢٠م) كان شيخا له فى الحديث روى عنه صحيح البخارى عام٤٠١هـ/١٠١٠م

- أبومحمد عبد الله بن ربيع التيمى القرطبى المعروف بابن بنوش (٣٣٠هـ-٤١٤هـ/٩٤١م-١٠٢٣م) كان شيخا له فى الحديث واللغة روى عنه صحيح مسلم والبخارى وقطعة أفلح بن حميد ورقعة يزيد بن حميد وقطعة وكيع بن الجراح وابن راهوية والحجاج بن المنهال وسنن أبوداود ومصنف حماد بن محمد بن عبد الله بن هانىء اللخمى (ت٤١٠هـ/١٠١٩م) كان شيخا له فى الفقه والحديث والتاريخ .
- محمد بن سعيد بن نبات (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م) كان شيخا له فى الفقه والحديث روى عنه مصنفات احمد بن حنبل والمجتبى لقاسم بن أصبغ ومصنف قاسم بن أصبف ومسند عبدالرازق ومسند حماد بن سلمة وفقه الزهرى .
- عبد الله بن إبراهيم بن محمد المعروف بالأصيلى (توفى قريبا من٤٠٠هـ/١٠٠٩م) كان شيخا له فى الفقه والحديث .
- أبو الوليد يونس بن عبد الله بن الصفار القرطبى قاضى القضاة (٣٣٨هـ-٤٢٩هـ /٩٤٩م-١٠٢٨م) كان شيخا له فى الحديث والفقه روى عنه سنن النسائى ومسند بن أبى شيبة ومعانى الآثار للطحاوى وغريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطى وفقه أبعبيد القاسم بن سلام .
- محمد بن إسماعيل بن قورنش العذرى قاضى سرقسطة (ت٤٥٣هـ /١٠٦١م) كان شيخا له فى الحديث روى عنه مستدرك الحاكم .
- أبوعمر يوسف بن عبدالبر النمرى (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) الصاحب الشيخ روى عنه مصنف أبى حعفر الصيقل ومسند البزار ومسند بن أبى شيبة.
- أبوالوليد هشام بن سعيد الخير بن فتحون القيسى الوشقى (ت٤٣٠هـ /١٠٣٨م) كان شيخا له فى الحديث روى عنه سنن أبى داود الطيالسى.
- وكان أحمد بن سعيد والده أستاذا له فى الادب والفقه والتاريخ بخاصة إذ كانت له اليد الطولى والتأثير القوى فى تشكيل ثقافة ابنه التاريخية حيث كان يحدثه بالأحداث

التاريخية المهمة بحكم شخصه ومكانته فى الدولة، كما لعب دورا هاما فى غرس معالم الزهد والصبرفى قلبه من خلال موعظته إياه

- أحمد بن عمر العذرى كان شيخا له فى التاريخ والحديث وعلومه روى عنه مصنف عبدالرازق والكامل لابن عدى ومسند عبد بن حميد والتاريخ الأوسط للبخارى وموطأ ابن وهب وسنن الدارقطنى ومستدرك الحاكم، لم يعرف تاريخ لمولده ولا لوفاته .
- أبوسليمان داود بن يحيى المصرى كان شيخا له فى الحديث روى عنه معانى الآثار للطحاوى مكاتبة – أبومحمد بن مسرور كان شيخا له فى الحديث .
- عبد الله بن محمد بن على الباجى القيروانى كان شيخا له فى الحديث روى عنه مصنف عبدالرازق، – البراء بن عبدالملك الباجى الأندلسى، أبوالمرجى الحسين بن عبد الله بن ذروان المصرى كان شيخا له فى الحديث روى عنه مسند أحمد بن حنبل مكاتبة.
- أبوسليمان داود بن بابشاد داود بن سليمان كان شيخا له فى الحديث روى عنه قطعة الطحاوى مكاتبة، وهؤلاء مجهولى المولد والوفاة .
- جعفر مولى أحمد بن حديرالمعروف بالبليشى، أبوالعافية مولى محمد بن عباس بن أبى عبدة، إبراهيم بن قاسم الأطرابلسى، عبد الله بن محمد بن عبدالملك بن جهور، وهؤلاء روى من طريقهم روايات حديثية وفقهية ولم يعرف لهم تاريخ مولد ولا وفاة .
- أبوبكر بن أبى الفياض كان شيخا له فى التاريخ، عبدالعزيز بن بقى الله كان شيخا له فى التاريخ، أبوعبدالله محمد بن عمرو بن مضاء كان شيخا له فى الحديث والتاريخ، أبوالمحيا بن مواز بن وافر الأعرابى العقيلى كان شيخا له فى التاريخ خاصة الأنساب، وكلهم مجهولو المولد والوفاة .

مشايخه فى الطب والفلسفة :

- أبوالفتوح ثابت بن محمد الجرجانى العدوى (٣٥٠هـ-٤٣١هـ/٩٦١م-١٠٣٩م) كان شيخا له فى الفلسفة والمنطق وعلوم الأوائل من النجوم والحكمة وغيرها .
- أبوعبدالله محمد بن الحسن الكنانى القرطبى (توفى قريبا من٤٢٦هـ/١٠٣٤م) كان أستاذا له فى الطب والفلسفة والمنطق وعن طريقه برع ابن حزم فى الطب والفلسفة .

مشايخ لم يعرف تخصصهم :

– أبوالبركات محمد بن عبد الواحد ولد (سنة٣٥٧هـ/٩٦٧م) لم يعرف تاريخ وفاته، أبوعمر أحمد بن إسماعيل بن دليم الحضرمى الميورقى (ت٤٤٠هـ /١٠٤٨م) .

– أحمد بن محمد بن عبدالوارث كان مؤدبا لابن حزم فى صغره لم يعرف تاريخ لمولده ولا لوفاته، محمد بن عبد الواحد الزبيرى ولد سنة (٣٥٧هـ/٩٦٧م) مجهول الوفاة .

– أبومروان عبد الملك بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالملك بن الأصبغ بن الحكم الربضى (ت ٤٣٦هـ/١٠٤٤م) .

– خلف بن عثمان، أبوالزناد سرج بن سراج، أبوعثمان سعيد بن محمد الضراب، أبومروان عبدالملك بن أحمد المروانى، أحمد بن الليث الأنسرى، يحيى بن خلف بن نصر الرعينى، جعفر بن يوسف الكاتب، الفرات بن هبة الله، وكلهم مجهولو المولد والوفاة .

مشايخه فى القرآن وعلومه :

– أبوعمر أحمد بن محمد المعافرى الطلمنكى (٣٤٠هـ–٤٢٩هـ/٩٥١م–١٠٣٧) كان شيخا له فى القرآن وعلومه والحديث وعلومه وأصول الديانات، وتأثر ابن حزم به فى الحديث حيث روى عنه مسند البزار ومصنف سعيد بن منصور

مشايخه فى الفرق والديانات :

– محمد بن عبيد (مجهول المولد والوفاة)، أبوالعاص الحكم بن المنذر بن سعيد البلوطى (ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م) كان شيخا له فى الادب والديانات .

مشايخه فى اللغة وآدابها :

– عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز، عبد الرحمن بن سلمة الكنانى، أبوعبدة حسان بن مالك، أبوالحسن على بن محمد بن أبى الحسين صاحب كتاب (التشبيات من أشعار أهل الأندلس)، وكل هؤلاء مجهولو المولد والوفاة (١)

---

(١) عن هذا الإحصاء انظر ابن حزم، المحلى ٥/٥٠، ٧٩، ٨١، ٥٤، ٤٢، ٤١، ٣٢، ٢٥، ٢٣، ١٤، ٨/٤٣٦، ٩/٣١؛ رسائل ابن حزم، ٢/٢٢٣، ١٨٥، ١٠٥، ٩٥، ٩٤، ٣/١٥٥، ١٤٤، ٤/٣٩؛ الإحكام فى أصول الأحكام، ١/٢، ٤٢٢، ٣٠٦/١٠٢، ٩٥؛ الأخلاق والسير، ص٥٤؛ طوق الحمامة، دار الهلال،=

أصحاب ابن حزم

١- أبوعمر يوسف بن عبدالبر النمرى الصديق الشيخ (٣٦٨هـ-٤٦٣هـ/ ٩٧٨م-١٠٧٠م)، ذكى ابن حزم بعض مصنفاته مثل الاستذكار، والاستيعاب، وكان أحد فقهاء المالكية المجتهدين فى عصره .

٢- أحمد بن عبدالملك بن شهيد (٣٨٢هـ-٤٢٦هـ/٩٩٢م-١٠٣٤م) صاحب رسالة التوابع والزوابع.

٣- أحمد بن محمد الخولانى الشاعر كان حيا فى حدود سنة (٤٣٠هـ/١٠٣٨م) .

٤- أبوأحمد عبد الرحمن بن خلف المعافرى الطليطلى المعروف بابن الحوات (توفى قريبا من٤٥٠هـ/١٠٥٨م) كان فقيها محدثا شاعرا أديبا مناظرا بالحجة، وكان من اشد المعجبين بابن حزم.

٥- أبوشاكر عبد الواحد بن محمد بن موهب القبرى (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م) كان متوليا الأحكام، وكان فقيها محدثا أديبا شاعرا خطيبا .

٦- مصعب بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الازدى توفى بعد (سنة٤٤٠هـ /١٠٤٨م). ٧- أبوبكر هشام بن محمد أخو عبد الرحمن المرتضى وهو الذى تولى

=ص٣٣٢،٣١٣،٣١٢،٢٧١،٢٦٦،٢٣٣،٢٣١،١٥٨؛ طوق الحمامة، دار ابن خلدون، ص١٦٥،١٦٤،١٥٥؛ حجة الوداع، ص٦١؛ الفصل،١/٢،٣٥٩/٣٨٩؛ الأصول والفروع، ص٤٠٤،٤٠١،١٩٤؛ جمهرة أنساب العرب، ص٢٨٧،١٩١؛وانظر الحميدى، جذوة المقتبس ،١/١٢١، ١٢٠،١٧٣، ١٧٢، ٢،٤٠١،٤٠٠،٣٢٤،٢٩٩،٢٤٣،١٨١/٥٩٩،٥٥٨،٤٥٥؛ الضبى، بغية الملتمس، ص٢٦٦،١٦٢،١٥٥،١٥٤،٨٠،٦٠ ،٢٧٠،٢٦٧،٢٥٠، ٣٤١،٣٤٠،٣٣٤؛ ابن بشكوال، الصلة،١/١٩٩٢١٠،١٦٧،١١٥، ٢/٧٣٦،٦٨٢،٥٣٩،٤٧٧،٤٠١، ٣/٩٣٦،٨٦٩،٨٦٣،٧٩٠؛ ابن سعيد، المغرب،١/١٥٩؛ الذهبى، تاريخ الإسلام،١١/٤٩، ٤٢٨،٣٧٠،٣٦٧،٣٦٦،٣٥٩،٣٣٤،٢٩٠،٢٦٢،٢٦١،٢٥٧،٢٣٥،٢٠٣،١٥٩،٦٠،٥٩،٥٥،٥٤ ٤٢٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة،١/٤٦٣-٤٦٦؛ المقرى، نفح الطيب،٦/٧٢؛ بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسى، ص٢١٥؛ إحسان عباس، عصر سيادة قرطبة، ص٢٤٨؛ عبدالكريم خليفة، ابن حزم،ص٩٧،٩٦؛ ليث سعود، ابن عبدالبر، ص١٨٨؛ سالم يفوت، ابن حزم والفكر الفلسفى، ص٤٥-٥١ .

الخلافة (سنة٤١٨هـ/١٠٢٧م) وتلقب بالمعتمد وخلع منها سنة٤٢٢هـ/١٠٣٠م .

٨- عبد الرحمن بن هشام بن عبدالجبار بن عبد الرحمن الناصر (ت٤١٤هـ/١٠٢٣م) وهو الذى تولى الخلافة وتلقب بالمستظهر واتخذ ابن حزم وزيرا له .

٩- أبوالمطرف عبد الرحمن بن أحمد بن بشير (ت٤٢٢هـ/١٠٣٠م) قاضى الجامعة بقرطبة، تداولت الرسائل بينه وبين ابن حزم وهو الذى خاطبه الأخير بقصيدته البائية .

١٠- أبوعبدالله محمد بن على بن عبدالرؤوف (ت٤٢٤هـ/١٠٣٢م) صاحب أحكام المظالم كان من أشد الأصحاب مدافعة عن ابن حزم وفكره ضد المعارضين .

١١- أحمد بن رشيق (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م) صاحب ميورقة، وهو الذى آوى ابن حزم بجزيرته بعد أن طرده فقهاء المالكية من قرطبة وجعله أحد الوزراء المقربين له.

١٢- أبوجعفر أحمد بن عباس (ت٤٢٧هـ/١٠٣٥م) الوزير، كان قد بلغ الغاية القصوى فى الدفاع عن صاحبه ابن حزم .

١٣- إبراهيم بن يحيى بن محمد بن الحسين التميمى الطنبى الوزير (ت٤٠٧هـ/ ١٠١٦م).

١٤- أحمد بن عمر بن أنس الصديق الشيخ .

١٥- أحمد بن محمد بن حمد بن بركان شاعرا أديبا .

١٦- أبوعبدالله محمد بن عبد الرحمن بن عقبة .

١٧- أبوبكر إبراهيم بن يحيى بم محمد .

١٨- عبدالملك بن زيادة الله بن على بن الحسين .

١٩- الحسن بن بقى كان من مناظرى النصارى .

٢٠- أبوعبدالله محمد بن الحسن .

٢١- أبوبكر محمد بن إسحاق وهو الذى اعتقل مع ابن حزم على يد خيران صاحب المرية، وهو الذى خاطبه ابن حزم فى صدر رسالته فى فضل الأندلس .

٢٢- محمد بن وليد بن مكيسر الكاتب .

٢٣- أبوبكر محمد بن بقى الحجرى .

٢٤- أبوالسرى عمار بن زياد .

٢٥- أبوبكر محمد بن قاسم بن محمد القرشى المعروف بالشمبانسى كان شاعرا أديبا من نسل عبد الرحمن الداخل .

٢٦- أبوالمظفر عبد الرحمن بن أحمد بن محمود .

٢٧- أبوإسحاق إبراهيم بن عيسى الثقفى الشاعر.

٢٨- عبيدالله بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الناصر أمير المؤمنين .

٢٩- أبوبكر عبد الرحمن بن سليمان البلوى السبتى الشاعر، أبوعامر محمد بن عامر، وكل هؤلاء مجهولو المولد والوفاة (١) .

تلاميذ ابن حزم

١- محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الأزدى المعروف بالحميدى (ت٤٩١هـ /١٠٩٧م)، صاحب كتاب جذوة المقتبس، ظل ظاهرى المذهب وعمل على نشره بكل جهده فى الأندلس، وفى المشرق بعد أن رحل إليه .

٢- أبوبكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) صاحب كتاب سراج الملوك

٣- محمد بن شريح الرعينى(٣٩٢هـ-٤٧٦هـ/١٠٠١م-١٠٩٣) .

٤- شريح بن محمد بن شريح (ت٥٣٩هـ/١١٤٤م) له إجازة من ابن حزم .

٥- الحسين بن محمد الكاتب .

٦- الحسين بن عبدالرحيم له إجازة من ابن حزم وهما مجهولا المولد والوفاة .

---

(١) عن هذا الإحصاء انظر ابن حزم، طوق الحمامة، ص٢٢،٢٣، ٤٢،٥٤،٥٥،١١٤،١٣٥،١٦١،١٦٢،١٧٣،١٧٤،١٧٨،٢٢٩،١٥٤،١٥٨،١٥٩،٢٦١،٢٦٢، ٢٦٣؛ ديوان ابن حزم الشعرى، ص٧٣-٧٨؛ جمهرة أنساب العرب، ص٩٦،٩٧،٢٢٠؛ رسائل ابن حزم ،١٧١/٢ ،٣، ١٨٨/١٩٠،١٨٩،١٨٧،١٧٨؛ الفصل،٣١،٢٩٦/١؛ الإحكام،٢١٣،٣١٥/٢-٣١٨؛ وانظر الحميدى، جذوة المقتبس،١٨٤،٢٤٦/١؛ ابن بشكوال، الصلة ،١١٥/١؛ الضبى، بغية الملتمس، ص١٦٤،١٦٥؛ ابن الآبار، الحلة السيراء ،١٧،١٢٨-١٢/٢؛ ابن سعيد، المغرب،٧٨/١-٨٥،٩٢،١٥٨،٢٣٤؛ السيوطى، طبقات الحفاظ، ص٤٣٣؛ المقرى، نفح الطيب،٢٨٨/٢؛ ليث سعود، ابن عبدالبر،١٤٦.

٧- أبوبكر عبدالباقى بن محمد بن بريال الحجارى (٤١٦هـ-٥٠٢هـ/١٠٢٥-١١٠٨م) ظل ظاهرى المذهب وعمل على إذاعة كتب شيخه والاهتمام بها .

٨- عمر بن حيان بن خلف بن حيان (ت٤٧٤هـ/١٠٨١م) ولد المؤرخ الشهير ابن حيان .

٩- على بن سعيد العبدرى الميورقى توفى بعد (سنة٤٩١هـ/١٠٩٧م) ترك المذهب الظاهرى بعد وفاة ابن حزم وتفقه على أبى بكر الشاشى، وله تعليق فى مذهب الشافعى .

١٠- عبدالملك بن زيادة الله بن على بن حسين الحمانى القرطبى(٣٩٦هـ-٤٥٦هـ /١٠٠٥م-١٠٦٣م) التلميذ الصديق .

١١- محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة القرطبى(٤٣٤هـ-٥١١هـ /١٠٤٢م-١١١٧م) .

١٢- عبد الله بن محمد بن أحمد بن العربى المعافرى الإشبيلى(٤٣٥هـ-٤٩٣هـ /١٠٤٣م-١٠٩٩م) صحب ابن حزم سبعة أعوام سمع خلالها مصنفاته كلها سوى المجلد الأخير من كتاب (الفصل)، وله منه إجازة أكثر من مرة .

١٣- صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد الثعلبى(٤٢٠هـ-٤٦٢هـ/١٠٢٩م-١٠٦٩م) قاضى طليطلة وهو صاحب كتاب طبقات الأمم .

١٤- أبوبكر محمد بن أحمد القرطبى (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) .

وإلى جانب هؤلاء فقد كان أبناؤه الأربعة من التلاميذ النشطين فى نشر علم أبيهم وكتبه، وهم أبورافع الفضل (ت٤٧٩هـ/١٠٨٦م)، أبوأسامة يعقوب (ت٥٠٣هـ/١١٠٩م)، سعيد بن على بن حزم، أبوسليمان المصعب مجهولا المولد والوفاة (١)

(١) عن ذلك انظر رسائل ابن حزم ،٢/١، ١٥/٢٥٠ ؛ الحميدى، جذوة المقتبس،١/٢٩٨؛ ابن بشكوال:الصلة،١/٣٦٧،٣٦٦، ٢/ ٣٧٠، ٦٦٨،٦١٤،٥٨٧،٥٦٢،٥٦١،٤٣٩،٤٢٩، ٣/٩٨٨،٨٣٣؛ الضبى، بغية الملتمس، ص٣١٨،٨١؛ ابن الآبار:التكملة،٢/٧٠٠؛ الذهبى، سير أعلام

أقوال العلماء فيه وموقفهم منه :

قال الحميدى (كان حافظا عالما بعلوم الحديث وفقهه مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة متفننا فى علوم جمة، عاملا بعلمه زاهدا فى الدنيا بعد الرئاسة التى كانت له ولأبيه من قبله فى الوزارة وتدبير الممالك، متواضعا ذا فضائل جمة وتواليف كثيرة فى كل ما تحقق به من العلوم، وجمع من الكتب فى علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئا كثيرا وسمع سماعا جما، وأول سماعه من أبى عمر أحمد بن محمد بن الجسور، قبل الأربعمائة، وألف فى فقه الحديث كتابا كبيرا سماه كتاب [الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام فى الواجب والحلال والحرام وسائر الأحكام على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع] أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين فى مسائل الفقه والحجة لكل طائفة عليها والأحاديث الواردة فى ذلك من الصحيح والسقم بالأسانيد وبيان ذلك كله وتحقيق القول فيه، وله كتاب [الإحكام لأصول الأحكام] فى غاية التقصى وإيراد الحجاج، وكتاب [الفصل فى الملل والأهواء والنحل]، وكتاب فى الإجماع ومسائل على أبواب الفقه، وكتاب فى مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض، وكتاب [إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل، وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل] وهذا مما سبق إليه، وكذلك كتاب [التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية] فإنه سلك فى بيانه وإزالة سوء الظن عنه وتكذيب المخرقين به طريقة لم يسلكها أحد قبله فى ما علمنا.وما رأينا مثله رحمه الله فى ما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين. مولده فى ليلة الفطر سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بقرطبة، ومات بعد الخمسين وأربعمائة، وكان له فى الآداب والشعر نفس واسع وباع طويل قال: وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه وشعره كثير قال: وقد جمعناه على حروف المعجم ومنه:

النبلاء ،١٨/١٩٩،١٨٦،١٨٥؛ المقرى، نفح الطيب ،٢/٢٩٠-٣١٥،٢٩٢؛ Asin placios, Aben hazam de cordoba ,T.1 P.243,280-296؛ دائرة المعارف الإسلامية ،١/٢٥٧؛ إحسان عباس؛ أخبار وتراجم أندلسية، ص٥٢ .

هل الدهر إلا ما عرفنا وأدركنا إذا أمكنت فيه مسرة ساعة إلى تبعات فى المعاد وموقف حصلنا على هم وإثم وحسرة حنين لما ولى وشغل بما أتى كأن الذى كنا نسر بكونه؛فجائعه تبقى ولذاته تفنى تولت كمر الطرف واستخلفت حزنا نود لديه أننا لم نكن كنا وفات الذى كنا نلذ به عنا وغم لما يرجى فعيشك لا يهنأ إذا حققته النفس لفظ بلا معنى

وله من قصيدة طويلة خاطب بها قاضى الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن أحمد بن بشر يفخر فيها بالعلم ويذكر أصناف ما علم وفيها:

أنا الشمس فى جو العلوم منيرة ولو أننى من جانب الشرق طالع ولى نحو أكناف العراق صبابة فإن ينزل الرحمن رحلى بينهم فكم قائل أغفلته وهو حاضر هنالك يدرى أن للبعد قصة؛ولكن عيبى أن مطلعى الغرب لجد على ما ضاع من ذكرى النهب ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب فحينئذ يبدو التأسف والكرب وأطلب ما عنه تجىء به الكتب وأن كساد العلم آفته القرب.

ومنها فى الاعتذار عن المدح لنفسه:

ولكن لى فى يوسف خير أسوة يقول وقال الحق والصدق إننى؛وليس على من بالنبى أئتسى ذنب حفيظ عليم ما على صادق عتب

وله من أخرى: منای من الدنيا علوم أبثها دعاء إلى القرآن والسنن التى؛وأنشرها فى كل باد وحاضر تنسى رجال ذكرها فى المحاضر

وأنشد لنفسه: أبن وجه قول الحق فى نفس سامع سيؤنسه رفقا فينسى بفاره؛ودعه فنور الحق يسرى ويشرق كما نسى القيد الموثق مطلق

وأنشد لنفسه:

لئن أصبحت مرتحلا بشخصى ولكن للعيان لطيف معنى؛فروحى عندكم أبدا مقيم له سأل المعاينة الكليم

وله فى هذا المعنى:

يقول أخى شجاك رحيل جسم فقلت له المعاين مطمئن؛ وروحك ما له عنا رحيل لذا طلب المعاينة الخليل) ا.هـ

وقال أيضا ما رأينا مثله مما اجتمع له مع الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه قال أنشدني لنفسه:

لئن أصبحت متحلا بجسمي * فروحي عندكم أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى * له سأل العاينة الكليم

وروى له الحافظ الحميدي:

أقمنا ساعة ثم ارتحلنا * وما يغني المشوق وقوف ساعه
كأن الشمل لم يك ذا اجتماع * اذا ما شتت البين اجتماعه(١)

ومن شعره :

وذو عذل فيمن سباني بحسنه * يطيل ملامي في الهوى ويقول
أفي حسن وجه لاح لم تر غيره *ولم تدر كيف الجسم أنت قتيل
فقلت له أسرفت في اللوم ظالما * وعندي رد لو أردت طويل
ألم تر اني ظاهري وانني * على مابدا حتى يقوم دليل

قال هذه الأبيات لصاحبه ابن عبدالبر وكانا يمران بسكة الحطابين بإشبيلية فرأى ابن حزم شاب حسن الوجه فقال لصاحبه انظر هذا الوجه الحسن فقال لعل ماتخفيه الثياب غير ذلك فأنشده ابن حزم هذه الأبيات على سبيل الدعابة.

أورد المقرى هذه القصة وأسبقها بقوله: "قال ابن حزم فى طوق الحمامة "(٢) وبالرغم من عدم ورودها فى نسخة الطوق الحالية فيمكننا أن نثق فى كلام المقرى إذا علمنا أن النسخة التى بين أيدينا ليست كاملة باعتراف الناسخ نفسه، الذى حذف أكثر أشعارها تحسينا لها وتصغيرا لحجمها (٣)

قلت: ومن هذه الرواية علمنا تاريخ تحول ابن حزم إلى المذهب الظاهرى كما أوضحنا فى دراستنا عن ابن حزم رضى الله عنه وهو قبل عام٤١٨هـ وهى السنة التى صنف

(١) أنظر: جذوة المقتبس، ٤٨٩/٢، ٤٩٠.
(٢) أنظر: نفح الطيب، ٢٨٨/٢، والبين رقم ٤ من المقطوعة الشعرية.
(٣) أنظر: طوق الحمامة، ص٣٣٦.

فيها كتابه طوق الحمامة وذكر فيها هذه القصة كما قال المقرى .

وقال الفتح بن خاقان (ت.٥٢٩هـ): ما تَمَنَّت به الأندلس أن تكون كالعراق ولا حنّت الأنفس معه إلى تلك الآفاق (١).

وقال ابن فضل الله العمرى: فأما بالمغرب فلم يكن منهم إلاَّ واحداً، لكنه كالألف. وفرد يحطم به كل صف وهو: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خاف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن صخر بن حرب الأموي. أسد فتح فاه والتقم، وبحر زخر عُبابه والتطم، سيلٌ عرم يجتحف ما قُدَّامه، وريح زعزع ينسف ما جاء أمامه، وجبل لا يأمن من استدرى به أن يقع عليه وأرقمُ لا يطمئنُّ راقيه أن يثبت إليه، شجاع أعدَّ للحرب، وحسام لا يُفلّ له غرب، ومثقف ما ألف إلاَّ الطعن والضرب، أكل العلماء بلسانه، وأذهب سوء الصنيع بإحسانه، ووطىء الرجال بقدمه، وفَلَّ النصال بقلمه، ونكس بعلمه الأعلام، وقطع حيازيم الملوك بالكلام، وكان أمة وحده والسلام .....

وذكر ابن فضل الله قول ابن حزم حين بلغه أنَّ أبا الوليد الباجي يتناوله فقال : قالوا سليمان يذّمك جَاهِداً ... فقلت دَعوُه إنّه غَير طَائِل هوَ المَرء لا يؤسى لمطلق ذمّه ... وَلا لِثنَاءِ مِنه يُشرى لعَقِل (٢)

وقال ابن العماد الحنبلى: كان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسؤدد والرياسة والثروة وكثرة الكتب (٣) .

وقال الغزالي وجدت في أسماء اللّه تعالى كتابا لأبى محمد بن حزم يدل على عظم

(١) أنظر: مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس" مطبعة السعادة، القاهرة، ص.٦٣.
(٢) أنظر: مسالك الأبصار، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين . الإمارات العربية المتحدة ،٦/٤٧٢-٤٩١.
(٣) أنظر: شذرات من الذهب، ٣/٢٩٩.

حفظه وسيلان ذهنة ([1])

وقال صاعد في طبقات الأمم كان ابن حزم أجمع أهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام

وأوسعهم مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والاخبار أخبرني ابنه الفضل انه اجتمع عنده بخط أبيه من تآليفه نحو أربعمائة مجلد ([2])

وقال ابن خلكان: كان حافظا عالما بعلوم الحديث مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة بعد ان كان شافعي المذهب فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر وكان متفننا في علوم جمة عاملا بعلمه زاهدا في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبي الملك متواضعا ذا فضائل وتآليف كثيرة وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئا كثيرا وسمع سماعا جما وألف في فقه الحديث كتابا سماه كتاب الايصال إلى الفهم، وكتاب الخصال الجامعة نحل شرائع الاسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والاجماع أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين رضي اللّه عنهم أجمعين وله كتاب في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض وكتاب اظهار تبديل اليهود والنصارى التوراة والانجيل وبيان ناقص ما بأيديهم من ذلك مما لايحتمل التأويل وهذا معنى لم يسبق إليه وكتاب التقريب بحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة وكان له كتاب صغير سماه نقط العروس جمع فيه كل غريبة ونادرة ([3])

ومن فضائله ما ذكره الشيخ ابن العربي الصوفى صاحب الفتوحات المكية انه رأى ابن حزم في المنام وقد عانق رسول الله صلى الله عليه وسلم فغاب أحدهما في الاخر فلم أعرف احدهما عن الآخر هذا حاصل معناه وهذا يدل على حسن عاقبته ولطف علمه وخيرة طريقه وكما اتحاده بالنبي صلى الله عليه وسلم وليس وراء ذلك غاية والله اعلم.

(١) نقلا عن الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٨/ ١٨٧، ابن حجر، لسان الميزان، ٢٠١/٤، المقرى، نفح الطيب، ٧٨/٢.

(٢) أنظر: طبقات الأمم، ص ٩٨ ،٩٩.

(٣) أنظر: وفيات الأعيان، ٣/ ٣٢٥- ٣٣٠.

وقال ابن العريف كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين ([1]).

قلت: قال هذا من شدة ابن حزم وحدته فى الرد على العلماء حيث كان يصك معارضيه صك الجندل .

وقال العلامة عبدالحى الغمارى: "والذي رأيناه يحقق النقل عن أئمة المذاهب البائدة هو: الإمام الحافظ ابن حزم في كتاب (المحلى)، و كتاب (مراتب الإجماع)، فإنه لا يخطئ في نقل أقوالهم إلا في القليل النادر" ([2])

وكان بين أبي عمرو الدانى وبين أبي محمد بن حزم وحشة ومنافرة شديدة أفضت بهما إلى التهاجي وهذا مذموم من الأقران موفور الوجود نسأل الله الصفح وأبو عمرو أقوم قيلا وأتبع للسنة ولكن أبا محمد أوسع دائرة في العلوم بلغت تواليف أبي عمرو مئة وعشرين كتابا ([3])

وكانت بينه وبين أبي الوليد سليمان الباجي المالكى الأشعرى مناظرات جمعنا بعضها فى كتابنا ابن حزم الظاهرى وأثره فى المجتمع الأندلسى، وهو أصل أطرحتنا للماجستير فلتراجع هناك .

وللحافظ البارع المجود أبو بكر محمد بن حيدرة بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافري الشاطبي رد على ابن حزم وكان حافظا للحديث وعلله عالما بالرجال متقنا أديبا شاعرا فصيحا نبيلا أسمع الناس بقرطبة ([4])

وكان ابن زرقون أبو الحسين محمد بن أبي عبد الله محمد بن سعيد الأنصاري الأشبيلي شيخ المالكية من كبار المتعصبين للمذهب فأوذي من جهة بني عبد المؤمن لما

---

(١) نقلا عن الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٩٩/١٨.

(٢) أنظر: نقد المقال في مسائل من علم الحديث والفقه وأصوله، وتفضيل بعض المذاهب، ص٤٧.

(٣) الذهبى، سير أعلام، ٨١/١٨.

(٤) ابن مفوز ولد في عام موت أبي عمر بن عبدالبر سنة ثلاث وستين وأربع مئة وأجاز له الشيخ أبو عمر بن الحذاء والقاضي أبو الوليد الباجي وسمع من عمه طاهر بن مفوز وأبي علي الجياني فأكثر وأبي مروان بن سراج ومحمد بن الفرج الطلاعي وخلف شيخه أبا علي في حلقته وفجئه الموت قبل أوان الرواية وعاش نيفا وأربعين سنة توفي سنة خمس وخمس مئة أنظر الذهبى، سير أعلام النبلاء ، ٤٢١/١٩.

أبطلوا القياس وألزموا الناس بالأثر والظاهر وقد صنف كتاب المعلى في الرد على المحلى لابن حزم توفي في شوال سنة ٧٣١هـ وله ثلاث وثمانون سنة (١)

وممن انتقد ابن حزم ابراهيم بن حسن بن عبد الرفيع الربعي التونسي قاضي القضاة بتونس يكنى أبا اسحاق كان علامة وقته ونادرة زمانه ألف كتاب معين الحكام في مجلدين وله الرد على ابن حزم في اعتراضه على مالك رحمه الله في أحاديث خرجها في الموطأ ولم يقل بها وله اختصار اجوبه القاضي أبي الوليد بن رشد توفى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة في شهر رمضان عن تسع وتسعين سنة وأشهر رحمه الله تعالى (٢)

وقد أفرط الإمام السبكى كعادته فى الرد فقال عن كتاب الفصل لابن حزم "وكتابه هذا الملل والنحل من شر الكتب وما برح المحققون من أصحابنا ينهون عن النظر فيه لما فيه من الإزراء بأهل السنة ونسبة الأقوال السخيفة إليهم من غير تثبت عنهم والتشنيع عليهم بما لم يقولوه وقد أفرط في كتابه هذا في الغض من شيخ السنة أبي الحسن الأشعري وكاد يصرح بتكفيره في غير موضع وصرح بنسبته إلى البدعة في كثير من المواضع وما هو عنده إلا كواحد من المبتدعة والذي تحققته بعد البحث الشديد أنه لا يعرفه ولا بلغه بالنقل الصحيح معتقده وإنما بلغته عنه أقوال نقلها الكاذبون عليه فصدقها بمجرد سماعه إياها ثم لم يكتف بالتصديق بمجرد السماع حتى أخذ يشنع وقد قام أبو الوليد الباجي وغيره على ابن حزم بهذا السبب وغيره وأخرج من بلده وجرى له ما هو مشهور في الكتب من غسل كتبه وغيره ومما يعرفك ما قلت لك من جراءته وتسرعه هذا النقل الذي عزاه إلى الأشعري ولا خلاف عند الأشعري وأصحابه بل وسائر المسلمين أن من تلفظ بالكفر أو فعل أفعال الكفار أنه كافر بالله العظيم مخلد في النار وإن عرف بقلبه وأنه لا تنفعه المعرفة مع العناد ولا تغني عنه شيئا ولا يختلف مسلمان في ذلك وهل الفائت عليه نفس الإيمان لكون النطق ركنا منه أو شرطه فيه البحث المعروف للأشاعرة وسيأتي وأجمعوا علىأن الإسلام زائل عنه فقول ابن حزم في النقل عنهم إنه مسلم خطأ عليهم صادر عن أمرين عن عدم المعرفة بعقائدهم وعن

(١) أنظر: شذرات الذهب، ٩٦/٣، ابن فرحون، الديباج المذهب، ٢٨٦/١.
(٢) ابن فرحون، الديباج المذهب، ٨٩/١.

عدم التفرقة بين الإيمان والإسلام ([1])

وممن رد على ابن حزم الحافظ الإمام أبو بكر محمد بن حيدرة بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافري الشاطبي حدث عن عمه طاهر الحافظ وأبي علي الغساني وأجاز له أبو الوليد الباجي وكان حافظا متقنا ضابطا عارفا بالأدب وفنونه حدث بقرطبة وخلف شيخه أبا علي في الإفادة وله رد على ابن حزم مات سنة خمس عشرة وخمسمائة عن اثنتين وأربعين سنة ([2])

وقال صديق القنوجى كان حافظا عالما بعلوم الحديث وفقهه مستنبطا للاحكام من الكتاب والسنة بعد إن كان شافعي المذهب فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر وكان متفننا في علوم جمة عاملا بعلمه زاهدا في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولابية من قبله في الوزارة وتدبير الملك متواضعا ذا فضائل جمة وتواليف كثيرة ألف في فقه الحديث كتابا سماه الايصال إلى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الاسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والاجماع اورد فيه اقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من ائمة المسلمين والحجة لكل طائفة وعليها وهو كتاب كبير ... وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد يسلم أحد من لسانه فنفرت عنه القلوب واستهدف فقهاء وقته فتمالؤا على بغضه وردوا أقواله واجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطنيهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو اليه والأخذ عنه فأقصته الملوك وشردته عن بلاده حتى انتهى إلى بادية لبلة فتوفي بها آخر النهار من شعبان سنة ٤٥٦ وقيل في منت ليشم وهي قرية ابن حزم ([3])

وقال ابن مفلح: كان إليه المنتهى في الذكاء والحفظ وكثرة العلم وكان متفننا في علوم جمة وله التصانيف الفاخرة في علوم شتى حتى في المنطق وشرح المجلى في اثنى عشر مجلدا ومن طالع كتابه هذا وجد فيه تأدبه مع الإمام أحمد ومتابعته .

قلت: لم يكن ابن حزم تابعا لأحد من الأئمة وإن كان كثير الجنوح للشافعى رضى الله عنهما،

---

(١) أنظر: طبقات الشافعية الكبرى، ١/٩٠، ٩١.

(٢) السيوطى، طبقات الحفاظ، ص٤٥٦.

(٣) أنظر صديق القنوجى، أبجد العلوم، ٣/١٤٧، ١٤٨، وانظر ترجمته ابن حزم فى الذهبى، العبر فى خبر من غبر، ٣/٢٤١، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ٥/٧٥ .

مثله مثل إمامه داود بن على، ولم يعرض ابن حزم فى كتابه المحلى للإمام أحمد رضى الله عنه سوى عدة أقوال قليلة جدا .

قال ابن عبد السلام ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم والمغنى لابن قدامة (١)

وقال ابن بشكوال: في حقه كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار أخبر ولده أبو رافع الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة (٢)

وقال المراكشى: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صلح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي قرئ علي نسبه هذا بخطه على ظهر كتاب من تصانيفه أصل آبائه الأدنين من قرية من إقليم لبلة من غرب الأندلس سكن هو وأبوه قرطبة وكان أبوه من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر ووزراء ابنه المظفر بعده وكان هو المدبر لدولتيهما وكان ابنه أبو محمد الفقيه وزيرا لعبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر الملقب بالمستظهر بالله أخي المهدي ... ثم إنه نبذ الوزارة واطرحها اختيارا وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن فنال من ذلك ما لم ينل أحد قبله بالأندلس وكان على مذهب الإمام أبي عبد الله الشافعي رحمه الله أقام على ذلك زمانا ثم انتقل إلى القول بالظاهر وأفرط في ذلك حتى أربى على أبي سليمان داود الظاهري وغيره من أهل الظاهر وله مصنفات كثيرة جليلة القدر شريفة المقصد في أصول الفقه وفروعه على مهيعه الذي يسلكه ومذهبه الذي يتقلده وهو مذهب داود ابن علي بن خلف الاصبهاني الظاهري ومن قال بقوله من أهل الظاهر ونفاة القياس والتعليل بلغني عن غير واحد من علماء الأندلس أن مبلغ تصانيفه في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد

---

(١) ابن مفلح، المقصد الأرشد، ٢/٢١٣، ٢١٤.

(٢) أنظر: الصلة، ٢/٦٠٥.

على المخالفين له نحو من أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان في مدة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري فإنه أكثر أهل الإسلام تصنيفا فقد ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الفرغاني في كتابه المعروف بالصلة وهو الذي وصل به تاريخ أبي جعفر الطبري الكبير أن قوما من تلاميذ أبي جعفر لخصوا أيام حياته منذ بلغ الحلم إلى أن توفي في سنة ٣١٠ وهو ابن ست وثمانين سنة ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة وهذا لا يتهيأ لمخلوق إلا بكريم عناية الباري تعالى وحسن تأييده له، ولأبي محمد بن حزم بعد هذا نصيب وافر من علم النحو واللغة وقسم صالح من قرض الشعر وصناعة الخطابة ... وإنما أوردت هذه النبذة من أخبار هذا الرجل وإن كانت قاطعة للنسق مزيحة عن بعض الغرض لأنه أشهر علماء الأندلس اليوم وأكثرهم ذكرا في مجالس الرؤساء وعلى ألسنة العلماء وذلك لمخالفته مذهب مالك بالمغرب واستبداده بعلم الظاهر ولم يشتهر به قبله عندنا أحد ممن علمت وقد كثر أهل مذهبه وأتباعه عندنا بالأندلس اليوم ([1])

وقال السيوطى: ابن حزم الإمام العلامة الحافظ الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف الفارسي الأصل اليزيدي الأموي مولاهم القرطبي الظاهري كان أولا شافعيا ثم تحول ظاهريا وكان صاحب فنون وورع وزهد وإليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم مع توسعه في علوم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار ([2])

وقال الفيروزآبادى: إمام في الفنون وزر هو بعد أبيه للمظفر وترك الوزارة وأقبل على التصنيف ونشر العلم ومن تصانيفه كتاب التقريب في بيان حدود الكلام وكيفية إقامة البرهان في كل ما يحتاج إليه منه وتمييزه مما يظن أنه برهان وليس برهانا وكتاب الأخلاق والسير صغير وكتاب الفصل بين النحل والملل (قلت اسمه الفصل فى الملل والأهواء والنحل) وكتاب الدرة في الاعتقاد صغير ورسالة التوفيق على شارع النجاة بإختصار الطريق وكتاب

(١) أنظر المراكشى، المعجب، ص٤٦- ٤٩.

(٢) أنظر: طبقات الحفاظ، ص٤٣٥، ٤٣٦ .

التحقيق في نقض كلام الرازي وكتاب التزهيد في بعض كتاب الفريد وكتاب اليقين في النقض على عطاف في كتابه عمدة الأبرار وكتاب النقض على عبد الحق الصقلي وكتاب زجر العاوي وإخسائه ودحر الغاوي وإخزائه وكتاب رواية أبان يزيد العطار عن عاصم في القراءات وكتاب الرد على من قال إن ترتيب السور ليس من عند الله بل هو فعل الصحابة رضي الله عنهم وكتاب الإحكام لأصول الأحكام وكتاب النبذ في الإصول وكتاب النكت الموجزة في إبطال القياس والتعليل والرأي وكتاب النقض على أبي العباس بن سريج وكتاب الرد على المالكية في الموطأ خاصة وكتاب الرد على الطحاوي في الاستحسان وكتاب صلة الدامع الذي ابتدأه أبو الحسن بن المفلس وكتاب الخصال في المسائل المجرده وصلته في الفتوح والتاريخ والسير وكتاب الاتصال في شرح كتاب الخصال نحو أربعة آلاف ورقة وكتاب المحلى وشرحه وكتاب المعلى في شرح المحلى بإيجاز وكتاب حجة الوداع صغير ورسالة في التلخيص في تلخيص الأعمال وكتاب مراتب العلماء وكتاب مراتب التواليف واختصار كتاب العلل للباجي والتاريخ الصغير في أخبار الأندلس وكتاب الجماهير في النسب ورسالة في النفس ورسالة في النقس ورسالة في الطب ورسالة في النساء ورسالة في الغناء وكتاب الإعراب عن كشف الالتباس الموجود في مذاهب أصحاب الرأي والقياس وكتاب القواعد في المسائل المجردة على طريقة أصحاب الظاهر نحو ثلاثة آلاف ورقة وكتاب تأليف الأخبار المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ظاهرها التعارض ونفي التناقض عنها نحو عشرة آلاف ورقة ورسالة الاستحالات وكتاب في الألوان ورسالة في الروح والنفس ورسالة في مراعاة أحوال الإمام ورسالة في فضل الأندلس وذكر علمائها وتواليفهم ورسالة الكشف عن حقيقة البلاغة وحين الاستعادة في النطم والنثر وكتاب غلط أبي عمرو المقرىء في كتابه المسند والمرسل وكتاب في العروض صغير وكتاب طوق الحمامة نحو ثلاثمئة ورقة عارض كتاب الزهرة لأبي بكر بن داود وكتاب دعوة الملل في أبيات المثل فيه أربعون ألف بيت وكتاب التعقيب على ابن الإفليلي في شرح شعر المتنبي وكتاب في الوعد والوعيد ورسالة الإيمان وكتاب الإجماع (١)

(١) أنظر البلغة فى أئمة اللغة، ص١٤٦، ١٤٧.

قلت: قد أجاد الفيروزآبادى فى ترجمته لابن حزم فأتى بمصنفات له انفرد بها، ولم يدانيه فيها أحد ممن ترجموا لابن حزم، حتى عمدة المؤرخين الإمام العظيم الذهبى .

وقال ابن كثير: هو الإمام الحافظ العلامة أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معد بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي اصل جده من فارس أسلم وخلف المذكور وهو أول من دخل بلاد المغرب منهم وكانت بلدهم قرطبة فولد ابن حزم هذا بها في سلخ رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة فقرأ القرآن واشتغل بالعلوم النافعة الشرعية وبرز فيها وفاق أهل زمانه وصنف الكتب المشهورة يقال إنه صنف أربعمائة مجلد في قريب من ثمانين ألف ورقة وكان اديبا طبيبا شاعرا فصيحا له في الطب والمنطق كتب وكان من بيت وزارة ورياسة ووجاهة ومال وثروة وكان مصاحبا للشيخ أبي عمر بن عبد البر النمري وكان مناوئا للشيخ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي وقد جرت بينهما مناظرات يطول ذكرها .

قلت ليت كل من قال هذه الكلمات ممن ترجموا لابن حزم ذكروا هذه المناظرات، إذ أننى لم أستطع أن أجمع منها سوى نتف من ثلاثة منها، ولو وصلتنا هذه المناظرات لأوضحت لنا جانبا كبيرا من جدلية ابن حزم مع المالكية، ومدى الثراء الفكرى التى كانت تنعم به الأندلس فى عصر الطوائف) وكان ابن حزم كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلمه فأورثه ذلك حقدا في قلوب أهل زمانه ومازالوا به حتى بغضوه إلى ملوكهم فطردوه عن بلاده حتى كانت وفاته... والعجب كل العجب منه أنه كان ظاهريا حائرا في الفروع لا يقول بشئ من القياس لا الجلي ولا غيره وهذا الذي وضعه عند العلماء وأدخل عليه خطأ كبيرا في نظره وتصرفه وكان مع هذا من أشد الناس تأويلا في باب الأصول وآيات الصفات وأحاديث الصفات لأنه كان أولا قد تضلع من علم المنطق أخذه عن محمد بن الحسن المذحجي الكناني القرطبي ذكره ابن ماكولا وابن خلكان ففسد بذلك حاله في باب الصفات(١)

مصنفات ابن حزم :

أولا التاريخ والنسب والسياسة:-

(١) البداية والنهاية، ١٢/ ٩١، ٩٢.

جوامع السيرة نشر عدة مرات، رسالة فى القراءات المشهورة فى الأمصار، رسالة اسماء الصحابة والرواة وما لكل واحد من العدد، رسالة أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم فى كثرة الفتيا، رسالة جمل فتوح الإسلام بعد الرسول صلى الله عليه وسلم. صنفها سنة٤٣١هـ/١٠٣٩م أو بعدها بقليل، رسالة فى أسماء الخلفاء والولاة وذكر عددهم. صنفها إما سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م أو٤٤٦هـ/١٠٥٤م حيث فتنة البساسيرى، وهذه الرسائل الخمس نشرت ملحقة بجوامع السيرة تحقيق إحسان عباس وناصر الأسد، دار المعارف بمصر، كما نشرتها مجلة الأزهر فى هديتها عدد جمادى الآخر١٤١٣هـ، شعبان١٤١٣هـ، رسالة جمل من التاريخ ويبدو أنه صنفها فى نفس تاريخ الرسالة السابقة حيث توقف فيها عند ما توقف فى أسماء الخلفاء وقد نشرها عبدالحليم عويس وابن عقيل بالرياض١٩٧٧م، ونشر إحسان عباس جزءا منها برسائل ابن حزم الظاهرى الجزء الثانى، رسالة أمهات الخلفاء صنفها بعد سنة٤٢٢هـ/١٠٣٠م، نقط العروس فى تواريخ الخلفاء صنفها قبل سنة٤٥٠هـ/١٠٥٨م إلا أنه أدخل عليها تعديلات أخرسنة ٤٥٢هـ /١٠٦٠م، رسالة فى فضل الأندلس وذكر رجالها. صنفها بقلعة البونت سنة٤٢٢هـ/١٠٣٠م أوبعدها بقليل، رسالة فى ذكر أوقات الأمراء أو أيامهم بالأندلس. صنفها بعد سنة٤٤٥هـ/١٠٥٣م، وهذه الرسائل نشرها إحسان عباس بالجزء الثانى من رسائل ابن حزم، جمهرة أنساب العرب. صنفه بعد سنة٤٤٦هـ/١٠٥٤م،كتاب فى السياسة صنفه بعد سنة٤١٨هـ/١٠٢٦م وقد نشر محمد إبراهيم الكنانى نتفا منه بمجلة تطوان عدد (٥) سنة١٩٦٠م ص٩٥-١٠٧، كتاب الإمامة والسياسة فى قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب إلى الواجب منها، وقد وردت شذرات منه ضمن كتاب الشهب اللامعة والسياسة النافعة لابن رضوان.

أما عن مصنفاته التاريخية المفقودة فهى:-

تواريخ أعمامه وأبيه وأخواته وبنيه وبناته مواليدهم وتاريخ من مات منهم فى حياته، إجازة لتلميذه شريح، إجازة لتلميذه الحسين بن عبدالرحيم، وكتاب طبقات القراء ابتدأه من الصحابة نقل منه ابن حجر فى كتابه الإصابة (١)، كتاب الفضائح ذكر فيه فضائح البربر،

(١) ابن حجر، الإصابة، ١٥٩/٢.

يبدو أنه صنفه بعد تدمير البربر قرطبة سنة٤٠٣هـ/١٠١٣م، كتاب الشعراء المقدمين، كتاب الإمامة والمفاضلة، نسب البربر فى مجلد، رسالة مراتب العلماء وتواليفهم فى كراسة، الرسالة اللازمة لأولى الأمر، تسمية شيوخ مالك، تسمية الشعراء الوافدين على ابن أبى عامر، غزوات المنصور بن أبى عامر، فهرسة شيوخ ابن حزم، كتاب فى جملة من دخل الأندلس من المغرب.

ثانيا الفقه وأصوله:-

المحلى بالآثار شرح المجلى بالاختصار إثنى عشر جزءا توفى ابن حزم ولم يتمه حيث توقف عند المسألة رقم٢٠٢٣ وأتمه ابنه الفضل من كتاب أبيه الإيصال طبع عدة مرات، الإحكام فى أصول الأحكام ثمانية أجزاء فى مجلدين طبع عدة مرات، النبذة الكافية فى أحكام أصول الدين وهو مختصر للإحكام طبع أكثر من مرة، مراتب الإجماع فى العبادات والمعاملات والاعتقادات طبع أكثر من مرة، إبطال القياس والرأى والتقليد مطبوع بتحقيق محمد سعيد البدرى، رسالة ملخص إبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل نشرها سعيد الأفغانى بدمشق، حجة الوداع طبع أكثر من مرة، رسالتان أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال التعنيف، رسالة فى الرد على الهاتف من بعد، رسالة التوقيف على شارع النجاة وهده الرسائل الثلاث صنفها بعد كتاب التقريب، رسالة التلخيص لوجوه التخليص صنفها بعد سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م، رسالة البيان عن حقيقة الإيمان.صنفها بعد سنة ٤٤٠هـ /١٠٤٨م، رسالة الإمامة، رسالة فى حكم من قال إن أرواح أهل الشقاء معذبة إلى يوم القيامة. صنفها بعد كتاب الفصل، وهذه الرسائل السبع نشرها إحسان عباس بالجزء الثالث من رسائل ابن حزم ص٧٣-٢٣٠، كما ألحقها برسالة ابن حزم فى الرد على ابن النغريلة اليهودى، دار العروبة، القاهرة، رسالة فى الفاظ تجرى بين المتكلمين فى الأصول. نشرها إحسان عباس بالجزء الرابع من رسائل ابن حزم ص٤٠٩-٤١٦، رسالة فى الغناء الملهى أمباح هو أم محظور.نشرت برسائل ابن حزم الجزء الأول ص٤٣٠-٤٣٩، نبذة فى البيوع. نشرتها دار الحرمين بالقاهرة، رسالة فى ألم الموت وإبطالة. نشرت بالجزء الرابع من رسائل ابن حزم ص٣٥٩-٣٦٠، ظل العمامة وطوق الحمامة فى فضل القربة والصحابة.

مطبوع ولكن شكك البعض فى نسبته لابن حزم، رسالة نكت الإسلام. ترجمت للأسبانية ونشرت بغرناطة سنة١٩١١م، وقد ضاع نصها العربى، كتاب المجلى وهو المتن الذى عمل عليه كتاب المحلى. وقد أخبرنى بعض المهتمين بابن حزم فى مصر بأنه توجد نسخة من هذا الكتاب عنده ويقع فى مجلدين إلا أننى لم أطالعه، الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين فى مذاهب أهل الرأى والقياس. جزءين وتوجد نسخة مصورة منه لدى أبى عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى بالرياض، كتاب الإيصال فى شرح الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام فى الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع يقع فى أربعين مجلدا فى خمسة عشر ألف ورقة ويوجد جزء من هذا الكتاب عند أبى تراب الظاهرى بجدة وباقى الكتاب فى حكم المفقود، الرسالة تقع فى ستة وثلاثين ورقة، رسالة الأصول وهما مخطوطتان بمكتبة جسترجنى بدبلن ايرلندا، كتاب فى ما جرى بين ابن حزم وأبى الوليد الباجى من مناظرة يوجد عند أبى تراب الظاهرى، رسالة فى مسألة الكلب. مخطوطة بمخطوطة شهيد على رقم٢٧٠٤(١٦٨-١٧١) وقد أخبرنى بعض المهتمين بفكر ابن حزم أنها عنده مطبوعة فى عدة صفحات وكان قد وعدنى بها إلا انه لم يوفى .

وعن الكتب الفقهية التى لم تصلنا إما لأنها مفقودة أو مازالت فى بطون مكتبات العالم:-

كتاب أجوبة على المسائل المستغربة من صحيح البخارى ([1])، كتاب تنوير المقباس، الصادع فى الرد على من قال بالتقليد، الإجماع ومسائله على أبواب الفقه، الاستقصاء، ذو القواعد فى ألف ورقة ومن موضوعاته الشروط التى إن خالفها أهل الكتاب تستباح دماؤهم، القدح المعلى فى تتميم المجلى، مختصر الموضح لأبى الحسن بن المغلس الظاهرى، كتاب فى أن تارك صلاة عمدا حتى يخرج وقتها لا قضاء عليه. وقد عرض ابن حزم هذه المسألة بكتابه المحلى مسألة رقم٢٧٩، كتاب الإملاء فى شرح الموطأ فى ألف ورقة، كتاب فى ما خالف فيه الحنفية والمالكية والشافعية جمهور الصحابة. يشتمل على مائتى مسألة، قسمة الخمس فى الرد على إسماعيل القاضى مجلد، الخصال الحافظ لجمل

(١) حاجى خليفة، كشف الظنون، ١/٥٤٥.

شرائع الإسلام مجلدين، السألة اليقينية المستخرجة من الآيات القرآنية، الآثار التى ظاهرها التعارض ونفى التناقض عنها. بدأ تصنيفة بعد الإحكام ومات ولم يتمه يقع فى عشرة آلاف ورقة، كتاب فى ما خالف فيه المالكية الطائفة من الصحابة، كتاب اختلاف الفقهاء مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد وداود، كتاب التصفح فى الفقه، التبيين فى هل علم المصطفى أعيان المنافقين ثلاث كراريس، التلخيص والتخليص فى المسائل النظرية ذكر ابن عقيل أنه يقع فى مجلد ضخم، كتاب الإملاء فى قواعد الفقه فى ألف ورقة، الإجماع كتيب، الفرائض كتيب، الرسالة البلقاء فى الرد على عبدالحق بن محمد الصقلى كتيب، الرد على من كفر المتأولين من المسلمين مجلد، الاستجلاب مجلد، مراقبة أحوال الإمام جزء، رسالة المعارضة كراسة، قصر الصلاة كراسة، رسالة التأكيد كراسة، العتاب على أبى مروان الخولانى كراسة، رسالة فى معنى الفقه والزهد كراسة، التلخيص فى أعمال العباد جزء، الإظهار لما شنع به على الظاهرية كراسة، زجر الغاوى جزءين، رسالة فى مسألة الإيمان، رسالة فى السماع، كتاب الحدود، كشف الالتباس لما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس. جزء، كتاب الصلاة، كتاب مناسك الحج، رسالة فى الوعد والوعيد وبيان الحق فى ذلك من السنن والقرآن. كتبها للأمير ابى الأحوص معن بن محمد التجيبى بين سنتى(٤٣٣هـ/١٠٤١م و٤٤٣هـ/١٠٥١م)، كتاب مراتب الديانة، كتاب مهم السنن، مجموع فتاوى عبد الله بن عباس، إرشاد السترشد .

ثالثا القرآن وعلومه وكلها فى حكم المفقود:-

الناسخ والنسوخ فى القرآن، رسالة فى أن القرآن ليس من نوع بلاغة الناس. كتبها لصاحبه احمد بن عبدالملك بن شهيد، رسالة فى آية فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك، كتاب فى تفسير حتى إذا استياس الرسل، كتاب فى القراءات .

رابعا الحديث وعلومه:-

كتاب عدد ما لكل صاحب فى مسند بقى. ذكر محمد إبراهيم الكنانى أنه مطبوع ولكن لم يذكر دار النشر ولا مكانها، الجامع فى صحيح الأحاديث باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحها واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها، مختصر علل الحديث،

حديثان أحدهما فى صحيح البخارى والآخر فى صحيح مسلم زعم أنهما موضوعان، ترتيب سؤلات الدارمى لابن معين، بيان غلط عثمان بن سعيد الأعور فى المسند والمرسل، ترتيب مسند بقى بن مخلد (١)، تراجم أبواب صحيح البخارى، جزء فى أوهام الصحيحين،

الإنصاف فى الرجال، مختصر كتاب الساجى فى الرجال مرتب على الحروف، الوحدان فى مسند بقى بن مخلد (٢) وكل هذه فى حكم المفقود .

خامسا العقائد والفلسفة والمنطق:-

الفصل فى الأهواء والملل والنحل. بدأ فى تصنيفه بقرطبة سنة٤١٨هـ/١٠٢٧م وانتهى منه بجزيرة ميورقة سنة٤٤٠هـ/١٠٤٨م طبع عدة مرات، كتاب فى الجدل. ذكر الكنانى أنه مطبوع ولم يذكر دار النشر ولا مكانها، النصائح المنجية من الفضائح المخزية والقبائح المردية من أقوال أهل البدع من الفرق الأربع المعتزلة والمرجئة والخوارج والشيع. ضمنه كتاب الفصل، رسالة المفاضلة بين الصحابة نشرها سعيد الأفغانى أكثر من مرة وهى مضمنه بكتاب الفصل، الأصول والفروع صنفه سنة٤٢٠هـ/١٠٢٩م مطبوع بتحقيق عاطف العراقى، دار النهضة بالقاهرة، الأخلاق والسير فى مداواة النفوس صنفه قبل عام٤٢٠هـ/١٠٢٩م طبع عدة مرات، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالالفاظ العامية والأمثلة الفقهية. صنفه قبل سنة٤٢٠هـ/١٠٢٩م، رسالة فى مراتب العلوم صنفها بعد الفصل، الرد على الكندى الفيلسوف نشرت هى والتى قبلها برسائل ابن حزم الجزء الرابع، رسالة فى الرد على ابن النغريلة اليهودى صنفها بعد سنة٤٥١هـ/١٠٥٩م نشرت برسائل ابن حزم الجزء الثالث، رسالة الدرة فى تحقيق الكلام فيما يلزم الإنسان اعتقاده. صنفها حوالى سنة٤٤٣هـ/١٠٥١م نشرت بمكتبة التراث بمكة المكرمة، وقد حصلت مكتبة الخانجى بالقاهرة على نسخة مصورة منها ونشرتها، علم الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة مطبوع بالقاهرة، مسألة هل السواد لون أم لا. نشرها النادى الأدبى بالرياض سنة١٩٧٩م،

(١) ابن حجر، الإصابة، ٥/٥٤٤.

(٢) نفس المصدر، ٢/٥٧٠ .

الرسالة الباهرة فى الرد على أهل الأقوال الفاسدة. توجد بمكتبة بودليان بانجلترا، رسالة فى معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها. نشرت برسائل ابن حزم الجزء الأول، كتاب الجوهرة ذكره صديق خان القنوجى ولعله فى المنطق (١) .

أما عن كتبه المفقوده فى العقائد والفلسفة والمنطق:- التحقيق فى نقد زكريا الرازى فى كتابه العلم الإلهى. يقع فى مائة ورقة وقد نشر بول كراوس الردود التى أوردها ابن حزم فى الفصل على الرازى فى كتابه العلم الإلهى وليس من رسالته الأصلية فهى مفقودة. صنفها قبل الفصل، الرد على من قال أن الإيمان بالقلب. صنفها قبل الفصل، الرد على من اعترض على الفصل مجلد، اليقين فى نقض تمويه المعتذرين عن إبليس اللعين وسائر المشركين صنفه قبل الفصل فى مجلد كبير، الترشيد فى الرد على كتاب الفريد لابن الراوندى فى اعتراضه على النبوات مجلد، أخلاق النفس والسيرة الفاضلة جزءان، الدرة فى ما يلزم المسلم حزءين، مختصر الملل والنحل مجلد، الحد والرسم، الرد على أناجيل النصارى، إظهارتبديل اليهود والنصارى للكتابين التوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بايديهم من ذلك مما لايحتمل التأويل. صنفه قبل الفصل وضمن أجزاء منه بالفصل، أسماء الله الحسنى .

سادسا اللغة العربية وآدابها:-

طوق الحمامة فى الألفة والآلاف. صنفه بشاطبة سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م أو ٤١٩هـ /١٠٢٨م تقريبا طبع عدة مرات فى مصر والعالم العربى وترجم إلى الأسبانية والفرنسية والإنجليزية والروسية والألمانية، ديوانه الشعرى طبع عدة مرات، قصيدة فى أصول فقه الظاهرية. نشرت عدة مرات بالسعودية وعندى منها نسخة، كتاب الإعراب. مائتى وأربع عشرة ورقة نسخ سنة٧٦١هـ/١٣٦٩م فى شستربتى .

أما عن كتبه المفقودة فى اللغة العربية:-

دعوة الملل فى أبيات المثل وهو مصنف شعرى يضم أربعين الف بيت من الشعر(٤٠ألف)، رسالة بيان الفصاحة والبلاغة وهى إلى ابن حفصون، شيء فى العروض، مؤلف فى الظاء والضاد، قطعة بائية، التعقيب على الإفليلى فى شرحه لديوان المتنبى .

(١) أنظر: أبجد العلوم، ٥٤٢/٢.

سابعا الطب وكلها فى حكم المفقود:-

رسالة فى الطب النبوى، مقالة فى السعادة، مقالة فى شفاء الضد بالضد، كتاب شرح فصول بقراط، كتاب بلغة الحكيم، كتاب حد الطب، كتاب اختصار كلام جالينوس فى الأمراض الحادة، كتاب الأدوية المفردة، مقالة فى المحاكمة بين التمر والزبيب، مقالة فى النحل.

ثامنا مصنفات فى معارف مختلفة:-

كتاب العانس فى صدمات، كتاب المرطار فى اللهو والدعابة، كتاب أسواق العرب، برنامج ابن حزم (١) .

إحراق كتبه ووفاته: ويرتبط بمصنفات ابن حزم حادثة خطيرة طالما تكررت بالأندلس كلما ضاق أهلها باحد ممن يخالفهم من العلماء، وهى إحراق كتبه علانية بإشبيلية، بيد أنها لم تفقد من جراء ذلك، فقد كان له جماعة من تلاميذه النجباء الذين قدروا فكره وحافظوا على كتبه التى كانوا يمتلكونها بنسخها ونشرها بين الناس، ولذا فعندما أحصاها ابن مرزوق اليحصبى وهو من المتأخرين وجدها ثمانين ألف ورقة، وهو نفس إحصاء أبو رافع الفضل فى القرن الخامس الهجرى /الحادى عشر الميلادى، ويمكن أن نرجع أسباب هذه الحادثة فى الآتى:-

(١) عن هذا الإحصاء انظر ابن حزم، الفصل،١٣/١، ٢٢٦/٢؛ رسائل ابن حزم،٦/١-٣،١١١/١٥،٨٨، ٣١٩/٤؛ المحلى،٢٥/٢؛ الفيروزابادى، البلغة فى أئمة اللغة، ص١٤٨؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٩٣/١٨-١٩٧؛ الضبى:بغية الملتمس،ص٢٤٢؛ ابن القيم، الوابل الصيب،ص٧٢؛ النباهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٤١؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب،١٨٥/٧؛ لسان الميزان،٢١٧/٦؛ السخاوى، الإعلان بالتوبيخ، ص٢٠٢؛ المقرى، نفح الطيب ،٢٨٤/٢، الشوكانى، إبطال دعوى الإجماع،ص٢٢؛ الزركلى:الأعلام،٢٥٥/٤؛ Asin placios:Aben hazam de cordoba ,T.1 P.247-278, Asin placios: Inexplorado del cordobes ibn hazm , P.7-15؛ سعيد الأفغانى، ابن حزم ص٥١-٥٩؛ أبوعبدالرحمن ابن عقيل، مؤلفات ابن حزم المفقودة ،ص٦٠-٦٢؛ محمد إبراهيم الكنانى، مؤلفات ابن حزم، ص١٠٠-١٠٤؛ صلاح الدين بسيونى؛ الأخلاق والسياسية عند ابن حزم ،ص٣١-٤٤؛ عبد الله الزايد ، ابن حزم ،ص٥٨-٦٠؛ عبدالحليم عويس، ابن حزم ،ص١١٠-١١٧؛ أحمد بن ناصر الحمد، ابن حزم ،ص٨١ .

أولا: ثقة ابن حزم بنفسه عند منازلة كبار فقهاء المالكية، وعدم تردده فى تسفيه آراءهم طالما خالفت الحق .

ثانيا: تنديده بولاية خلف الحصرى للخلافة بإشبيلية، ومبايعته على أنه هشام المؤيد سنة ٣٢٥هـ/١٠٣٣م فى عهد محمد بن إسماعيل القاضى والد المعتضد بن عباد (١)، فعندما حل بإشبيلية أوقع به المعتضد أشد إيقاع لما صدر منه من إثارة الناس حول محمد بن إسماعيل رأس الاسرة العبادية .

ثالثا: معارضة فقهاء المالكية له وسعيهم لدى السلطان للإيقاع به وإثارة العامة ضده (٢)، ومن ثم التقت أغراضهم مع ما كان يرمى إليه المعتضد، فكانت واقعة إحراق كتبه على مسمع ومرأى من الناس .

رابعا: نزعة ابن حزم الأموية ودعوته لإعادة حكم الأمويين فى الوقت الذى قطع فيه معظم ملوك الطوائف كل صلة بالأموية الأندلسية، وحاول كل واحد منهم أن يحقق استقلالا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، خاصة المعتضد الذى ما وافق على خدعة أبيه بعد وفاته بمبايعة خلف الحصرى بإشبيلية على أنه هشام المؤيد إلا ليصبغ الشرعية على محاولته الاستقلالية، وليرضى أصحاب النزعات الأموية بإمارته. فلما تحقق له ذلك أعلن وفاة الخليفة المزعوم .

خامسا: أن ابن حزم لم يكن ينظر إلى أمراء عصره ومنهم المعتضد نظرة إكبار فهو وزير ابن وزير، وما كان له أن ينظر إليهم أكثر من نظرته إلى من دونه أو من ليسوا أكبر منه، وهم يأنفون من ذلك الأمر الذى دفع المعتضد إلى تدبير مؤامرة تجعله ذليلا لا يشمخ براسه عليه ولا على غيره هى إحراق كتبه .

وبالرغم من هذه المؤامرة التى ألمت بابن حزم فلم يتحقق للمعتضد ما كان يصبو إليه من كسر كبريائه وإذلاله، بل ظل الرجل يشمخ بمكانته وعلمه وعقله هنا وهناك دون ضعف

(١) أنظر: نقط العروس، رسائل ٢/٩٧.

(٢) ابن حزم، رسالتان له أجاب فيهما عن رسالتين، رسائل ٣/١١٦،١١٥؛ وانظر ابن سعيد، المغرب، ١/٤٠٥.

ولا ذلة، لكنه آثر السلامة وغادر إشبيلية إلى قريته منت ليشم التى كان يمتلكها ويتردد عليها، وظل بها يمارس التصنيف والتدريس حتى وافته المنية عشية يوم الأحد ٢٨ شعبان ٤٥٦هـ /١٥ يوليو ١٠٦٣م(١)، وليس كما ذهب البعض من أن وفاته كانت سنة ٤٥٧هـ /١٠٦٤م، ولا ٤٥٥هـ/١٠٦٣م (٢)، لأن أبا رافع ولد ابن حزم هو الذى كتب التاريخ الذى ذكرناه، وهو الأعلم من أى أحد بتاريخ وفة والده، فضلا عن أن معظم من ترجم لابن حزم ذكروا سنة وفاته كما ذكرها ابنه الفضل (٣)

كان ابن حزم قد رثى نفسه قبل وفاته بقليل فى أبيات شعرية كأنه أحس بدنو أجله قائلا :

كأنك بالزوار لى قد تبادروا وقيل لهم أودى على بن أحمد
فيارب محزون هناك وضاحك وكم أدمع تزرى وخد محدد
عفا الله عنى يوم أرحل ظاعنا عن الأهل محمولا إلى ضيق ملحد
وأترك ما قد كنت مغتبطا به وألقى الذى آنست منه بمرصد
فوارا حتى إن كان زادى مقدما ويانصبى إن كنت لم أتزود (٤) ويمكن تخيل جنازته

وقد حضرها تلاميذه بقرطبة وأبناؤه وأصحابه من أمثال ابن عبدالبر، وابن حيان، وغيرهما ممن تربطه بهم قرابة أو نسب .

وهكذا فقد ذهب ابن حزم إلى مثواه الأخير سائلا الله أن يعفو عنه يوم ظعنه إلى ضيق الملحد، بعد حياة قضاها فى كفاح ونضال ضد الجمود والتقليد، قاسى خلالها من

(١) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٨/٢١١؛ وانظر Asin Placios , Aben hazam , T.1 , P. 240, 241 .

(٢) ياقوت، معجم الأدباء، ١٢/٢٤٠؛ وانظر غرسيه غومث، الشعر الأندلسى، ترجمة حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٩٥٢م، ص١٦.

(٣) صاعد، طبقات الأمم ، ص٩٩؛ وانظر ابن بشكوال، الصلة، ٢/٦٠٥ ترجمة ٨٩٨؛ ابن سعيد، المغرب، ١/٣٥٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٦/٥٦٩؛ Roger Arnoldez Grammaire E theologie chez ibn hazm de cordove essal sur Las trueture Et les conditions de pensee musulmane, liprairie philosophique, Paris, 1956 ,P.19 .

(٤) أنظر: ديوان ابن حزم، ص٩٦ مقطوعة رقم ٢.

المرارة والاضطهاد والتشريد، ما أنضب معين الرقة واللين لديه .

٢- أبورافع الفضل بن على بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٧٩هـ/١٠٨٦م) أحد أبناء ابن حزم وتلاميذه وهو الذى أتم المحلى لأبيه من كتاب أبيه الإيصال، وكان من الدعاة النشطين لمذهب أبيه.

وكان أبورافع الفضل بن على بن أحمد بن حزم وزيرا للمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية (٤٦٢-٤٨٤هـ/١٠٦٩-١٠٩١م)، وكان مقدما على وزرائه (١) كما كان على صلة قوية بأمراء الدولة العبادية حتى أن أحدهم طلب منه أن يصنف كتابا عن تاريخ الأسرة ونسبها فصنف كتابه الموسوم بـ (الهادى إلى معرفة النسب العبادى)، ولاشك أن الفضل كان يتقلب في الرخاء الاقتصادى بحكم كونه وزيرا للمعتمد، فضلا عن أملاك أبيه لا سيما قرية منت ليشم .

٣- الوزير عبد الله بن محمد بن أحمد بن العربى المعافرى الإشبيلى (٤٣٥هـ-٤٩٣هـ /١٠٤٣م-١٠٩٩م) سيذكر فى الفقهاء .

٤- يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن على وزر لأبيه يوسف وكان كل منهما ظاهرى المذهب. سبق ذكره فى الخلفاء .

٥-إبراهيم بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن على الكومى (ت ٦١٧هـ) سبق ذكره فى الولاة.

٦-محمد بن محمد بن سهل بن مالك الأزدى الغرناطى الأندلسى الظاهرى (ت٧٣٠هـ)(٢) وهو غير ابن مالك صاحب الألفية الشهيرة المعروفة بألفية ابن مالك. كان أبوه وزيرا فى مملكة غرناطة مات أبوه سنة ٦٧٠هـ وابن مالك الظاهرى ولد فى بيت معروف بالجلالة والرئاسة والفضل والثروة قدم ابن مالك الظاهرى مصر ودرس على يد كل من الإمام الدمياطى وابن دقيق العيد وابن النحاس وكان ذو فنون وشعر، وكان لا يتعمم بل كان يتطيلس على طاقية وكان شيخا وقورا على قول الذهبى وكان كثير النظر فى كتاب

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/٣٢٩.

(٢) انظر عنه بالتفصيل توفيق الغلبزورى، المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس، ٣٧١-٣٧٣

المحلى تأليق ابى محمد بن حزم ويميل إلى مذهبه على قول المقريزى ([1]).
قرأ بالسبع على ابن ابى الأحوص، وابن الزبير، وبرع فى معرفة الاصطرلاب، وكان يلقب بالوزير .

كان يكثر من الصدقات من أملاكه بالمغرب ويفعل ذلك سرا .
ظاهريته: قال الحافظ الذهبى "من بيت سيادة ووزارة ولد سنة ٦٧٢هـ ...قدم علينا فقرا الصحيحين فى دون الشهر وكان أثريا ظاهريا "... ([2]).
وقال الإدفوى عن ابن مالك الظاهرى "كان يميل إلى مذهب أهل الظاهر" ([3])
وقال ابن حجر "اشتغل كثيرا ومال إلى مذهب الظاهر" ([4]).
قلت: ومعنى يميل إلى ليس معناه كما يتوهم البعض أنه لم يكن ظاهريا لأن أهل المغرب والأندلس اعتادوا هذه اللفظة وكانوا يعنون بها المعنى الحقيقى من الكلام أى أنه ظاهرى ويقولون يميل إلى قول داود أى أنه داوودى المذهب أو ظاهرى وهكذا.
وفاتة: مات رضى الله عنه بالقاهرة بعد رجوعه من الحج رحمه الله رحمة واسعة.

(١) أنظر: المقفى الكبير، ٢٤/٧.
(٢) أنظر: الذهبى، المعجم المختص بالمحدثين، ص٢٥٧
(٣) أنظر: ابن قاضى شهبه، طبقات الشافعية، ١٥٠/٢
(٤) أنظر:الدرر الكامنة، ١٧٨/٤.

obeikandl.com

القضاة من أهل الظاهر

١-القاضى أحمد بن عمرو بن أبي عاصم (٢٠٦ هـ- ٢٨٧هـ = ٨٢٢ - ٩٠٠ م)حافظ كبير، إمام بارع متبع للآثار، كثير التصانيف. قدم أصبهان على قضائها، ونشر بها علمه. قالت ابنته عاتكة: ولد أبي في شوال سنة ست ومائتين فسمعته يقول: ما كتبت الحديث حتى صار لي سبع عشرة سنة، وذلك أني تعبدت وأنا صبي، فسألني إنسان عن حديث، فلم أحفظه، فقال لي: ابن أبي عاصم لا تحفظ حديثا ؟ ! فاستأذنت أبي، فأذن لي، فارتحلت.

وأمه هي: أسماء بنت الحافظ موسى بن إسماعيل التبوذكي، فسمع من جده التبوذكي، ومن والده، ومات والده بحمص على قضائها، في سنة اثنتين وأربعين ومائتين، وله نيف وستون سنة. وكان أخوه عثمان بن عمرو بن أبي عاصم من كبار العلماء

قال أبو الشيخ: كان من الصيانة والعفة بمحل عجيب. وقال أبو بكر بن مردويه: حافظ، كثير الحديث، صنف "المسند" والكتب.

قال ابن عبد كويه: سمعت عاتكة بنت أحمد تقول: سمعت أبي يقول: جاء أخي عثمان عهده بالقضاء على سامراء، فقال: أقعد بين يدي الله تعالى قاضيا ؟! فانشقت مرارته، فمات. قال ابن عبدكويه: أخبرتنا عاتكة: سمعت أبي يقول: خرجت إلى مكة من الكوفة، فأكلت أكلة بالكوفة، والثانية بمكة. قلت: إسنادها صحيح.

قال أبو الشيخ: سمعت ابني عبد الرزاق يحكي عن أبي عبد الله الكسائي، قال: كنت عنده -يعني ابن أبي عاصم- فقال واحد: أيها القاضي ! بلغنا أن ثلاثة نفر كانوا بالبادية، وهم يقلبون الرمل، فقال واحد منهم: اللهم إنك قادر على أن تطعمنا خبيصا على لون هذا الرمل. فإذا هم بأعرابي بيده طبق، فوضعه بينهم، خبيص حار، فقال ابن أبي عاصم: قد كان ذاك. قال أبو عبد الله: كان الثلاثة: عثمان بن صخر الزاهد، وأبو تراب، وابن أبي عاصم، وكان هو الذي دعا.

عن محمد بن إبراهيم، عن ابن أبي عاصم قال: صحبت أبا تراب، فقطعوا البادية، فلم

يكن زاد إلا هذين البيتين رويدك جانب ركوب الهوى فبئس المطية للراكب، وحسبك بالله من مؤنس وحسبك بالله من صاحب

وكان ابن أبي عاصم مجودا للقراءة، وكان يقول: أنا أقدم نافعا في القراءة، وكان يقول: ما بقي أحد قرأ على روح بن عبد المؤمن غيري –يعني صاحب يعقوب قال ابن مردويه: سمعت عبد الله بن محمد بن عيسى، سمعت أحمد بن محمد بن محمد المديني البزاز يقول: قدمت البصرة وأحمد بن حنبل حي، فسألت عن أفقههم، فقالوا: ليس بالبصرة أفقه من أحمد بن عمرو بن أبي عاصم. قال أبو الشيخ: سمعت ابني عبد الرزاق يحكي عن أحمد بن محمد بن عاصم: سمعت ابن أبي عاصم يقول: وصل إلي منذ دخلت إلى أصبهان من دراهم القضاء زيادة على أربع مائة ألف درهم، لا يحاسبني الله يوم القيامة أني شربت منها شربة ماء، أو أكلت منها، أو لبست.

وأورد هذه الحكاية ابن مردويه، فقال: أرى أني سمعتها من أحمد بن محمد بن عاصم، وقال أبو الشيخ: وسمعت ابني يحكي عن أبي عبد الله الكسائي: سمعت ابن أبي عاصم يقول: لما كان من أمر العلوي بالبصرة ما كان، ذهبت كتبي، فلم يبق منها شيء، فأعدت عن ظهر قلبي خمسين ألف حديث، كنت أمر إلى دكان البقال، فكنت أكتب بضوء سراجه، ثم تفكرت أني لم أستأذن صاحب السراج، فذهبت إلى البحر فغسلته، ثم أعدته ثانيا. قال أبو الشيخ: فولي القضاء بأصبهان مدة لإبراهيم بن أحمد الخطابي، ثم ولي القضاء بعد موت صالح بن أحمد إلى سنة اثنتين وثمانين ومائتين، ثم بقي ويحدث ويسمع منه إلى أن توفي. وكان قاضيا ثلاث عشرة سنة، وكثرت الشهود في أيامه. قال ابن مردويه: عزل سنة اثنتين وثمانين.

قال أبو عبد الله بن خفيف: قال ابن أبي عاصم: صحبت أبا تراب. فكان يقول: كم تشقى ! لا يجيء منك إلا قاضي. وكان بعدما دخل في القضاء إذا سئل عن مسألة الصوفية، يقول: القضاء والدنية والكلام في علم الصوفية محال.

قال أبو الشيخ: كثرت الشهود في أيامه، واستقام أمره، إلى أن وقع بينه وبين علي بن متويه، وكان صديقه طول أيامه، فاتفق أنه صار إلى ابن متويه قوم من المرابطين، فشكوا

إليه خراب الرباطات، وتأخر الإجراء عنهم، فاحتد علي بن متويه، فذكر ابن أبي عاصم حتى قال: إنه لا يحسن يقوم سورة (الحمد). فبلغ الخبر ابن أبي عاصم، فتغافل عنه إلى أن حضر الشهود عنده، فاستدرجهم، وقرأ عليهم سورة (الحمد)، فقومها، ثم ذكر ما فيها من التفسير والمعاني، ثم أقبل عليهم، فقال: هل ارتضيتم ؟ قالوا: بلى. قال: فمن زعم أني لا أحسن تقويم سورة (الحمد) كيف هو عندكم ؟ قالوا: كذاب. ولم يعرفوا قصده، فحجر ابن أبي عاصم على علي بن متويه لهذا السبب. فماج الناس، واجتمعوا على باب أبي ليلى –يعني الحارث بن عبد العزيز– وكان خليفة أخيه عمر بن عبد العزيز على البلد، وذلك في سنة ٢٨١ فأكرهه أبو ليلى على فسخه، ففسخه ثم ضعف بصره، فورد صرفه.

قال أبو بكر بن أبي علي: سمعت بعض مشايخنا يحكون أنه حكم بحجره، ووضعه في جونته فأنفذ إليه السلطان، يكرهونه على فسخه، فامتنع حتى منع من الخروج إلى المسجد أياما، فصبر، وكانت الرسل تختلف إليه في ذلك، فيقول: قد حكمت بحكم وهو في جونتي مختوم، فمن أحب إخراج ذلك منها فليفعل من دون أمري. فلم يقدروا إلى أن طيب قلبه، فأخرجه وفسخه.

قال أبو موسى المديني: وجدت بخط بعض قدماء علماء أصبهان، فيما جمع من قضاتها، قال: إبراهيم بن أحمد الخطابي. وافى أصبهان من قبل المعتز، وكان من أهل الأدب والنظر، فلما قدمها صادف بها ابن أبي عاصم، فجعله كاتبه، وعليه كان يعول، ثم وافى صالح بن أحمد بن حنبل من قبل المعتمد، وانقطع القضاة عن أصبهان مدة، إلى أن ورد كتاب المعتمد على ابن أبي عاصم بتوليته القضاء، وكان في رجب سنة تسع وستين ومائتين، فبقي عليها ثلاث عشرة سنة، واستقام أمره إلى أن وقع بينه وبين علي بن متويه زاهد البلد.

قال: وولي بعده القضاء الوليد بن أبي داود.

أبو العباس النسوي: سمعت أبا بكر محمد بن مسلم، سمعت محمد بن خفيف يقول: سمعت الحكيمي يقول: ذكروا عند ليلى الديلمي أن أبا بكر بن أبي عاصم ناصبي فبعث غلاما له ومخلاة وسيفا وأمره أن يأتيه برأسه، فجاء الغلام، وأبو بكر يقرأ الحديث، والكتاب في يده، فقال: أمرني أن أحمل إليه رأسك. فنام على قفاه، ووضع الكتاب الذي

كان في يده على وجهه، وقال: افعل ما شئت. فلحقه إنسان، وقال: لا تفعل، فإن الأمير قد نهاك. فقام أبو بكر وأخذ الجزء، ورجع إلى الحديث الذي قطعه، فتعجب الناس.

قال أبو بكر بن مردويه: سمعت أحمد بن إسحاق يقول: مات أحمد بن عمرو سنة سبع وثمانين، ليلة الثلاثاء، لخمس خلون من ربيع الآخر وذكر عن أبي الشيخ، قال: حضرت جنازة أبي بكر، وشهدها مائتا ألف من بين راكب وراجل، ما عدا رجلا كان يتولى القضاء، فحرم شهود جنازته، وكان يرى رأي جهم.

قال أبو الشيخ: سمعت ابني عبد الرزاق يحكي عن أبي عبد الله الكسائي، قال: رأيت ابن أبي عاصم فيما يرى النائم، كأنه كان جالسا في مسجد الجامع، وهو يصلي من قعود، فسلمت عليه، فرد علي، وقلت له: أنت أحمد بن أبي عاصم ؟ قال: نعم. قلت: ما فعل الله بك ؟ قال: يؤنسني ربي. قلت: يؤنسك ربك ؟ قال: نعم. فشهقت شهقة، وانتبهت.

مصنفاته: جمع جزء فيها فيه زيادة على ثلاث مائة مصنف، رواها عنه أبو بكر القباب، من ذلك: "المسند الكبير" نحو خمسين ألف حديث، و"الآحاد والمثاني" نحو عشرين ألف حديث في الأصناف، "المختصر من المسند" نيف وعشرون ألفا، فذكر نحوا من هذا إلى أن عد مائة وأربعين ألفا ونيفا.

شيوخه: أبو الوليد الطيالسي، وعمرو بن مرزوق، وأبو عمر الحوضي، ومحمد بن كثير، ومحمد بن أبي بكر المقدمي، وشيبان بن فروخ، وهدبة بن خالد، ومحمد بن عبد الله بن نمير، وإبراهيم بن محمد الشافعي، ويعقوب بن حميد بن كاسب، وإبراهيم بن الحجاج السامي، والحوطي عبد الوهاب بن نجدة، ودحيم، وهشام بن عمار، وأبو بكر بن أبي شيبة، وعبد الأعلى بن حماد، وكامل بن طلحة الجحدري، وأبو كامل الجحدري، وعبد الله بن محمد بن أسماء، وطبقتهم، وينزل إلى طبقة أبي حاتم الرازي، والبخاري، ويكثر عن ابن أبي شيبة، وابن كاسب، وهشام وسمع من جده لأمه موسى بن إسماعيل كتب حماد بن سلمة، ومن أبي الوليد، والحوضي.

تلاميذه: ابنته أم الضحاك عاتكة، وأحمد بن جعفر بن معبد، والقاضي أبو أحمد العسال، ومحمد بن إسحاق بن أيوب، وعبد الرحمن بن محمد بن سياه، وأحمد بن محمد

بن عاصم، وأحمد بن بندار الشعار، ومحمد بن معمر بن ناصح، وأبو الشيخ، وأبو بكر القباب، وهو آخر أصحابه وفاة، وأبو عبد الله محمد بن أحمد الكسائي.

ظاهريته: قال أبو سعيد بن الأعرابي في كتاب "طبقات النساك" له: فأما أبو بكر بن أبي عاصم، فسمعت من يذكر أنه كان يحفظ لشقيق البلخي ألف مسألة، وكان من حفاظ الحديث والفقه، وكان مذهبه القول بالظاهر ونفي القياس.

وقال: أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد بن مسلم بن رافع بن رفيع بن ذهل بن شيبان أبو بكر، كان فقيها ظاهري المذهب، ولي القضاء بأصبهان ثلاث عشرة سنة، بعد صالح بن أحمد، توفي فصلى عليه ابنه الحكم.

وقال أبو العباس النسوي: أبو بكر بن أبي عاصم، وهو: أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، من أهل البصرة، من صوفية المسجد، من أهل السنة والحديث والنسك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صحب النساك، منهم: أبو تراب، وسافر معه، وكان مذهبه القول بالظاهر، وكان ثقة نبيلا معمرا.

وقال الحافظ أبو نعيم: كان فقيها، ظاهري المذهب .([1])

وقال الذهبى: فى ترجمة أحمد بن بندار الشعار كان أبو بكر – ابن أبى عاصم– ظاهرى المذهب مجتهدا من طبقة داوود بن على ([2])

٢– القاضى على بن الحسين بن حرب بن عيسى أبو عبيد بن حربوية البغدادى (ت ٣١٩هـ).

قال ابن يونس: قدم مصر على القضاء فأقام بها دهرا طويلا وكان شيئا عجبا، ما راينا مثله قبله ولا بعده .... عزل عن القضاء سنة إحدى عشر وثلاث مئة، وكان سبب عزله انه كتب يستعفى من القضاء .... إلى أن قال ابن يونس وكان ثقة ثبتا ([3]).

(١) أنظر: الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٣/٤٣٠.

(٢) أنظر: تاريخ الإسلام، السنين من ٣٥١–٣٨٠ هت، ص١٨٧.

(٣) البغدادى، تاريخ بغداد، ١١/٣٩٥–٣٩٨.

ومن أقواله فى ذم التقليد: ما يقلد إلا عصبى أو غبى (١) .

وقد حمل الفقه الظاهرى عن داوود بن على الظاهرى (٢)

وفاتة: توفى ليلة الخميس، ودفن يوم الخميس فى داره، وصلى عليه أبو سعيد الإصطخرى (٣)

٣-القاضى أبو على الواسطى محمد بن موسى (ت ٣٢٠هـ) قاضى الرملة، كان عالما فقهيا مفسرا، تفقه على مذهب أهل الظاهر، وقد رمى بالقدر، وتوفى سنة ٣٢٠هـ بمصر (٤).

٤-قاضى القضاة منذر بن سعيد البلوطى (٣٥٥هـ) (٥) أبو الحكم الاندلسي قاضي الجماعة ينسب إلى قبيلة يقال لها كزنه وهو من موضع قريب من قرطبه يقال له فحص البلوط .

رحل إلى المشرق والتقى برجال الفقه واللغة وجلب إلى الأندلس كتاب الأشراف فى اختلاف العلماء لابن المنذر، وكتاب العين للخليل بن أحمد (٦)

ولى قضاء ماردة والثغور الشرقية (٧)، ووضحت مكانته الاجتماعية من خلال حضوره حفل استقبال عبد الرحمن الناصر لسفراء قسطنطين السابع بقصر الزهراء سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م، وقد عرف منذر كيف يفيد من كل مناسبة كى يزداد رفعة وسلطانا عند الخليفة، فأصبح أكبر شيوخ عصره بحكم أنه أصبح قاضى الجماعة، وسلم الناس له بذلك بحكم مركزه الوظيفى (٨)، ولا شك أن مكانته الاجتماعية هذه حققت له رخاء اقتصاديا

(١) نقلا عن الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٤/٥٣٧.

(٢) السبكى، طبقات الشافعية، ٢/٣٠١.

(٣) البغدادى، تاريخ بغداد، ١١/٣٩٨.

(٤) السيوطى، طبقات المفسرين، ص١٠٢.

(٥) عنه بالتفصيل أنظر: ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ١/ ٣٧٨، ٣٧٩ ترجمة ٦٥٣؛ وانظر النباهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص٧٤، ٧٥، الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٦/ ١٧٣- ١٧٨، ابن غالب، منتقى فرحة الأنفس، ص٣٠٢-٣٠٦ .

(٦) القفطى، إنباه الرواة، ٣/٣٢٥.

(٧) النباهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص٧٤،٧٥.

(٨) حسين مؤنس، شيوخ العصر، ص٧٠-٧٢.

وجعلته في مصاف الأثرياء، وإن ظل دائما ينهى عن الإسراف، حتى إنه لم يستطع أن يخفى اعتراضه على ما قام به الناصر من جعل سقف قبة قصره بالزهراء من الذهب، فنقضه الناصر لتوه (١)، وهكذا لم يمنع المنذر منصبه الاجتماعى من توجيه النصح للخليفة بل والاعتراض على بعض أفعاله طالما خالفت تعاليم الإسلام وقيمه

قلت: مات المنذر وهو فى منصب القضاة، فكانت ولايته القضاء ست عشرة سنة، و كانت بينه وبين الإمام أبى علبى القالي تلميذ الإمام ابن عرفه الظاهري (نفطويه) مودة وصحبة .

قلت: قال منذر بن سعيد كتبت إلى أبي علي البغدادي أستعير منه كتابا من الغريب وقلت

بحق ربهم مهفهف ... وصدغه المتعطف
إبعث إلي بجزء ... من الغريب المصنف
فقضى حاجتي وأجاب بقوله
وحق در تألف ... بفيك أي تألف
لأبعثن بما قد حوى ... الغريب المصنف
ولو بعثت بنفسي ... إليك ما كنت أسرف(٢)

كان المنذر فقيها محققا وخطيبا بليغا مفوها له اليوم المشهور الذي ملا فيه الاذان وبهر العقول وذلك ان الناصر لدين الله كان مشغوفا بابي علي القالي إسماعيل بن القاسم البغدادى يؤهله لكل مهم فلما دخل ملك الروم لقصر قرطبة تقدم القالى ليقوم خطيبا على العادة الجارية فلما شاهد الجمع العظيم جبن فلم تحمله رجلاه ولا ساعده لسانه وفطن له منذر بن سعيد فوثب في الحال وقام مقامه وارتجل خطبة بديعة جاء فيها اما بعد فان لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقالا وليس بعد الحق الا الضلال واني قد قمت في مقام كريم بين

(١) ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، تحقيق لطفى عبدالبديع، مجلة معه المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، ربيع أول ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، مجلد١ ج٢ ص٣١٠،٣١١.
(٢) نقلا عن المقرى، نفح الطيب، ٢/٢٠.

obeikandi.com

يدي ملك عظيم فأصغوا إلى معشر الملأ بأسماعكم ان من الحق ان يقال للمحق صدقت وللمبطل كذبت وان الجليل تعالى في سمائه وتقدس بأسمائه امر كليمه موسى ان يذكر قومه بنعم الله عندهم وأنا اذكركم نعم الله عليكم وتلافيه لكم بولاية اميركم التي امنت سربكم ورفعت خوفكم وكنتم قليلا فكثركم ومستضعفين فقواكم ومستذلين فنصركم ولاه الله اياما ضربت الفتنة سرادقها على الافاق واحاطت بكم شعل النفاق حتى صرتم مثل حدقة البعير مع ضيق الحال والتغيير فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء إلى ان قال فناشدتكم الله الم تكن الدماء مسفوكة فحقنها والسبل مخوفة فآمنها والاموال منتهبة فأحرزها والبلاد خرابا فعمر والثغور مهتضمة فحماها ونصرها فاذكروا آلاء الله عليكم .... إلى أن قال فقد فتح الله عليكم أبواب البركات وتواترت عليكم أسباب الفتوحات وصارت وفود الروم وافدة عليكم يأتون من كل فج عميق وبلد سحيق إلى أن قال :

مقال كحد السيف وسط المحافل أقمت به ما بين حق وباطل

وانشد في آخرها لنفسه:

هذا المقال الذي ما عابه فند لكن صاحبه ازرى به البلد

لو كنت فيهم غريبا كنت مطرفا لكنني منهم فاغتالني النكد

لولا الخلافة ابقى الله بهجتها ما كنت ابقى بارض ما بها احد

فاستحسنوا ذلك وصلب الرسول على وجهه وقال هذا كبش الملك (١)

مصنفاته:

١-كتاب الانباه عن الاحكام من كتاب الله وورد بلفظ الإنباه على استنباط الأحكام في كتاب الله"..هذا المصدر أقدم من نقل عنه هو القاضي عيسى بن سهل الجياني (ت.٤٨٦هـ/١٠٩٣م) في كتابه الموسوم بالتنبيه على شذوذ ابن حزم، وسماه بكتاب الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله" وهكذا سماه الحميدي تلميذ ابن حزم أو غيره لا أذكر. وقد يذكر كتاب منذر بن سعيد باسم مختصر هو أحكام القرآن وممن

(١) أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ابن غالب، منتقى فرحة الأنفس، تحقيق لطفى عبد البديع، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

أكثر النقل عنه ابن جزي الأندلسي. وغيره من الأندلسيين.

٢–كتاب الابانه عن حقائق اصول الديانة، والأدلة على استنباط الأحكام من كتاب الله (١)

٣– كتاب الناسخ والمنسوخ ومنه أكثر ابن العربى النقل فى كتابه الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم.

٤– رسالة إلى بعض إخوانه. مخطوطة وعندى نسخة منها.

٥– رسالة فيما أنكر عليه من تحويل ردائه. مخطوطة وعندى نسخة منها .

٦– تفسير غريب المدونة ذكره صاحب طبقات المالكية .

شيوخه ورحلته للمشرق :

سمع بالاندلس من من عبد الله بن يحيي بن يحيي الليثى ونظرائه ن ثم رحل للمشرق حاجا سنة ٣٠٨هـ فاقام أربعين شهرا التقى فيها بـ

١ -محمد بن المنذر النيسابورى وأخذ عنه بمكة كتاب الإشراف فى اختلاف العلماء، وجلبه للأندلس.

٢ -أبو العباس بن ولاد بمصر وروى عنه كتاب العين للخليل بن أحمد .

٣ -أبو جعفر أحمد بن محمد بن النحاس النحوى بمصر وله معه حكاية مشهور تدل على فطنته وسرعة بديهته إذ إنه حضر مجلسه فى الإملاء فأملى ابو جعفر مما أملى قول الشاعر :

خليليّ هل بالشام عينٌ حزينة تبكّي على نجد لعلي أعينها

وهل بائع نفساً بنفس أو الأسى إليها فأجلاها بذاك حنينها

وأسلمها الباكون إلا حمامة مطوقة باتت وبات عنها قرينها

تجاوبها أخرى على خيزرانة يكاد يُدَنّيِها من الأرض لينها

فقال له منذر بن سعيد: أيها الشيخ أعزك الله، باتا يصنعان ماذا ؟ فقال ابو جعفر النحاس: وكيف تقول أنت يا اندلسى ؟ فقال له منذر بانت وبان عنها قرينها. فاستبان أبو جعفر ما قال، وقال له ارتفع ولم يزل يرفعه حتى أدناه منه .

(١) أنظر: ابن حزم، رسالة فى فضل الأندلس، رسائل ابن حزم، ١٧٩/٢، وانظر: الذهبى سير أعلام النبلاء .

obeikandl.com

تلاميذه: بجانب أبنائه الثلاثة نجد أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتى من أشهر تلاميذه، وهو شيخ الحافظ ابن عبدالبر، وكان مختصا بالقاضى منذر بن سعيد وسمع منه مصنفاته كلها .

إخوته: لم نعرف من إخوته سوى فضل الله بن سعيد، وكان قد رحل مع أخيه للمشرق والتقى بابن المنذر، وسمع منه ومن ابن ولاد، وابن النحاس، وتولى قضاء فحص البلوط سنة ٣٣٠هـ، وتوفى سنة ٣٣٥هـ، وورث فيه أخوه المنذر (١)

أبناؤه :

١ -حكم وكان رأسا للمعتزلة بالأندلس وكبيرهم واستاذهم ومتكلمهم وناسكهم على قول ابن حزم (٢)، وقد وثقه ابن حزم وقال عنه إنه "بعيد من الكذب "(٣).

٢ -عبدالملك كان متهما بمذهب الاعتزال أيضا على حد قول ابن حزم(٤) صلبه المنصور بن ابى عامر لاتهامه أنه وجماعة من الفقهاء والقضاة يبايعون سرا لعبدالرحمن بن عبد الله بن الناصر وقال يوم صلبه "اللهم إن كنت كشفت سترى فى الدنيا فلا تكشفه فى الآخرة يا ارحم الراحمين ".

٣ -سعيد كان خطيبا بليغا ذكيا نبيها قتل يوم تغلب البرابرة على قرطبة سنة ٤٠٣هـ وقد ذكر ابن حزم واقعة قتله(٥) .

أقوال العلماء فيه :

قال ابن الطيلسان: كان خطيب الأندلس وبليغها مع العلم البارع والمعرفة الكاملة والتفنن فى العلوم على اختلافها، والدين والورع وكثرة الصلاة والصيام والصلابة فى الأحكام والصدع بالحق فى جميع الأمور لا يداهن أحدا ولا تأخذه فى الله لومة لائم، وكان أعلم

(١) ابن الفرضى، بغية الملتمس، ترجمة ١٢٨٨.
(٢) أنظر: طوق الحمامة، ص٤٥.
(٣) أنظر: الفصل فى الملل والأهواء والنحل.
(٤) أنظر: طوق الحمامة، ص٤٥.
(٥) نفسه، ص٤٥.

الناس باختلاف العلماء ([1]).

ذكره امير المؤمنين الحكم المستنصر: فقال كان فقيها فصيحا خطيبا لم يسمع بالاندلس اخطب منه وكان اعلم الناس باختلاف العلماء شاعرا لبيبا اديبا له تصانيف حسان جدا وكان مذهبه النظر والجدل يميل إلى مذهب داود بن علي.

وذكره محمد بن حارث القروى فقال كان من اهل النفاذ والتحصيل متدربا للمناظرة متخلفا بالانصاف جيد الفهم طويل العلم بليغا موجزا يميل إلى طرق الفضائل ويوالي أهلها ويلهج بأخبار الصالحين.

حج سنة ثمان وثلاث مئة فأقام في رحلته اربعين شهرا وانصرف فأدخل الاندلس من علم النظر ومن علم اللغة كتبا كثيرة وامتحنه الناصر يغيرما امانة واخرجه رسولا إلى غير ما وجه فخلص محمودا وأقام بما حمل مشكورا ثم ولاه قضاء كورة ما ردة ثم ولاه قضاء الثغور الشرقية كلها ثم نقله إلى قضاء القضاة والصلاة بجامع الزهراء.

قال إمامنا أبو محمد بن حزم اخبرني حكم بن منذر بن سعيد اخبرني ابي انه حج راجلا مع قوم رجالة فانقطعوا وأعوزهم الماء في الحجاز وتاهوا قال فأوينا إلى غار ننتظر الموت فوضعت رأسي ملصقا بالجبل فإذا حجر كان في قبالته فعالجته فنزعته فانبعث الماء فشربنا وتزودنا.

وقال ابن حزم: وإذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال ومنذر بن سعيد لم نجار بهما إلا أبا الحسن ابن المغلس والخلال والديباجي ورويم بن أحمد وقد شركهم عبد الله في أبي سليمان وصحبته ([2])

وقال ابن حزم: "كان من أخطب الناس وأعلمهم بكل فن وأورعهم، وأكثرهم هزلا ودعابة "([3]).

قلت: ومن دعابته ما حدث به سعيد ابنه قال قعدنا ليلة من ليالي شهر رمضان

(١) نقلا عن مجهول، طبقات المالكية، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم ٣٩٢٨د، ورقة ٢١٢-٢١٤.
(٢) أنظر: رسائل ابن حزم، ١٨٧/٢.
(٣) أنظر: طوق الحمامة، ص٤٥.

obeikandl.com

المعظم مع أبينا للإفطار بداره البرانية فإذا سائل يقول أطعمونا من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة ويكثر من ذلك فقال القاضي إن استجيب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا واحد (١) .

وحكى عنه قاسم بن أحمد الجهني أنه ركب يوما لحيازة أرض محبسة في ركب من وجوه الفقهاء وأهل العدالة فيهم أبو إبراهيم اللؤلؤي ونظراؤه قال فسرنا نقفوه وهو أمامنا وأمامه أمناؤه يحملون خرائطه وذووه عليهم السكينة والوقار وكانت القضاة حينئذ لا تراكب ولا تماشي فعرض له في بعض الطريق كلاب مع مستوحمة والكلاب تلعق هنها وتدور حولها فوقف وصرف وجهه إلينا وقال ترون يا أصحابنا ما أبر الكلاب بالهن الذي تلعقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا وبقينا متعجبين من هزله .

وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما في خلوة له في بستان الزهراء على بركة ماء طافحة وسط روضة نافحة في يوم شديد الوهج وذلك إثر منصرفه من صلاة الجمعة فشكا إلى الخليفة من وهج الحر الجهد وبث منه ما تجاوز الحد فأمره بخلع ثيابه والتخفيف عن جسمه ففعل ولم يطف ذلك ما به فقال له الصواب أن تنغمس في وسط الصهريج انغماسة يبرد بها جسمك وليس مع الخليفة إلا الحاجب جعفر الخادم الصقلبي أمين الخليفة الحكم لا رابع لهم فكأنه استحيا من ذلك وانقبض عنه وقارا وأقصر عنه إقصارا فأمر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه إلى النزول في الصهريج ليسهل عليه الأمر فيه فبادر جعفر لذلك وألقى نفسه في الصهريج وكان يحسن السباحة فجعل يجول يمينا وشمالا فلم يسع القاضي إلا إنفاذ أمر الخليفة فقام وألقى بنفسه خلف جعفر ولاذ بالقعود في درج الصهريج وتدرج فيه بعض تدريج ولم ينبسط في السباحة وجعفر يمر مصعدا ومصوبا فدسه الحكم على القاضي وحمله على مساجلته في العوم فهو يعجزه في إخلاده إلى القعود ويعابثه بإلقاء الماء عليه والإشارة بالجذب إليه وهو لا ينبعث معه ولا يفارق موضعه إلى أن كلمه الحكم وقال له ما لك لا تساعد الحاجب في فعله وتنقيل صنعه فمن أجلك نزل وبسببك تبذل فقال له يا سيدي يا

(١) نقلا عن المقرى، نفح الطيب، ١٧/٢.

أمير المؤمنين الحاجب سلمه الله تعالى لا هوجل معه وإنا بهذا الهوجل الذي معي يعقلني ويمنعني من أن أجول معه مجاله يعني أن الحاجب خصي لا هوجل معه والهوجل الذكر فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته ولطيف تعريضه لجعفر وخجل جعفر من قوله وسبه سب الأشراف وخرجا من الماء وأمر لهما الخليفة بخلع ووصلهما بصلات سنية تشاكل كل واحد منهما .

وحكي أن الخليفة الحكم قال له يوما لقد بلغني أنك لا تجتهد للأيتام وأنك تقدم لهم أوصياء سوء يأكلون أموالهم فقال نعم وإن أمكنهم نيك أمهاتهم لم يعفوا عنهن قال وكيف تقدم مثل هؤلاء قال لست أجد غيرهم ولكن أحلني على اللؤلؤي وأبي إبراهيم ومثل هؤلاء فإن أبوا أجبرتهم بالسوط والسجن ثم لا تسمع إلا خيرا (١).

وقال ابن عبد البر حدثت ان رجلا وجد القاضي منذر بن سعيد في بعض الاسحار على دكان المسجد فعرفة فجلس اليه وقال ياسيدى انك لتغرر بخروجك وانت اعظم الحكام وفي الناس الحكوم عليه والرقيق الدين فقال ياأخي واني لي بمثل هذه المنزلة وانى لي بالشهادة ما اخرج تعرضا للتغرر بل اخرج متوكلا على الله اذ انا في ذمته فاعلم ان قدرة لا محيد عنه ولا وزر دونه.

قال ابن بشكوال منذر بن سعيد خطيب بليغ مصقع لم يكن بالاندلس اخطب منه مع العلم البارع والمعرفة الكاملة واليقين في العلوم والدين والورع وكثرة الصيام والتهجد والصدع بالحق كان لا تأخذه في الله لومة لائم وقد استسقى غير مرة فسقي.

وقال الذهبى: كان فقيها محققا، وخطيبا بليغا مفوها، له اليوم المشهور الذي ملأ فيه الآذان، وبهر العقول، وذلك أن المستنصر بالله، كان مشغوفا بأبي علي القالي، يؤهله لكل مهم، فلما ورد رسول الروم أمره أن يقوم خطيبا على العادة الجارية، فلما شاهد أبو علي الجمع العظيم جبن فلم تحمله رجلاه، ولا ساعده لسانه، وفطن له منذر بن سعيد، فوثب في الحال، وقام مقامه، وارتجل خطبة بديعة، فأبهت الخلق، وأنشد في آخرها لنفسه:

هذا المقال الذي ما عابه فند ..... لكن صاحبه أزرى به البلد

(١) المقرى، نفح الطيب، ٢/١٩،١٨.

لو كنت فيهم غريبا كنت مطرفا ..... لكنني منهم فاغتالني النكد
لولا الخلافة أبقى الله بهجتها ..... ما كنت أبقى بأرض ما بها أحد

فاستحسنوا ذلك، وصلب الرسول، وقال: هذا كبش رجال الدولة.

ومن خطبته إذ ارتجل على أبي علي القالي : أما بعد: فإن لكل حادثة مقاما، ولكل مقام مقالا، وليس بعد الحق إلا الضلال، وإني قد قمت في مقام كريم بين يدي ملك عظيم، فأصغوا إلي معشر الملأ بأسماعكم إن من الحق أن يقال للمحق: صدقت، وللمبطل: كذبت. وإن الجليل تعالى في سمائه، وتقدس بأسمائه، أمر كليمه موسى أن يذكر قومه بنعم الله عندهم، وأنا أذكركم نعم الله عليكم. وتلافيه لكم بولاية أميركم التي آمنت سربكم، ورفعت خوفكم، وكنتم قليلا فكثركم، ومستضعفين فقواكم، ومستذلين فنصركم، ولاه الله (أياما) ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق، وأحاطت بكم شعل النفاق، حتى صرتم مثل حدقة البعير، مع ضيق الحال والتغيير، فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء. .. إلى أن قال: فناشدتكم الله، ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ؟ والسبل مخوفة فآمنها، والأموال منتهبة فأحرزها والبلاد خرابا فعمرها، والثغور مهتضمة فحماها ونصرها. فاذكروا آلاء الله عليكم. وذكر باقي الخطبة ([1]).

وقال المقرى: قالوا وكان على متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعابة فربما ساء ظن من لا يعرفه حتى إذا رام أن يصيب من دينه شعرة ثار له ثورة الأسد الضاري ([2]) .

وقال المقرى أيضا: وكان منذر متفننا في ضروب العلوم وغلب عليه التفقه بمذهب أبي سليمان داود بن علي الأصبهاني المعروف بالظاهري فكان منذر يؤثر مذهبه ويجمع كتبه ويحتج لمقالته ويأخذ به في نفسه وذويه فإذا جلس للحكومة قضى بمذهب الإمام مالك وأصحابه وهو الذي عليه العمل بالأندلس وحمل السلطان أهل مملكته عليه وكان خطيبا بليغا عالما بالجدل حاذقا فيه شديد العارضة حاضر الجواب عتيده ثابت الحجة ذا شارة عجيبة ومنظر جميل وخلق حميد وتواضع لأهل الطلب وانحطاط إليهم وإقبال عليهم وكان

(١) أنظر: سير أعلام النبلاء، ١٦/١٧٤،١٧٨.
(٢) أنظر: نفح الطيب، ٢/١٧.

– مع وقاره التام – فيه دعابة مستملحة وله نوادر مستحسنة وكانت ولايته القضاء بقرطبة للناصر في شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ولبث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر إلى وفاته ثم للخليفة الحكم المستنصر إلى أن توفي رحمه الله تعالى عقب ذي القعدة من سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فكانت ولايته لقضاء[1].

قلت: العلامة المنذر بن سعيد البلوطى قاضى القضاة فى عهد عبد الرحمن الناصر، وأشهر الفقهاء المقربين إلى قلب الناس، والذى وقعت بينه وبين الناصر العديد من المواقف دونها أهل التاريخ وافردوها بالذكر فى كتبهم لما كان لها من الاثر العظيم فى تاريخ الناصر والقضاة والفقهاء خاصة، وتاريخ الأندلس والإسلام بعامة. المنذر رضى الله عنه كان من قبيلة يقال لها: كزنة، وهو من موضع قريب من قرطبة، يقال له: فحص البلوط.

وقد ذكر مؤرخو البربر المنذر بن سعيد البلوطى من جملة فقهاء البربر.

وقد ذكر ياقوت الحموى فحص البلوط والمنذر فى معجم البلدان بقوله "فحص البلوط.ناحية بالأندلس تتصل بجوف أوريط بين المغرب والقبلة من أوريط وجوف من قرطبة يسكنه البربر وسهله منتظم بجبال منها جبل البرانس وفيه معادن الزيبق ومنها يُحمل إلى جميع البلاد وفيها الزنجُفر الذيَ لا نظير له وأكثر أرضهم شجر البلوط .ينسب إليها المنذر بن سعيد البلوطي القاضي بالأندلس وكان أحد أعيان الأماثل ببلاده زهداً وعلماً وأدباً ولساناً ومكانة من السلطان، وقلعة البلوط بصقلية حولها أنهار وأشجار وأثمار وأراضي كريمة تنبت كل شيءٍ.

وذكر العلامة ابن حزم لغة فحص البلوط فى كتابه الإحكام فى الجزء الأول بالمجلد الأول عن الحديث عن كيفية ظهور اللغات فقال "ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد أن يقول إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة.

كرامات المنذر وفضائله: قال الحسن بن محمد قحط الناس في بعض السنين آخر مدة الناصر فأمر القاضي منذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء بالناس فصام اياما وتأهب واجتمع الخلق في مصلى الربض وصعد الناصر في اعلى قصره ليشاهد الجمع فأبطأ منذر ثم

(١) أنظر: نفح الطيب، ٢/٢١.

خرج راجلا متخشعا وقام ليخطب فلما رأى الحال بكى ونشج وافتتح خطبئه بأن قال سلام عليكم ثم سكت شبه الحسير ولم يكن من عادته فنظر الناس بعضهم إلى بعض لا يدرون ما عراه ثم اندفع فقال (سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمه) [الانعام ٥٤] (استغفروا ربكم وتوبوا اليه وتقربوا بالاعمال الصالحة لديه فضج الناس بالبكاء وجأروا بالدعاء والتضرع وخطب فأبلغ فلم ينفض القوم حتى نزل غيث عظيم واستسقى مرة فقال يهتف بالخلق (يا ايها الناس انتم الفقراء إلى الله) [فاطر ١٥ ١٦] فهيج الخلق على البكاء قال وسمعت من يذكر ان رسول الناصر جاءه للاستسقاء فقال للرسول ها أنا سائر فليت شعري ما الذي يصنعه الخليفة في يومنا هذا فقال ما رأيته قط اخشع منه في يومه هذا إنه منفرد بنفسه لابس اخشن الثياب مفترش التراب قد علا نحيبه واعترافه بذنوبه يقول رب هذه ناصيتي بيدك اتراك تعذب الرعيه وانت احكم الحاكمين وأعدلهم ان يفوتك مني شيء فتهلل منذر بن سعيد وقال يا غلام احمل الممطرة معك اذا خشع جبار الارض رحم جبار السماء(١).

وحج مرة راجلاً فانقطع هو من معه وأعوزهم الماء في الحجاز، وتاهوا فأووا إلى غار ينتظرون الموت، فألصق الشيخ رأسه بحجر يدعو الله، ثم عالج ذلك الحجر وخلعه مستعملاً كل قوته، فنبع من فوق الحجر ماء شرب من الناس وتزودوا .

وخطب يوما فأعجبته نفسه فقال حتى متى أعظ ولا اتعظ وأزجر ولا أزدجر أدل على الطريق المستدلين وأبقى مقيما مع الحائرين كلا إن هذا لهو البلاء المبين (إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) [الأعراف ١٥٥] اللهم فرغني لما خلقتني له ولا تشغلني بما تكفلت لي به ولا تحرمني وأنا أسألك ولا تعذبني وأنا أستغفرك يا أرحم الراحمين(٢)

نصحه للحكام: قال ابن عفيف من أخباره المحفوظة أن أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر عمل في بعض سطوح الزهراء قبة بالذهب والفضة وجلس فيها ودخل الاعيان فجاء منذر بن سعيد فقال له الخليفة كما قال لمن قبله هل رأيت او سمعت ان احدا من الخلفاء

(١) أنظر: الذهبي، مصدر سابق، ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٠٤،٣٠٥.
(٢) المقرى، نفح الطيب، ٢/٢٠.

قبلي فعل مثل هذا فأقبلت دموع القاضي تتحدر ثم قال والله ما ظننت يا أمير المؤمنين ان الشيطان أخزاه الله يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله وفضلك على العالمين حتى انزلك منازل الكفار فاقشعر عبد الرحمن من قوله وقال انظر ما تقول كيف أنزلنى منازل الكافرين فقال قال الله عزوجل (ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة إلى قوله والاخرة عند ربك للمتقين) [الزخرف ٣٣ ٣٤] فنكس الناصر رأسه طويلا ودموعه على لحيته تجرى خشوعا لله تعالى وتذمما إليه ثم أقبل على منذر وقال جزاك الله عنا خيرا وعن المسلمين وكثر فى المسلمين أمثالك فالذي قلت هو الحق وقام من مجلسه وهو يستغفر الله وامر بنقض سقف القبة وأعاد قراميدها ترابا (١).

وقد استغرق مرة في خطبته بجامع الزهراء فأدخل فيها (أتبنون بكل ريع اية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين) [الشعراء ١٢٨ ١٣٠]. منتقدا عبد الرحمن الناصر لدين الله نقدًا لاذعًا مبطّنًا من على المنبر في خطبة الجمعة بسبب إسرافه في الإنفاق على بناء مدينة الزهراء، فتأذى من ذلك النقد عبد الرحمن حيث أسر لابنه الحكم قائلاً: »والله لقد تعمدني منذر بخطبته، وما عني بها غيري، فأسرف عليّ وأفرط في تقريعي وتفزيعي، ولم يحسن السياسة في وعظي، فزعزع قلبي وكاد بعصاه يقرعني .«وقد أقسم أن لن يصلي خلفه صلاة الجمعة بعدئذ، ولم يلجأ إلى عقاب القاضي أو مسه بأي ضرر، بعد أن قال له ولده الحكم» :وما لذي يمنعك والإستبدال به؟«، زجره ونهره قائلاً له» :أمثل المنذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه؟ لا أم لك. يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد سالكة غير القصد، وهذا ما لا يكون. وإني لأستحي من الله ألا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعًا مثل المنذر في ورعه وصدقه، ولكنه أحرجني، فأقسمت وودت أن أجد سبيلاً إلى كفارة يميني بملكي، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله، فما أظننا نعتاض منه أبدا(٢)

(١) أنظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٠٣،٣٠٢.
(٢) المقرى، نفح الطيب، ١٨/٢.

قلت: وقد تخير الناصر لخطابة الزهراء أحمد بن مطرف اذا حضر الناصر.

شعره فى ذم التقليد :

عذيري من قوم يقولون كلما ... طلبت دليلا هكذا قال مالك

وإن عدت قالوا هكذا قال أشهب ... وقد كان لا يخفى عليه المسالك

وإن زدت قالوا قال سحنون مثله ... ومن لم يقل ما قاله فهو آفك

فإن قلت قال الله ضجوا أو أكثروا ... وقالوا جميعا أنت قرن مماحك

وإن قلت قد قال الرسول فقولهم ... أتت مالكا في ترك ذاك المسالك (١)

من أقواله فى الفقه: تزكي سائمة الإبل وغير السائمة منها سواء سواء(٢).

ومنها إثبات إمامة على بن أبى طالب فى جملة الراشدين ورده على من لا يرى ذلك، وقد وقع له وهو قاض أنه طالع أرجوزة لابن عبدربه ذكر فيها الخلفاء وجعل معاوية رابعهم ولم يذكر عليا فيهم ثم واصل ذكر الخلفاء إلى عبد الرحمن بن محمد فغضب المنذر وسب ابن عبدربه وكتب فى حاشية الكتاب :

أو ما على لا برحت ملعنا .... يا ابن الخبيثة عندكم بإمام.

رب الكساء وخير بل محمد ... دانى الولاء مقدم الإسلام (٣)

من أقواله فى المعتقد: قال المنذر بن سعيد النار لم تخلق حتى الآن (٤)

من أقواله فى اللغة والتفسير :

ذكر منذر بن سعيد أن الإملاق الإنفاق يقال أملق ماله بمعنى أنفقه وذكر أن عليا رضي الله عنه قال لامرأته أملقي من مالك ما شئت ورجل ملق يعطي بلسانه ما ليس في قلبه(٥)

(١) نقلا عن ابن عبدالبر، جامع بيان العلم وفضله .

(٢) أنظر: ابن حزم، المحلى، مسألة ٦٧٨.

(٣) نقلا عن المقرى ن نفح الطيب، ٢/٥١٢/٥١١.

(٤) أنظر: تفسير القرطبى ١/٢٣٦.

(٥) أنظر: تفسير القرطبى ٧/١٣٢.

وذهب منذر بن سعيد إلى أن قفا وقاف مثل جبذ وجذب ([1])

وحكى القاضي منذر بن سعيد أن بعضهم قرأ أفظن بالألف وذلك فى قوله تعالى "فظن أن لن نقدر عليه "([2])

وقال المنذر فى قوله تعالى "ستدعون إلى قوم أولى باس شديد تقاتلونهم أو تسلمون" قال إنهم أهل الردة من بنى حنيفة وغيرهم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق، وقد جعل الله حكمهم القتل أو الإسلام، ولم يذكر الجزية، وهذا لا يوجد إلا فى أهل الردة ([3]).

المنذر بن سعيد البلوطى والاعتزال: ذكر ابن حزم أن المنذر كان متهما بمذهب الاعتزال ([4])، واتهمه ابن العربى المالكى عدو الظاهرية وخصمها اللدود بأنه أتى ببدعة القدرية من المشرق فى الاعتقاد، ونحلة الداودية فى الأعمال ([5])، ولم يتيسر لنا أن نقف على صحة قول ابن العربى إذ إن جل مصنفات المنذر مفقودة إلا رسالتين صغيرتين، ومشهور عن ابن العربى تعصبه فلا يمكن أن نثق فى كلامه، لا سيما مع حكم ابن حزم المهم أن المنذر كان متهما، ولم يقل كان معتزليا .

وفاته: توفي في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وذكر بعضهم ان مولده سنة خمس وستين ومئتين فيكون عمره تسعين سنة كاملة رحمه الله تعالى، وصلى عليه ابنه عبد الملك([6]).

٥- القاضى أبو نصر يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل الأزدى (ت٣٥٦هـ)

قال الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) "وانقرض هذا المذهب ببغداد وبقي بشيراز جماعة من

(١) أنظر: تفسير القرطبى ٢٥٨/١٠

(٢) أنظر تفسير القرطبى ٣٣٢/١١.

(٣) نقلا عن ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ٥٣/٤.

(٤) أنظر: طوق الحمامة، ص٤٥.

(٥) أنظر: العواصم من القواصم، ٤٩٣/٢.

(٦) المقرى، نفح الطيب، ٢٢/٢.

أصحاب أبي الفرج الفامى ...وذكر القاضي أبو بكر ابن الأخضر في "أخبار أهل الظاهر "أن أبا نصر يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف انتقل من مذهب مالك إلى مذهب داود وتقدّم فيه، وتمّم كتاب "الإيجاز "لمحمد بن داود، ومولده سنة خمسٍ وثلاث مئة، ووفاته سنة ست وخمسين وثلاث مئة، وقد ذكرته في أصحاب مالك (رضي الله عنهم أجمعين) "(١). اهـ. ونقل هذا النص أيضاً القاضي عياض في "ترتيب المدارك ".

قلت: وهو من أهل بغداد وولى قضاءها وكان أبوه قاضيا عليها، وكذا جده وأبو جده فهو من أعرق الناس فى القضاء، وكان أديبا كاتبا شاعرا عالما باللغة وأسرارها .

وذكر ابن حزم أن له فى الظاهرية تواليف كثيرة واحتجاجات، وكان جده صاحبا لمحمد بن داوود ولعله أخذ الظاهريه عنه أو تأثر به .

ومن قوله فى رسالة له يذكر فيها تحوله من مذهب مالك غلى مه الظاهرية "لسنا نجعل من تصديره فى كتبه ورسائله بقول سعيد بن المسيب و الزهرى وزمعة، كمن تصديره فى كتبه ومسائله بقول الله ورسوله وإجماع الائمة هيهات هيهات "(٢)

٦-القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن صالح المنصورى: سكن العراق وفارس وكان إماما على مذهب داوود الظاهرى .قال ابن النديم من أفاضل الداوديين، له كتب جليلة حسنة منها كتاب المصباح كبير، كتاب الهادى، كتاب النير أخذ العلم عن مملوك أبيه الذي اعتقه فخرج إلى بغداد وتعلم وعاد إلى سيده المنصورى (٣). وقال الحاكم "كان من أظرف من رأيت من العلماء". انصرف من خراسان إلى أرجان حيث تولى قضاءها عام ٣٦٠هـ (٤)

٧-القاضى أبو عمر عبيد الله بن أحمد بن الحسين بن السمسار (ت ٣٦١هـ). من تلاميذ محمد بن داوود الظاهرى، نزل مصر، وكان كثير الخدمة للملوك والأمراء مغرما بقضاء

(١) أنظر: طبقات الفقهاء، ١٧٩ .
(٢) الذهبى، تاريخ الإسلام، السنين ٣٥١-٣٨٠هـ، ص١٥٤.
(٣) أنظر ك الفهرست، ص٣٠٢.
(٤) مازن البحصلى، طبقات أهل الظاهر، ص٦٦.

obeikandl.com

حوائج الناس، وكان يتولى سوق الرقيق([1])

٨–القاضى ابن اخت وليد العلامة القاضي (ت٣٦٩هـ) أبو محمد عبد الله بن احمد بن راشد بن شعيب البغدادي الظاهري ابن اخت وليد حدث عن ابي قتيبة العسقلاني وغيره، وحدث عنه علي بن منير وابن نظيف الفراء ومحمد بن جعفر بن ابي كان اولا خياطا ثم اشتغل وولي قضاء مصر سنة ثم عزل سنة ثلاثين وثلاث مئة ثم ولي قضاء دمشق سنة ثمان واربعين.

قال ابن حزم له مصنفات كثيرة اخذ عن ابي الحسن بن المغلس.

قال الذهبى: لم يحمد في القضاء وبذل فيه ذهبا وقيل كان سخيفا خليعا يرتشي.

وقال ابن زولاق تكبر واستهان بالناس وكان يهزل في مجلسه وله اموال ومتاجرة وكان يقول لحاجبه اين اليهود يعني الشهود واين الكمنا يعني الامناء وقالت امرأة خذ بيدي قال وبرجلك وكان الذهلي لا ينفذ له حكما مات سنة تسع وستين وثلاث مئة([2]) .

٩–أبو القاسم عبيد الله بن على بن الحسن بن محمد بن عمر بن حزم النخعى الكوفى (ت ٣٧٦هـ).

فقيه الداوودية بخراسان وقيل عنه شيخ أهل الظاهر فى عصره، سمع الحديث بالعراق ومصر وأكثر من السماع، توفى ببخارى وكان قد سكنها قبل وفاتة فى جمادى الأولى سنة ٣٧٦هـ ([3]).

١٠– القاضي أبو الفرج الفامي الشيرازي: أخذ العلم عن بشر بن الحسين وكان إماما في مذهب داود وعنه أخذ فقهاء شيراز مذهب أهل الظاهر وكان نظارا شافي الكلام على مذهب المعتزلة. قال الشيرازى: وكنت أناظره بشيراز وأنا صبي ([4]).

١١– أبو سعيد بشر بن الحسين الشيرازى (ت ٣٨١هـ).كان إماما في أصحاب داود وأخذ

(١) الذهبى، تاريخ الإسلام، السنين ٣٥١–٣٨٠ هـ، ص٢٨١.

(٢) الذهبى، سير أعلام النبلاء ، ٢٢٥/١٦، ٢٢٦.

(٣) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ١٥١/٤.

(٤) أنظر: طبقات الفقهاء، ص١٧٩.

العلم عن علي بن محمد البغدادي صاحب ابن المغلس، قدمه عضد الدولة للقضاء وولاه الخليفة العباسى الطائع قضاء القضاة سنة ٣٦٩هـ، ثم عزل فى سنو وفاته ٣٧٦هـ، وتوفى بشيراز وهو فى السبعين من عمره (١).

١٢- أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن البخترى الظاهرى. روى علم ابن المغلس الظاهرى، ومن تلاميذه الذين رووا عنه التنوخى، والصاحب بن عباد، وكان قاضيا للقضاة، وله شهرة بمدينة السلام (٢)

١٣- القاضى أبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الخرزي شيخ الظاهرية ببغداد (ت ٣٩١هـ)(٣) أبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الأصفهاني الحزريري أحد علماء الداوديين في عصر ابن النديم والمتمكنين من المذهب من أفاضل أصحابه ومصنفيهم ولاه عضد الدولة قضاء الربع الاسفل من الجانب الشرقي من مدينة السلام والى وقت تصنيف ابن النديم لكتاب الفهرست وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة وله من الكتب كتاب مسائل الخلاف (٤)

قال السمعانى: الخرزي: بفتح الخاء المعجمة والراء وبعدها الزاي .. وهذه النسبة إلى الخرز وبِيَعها وهم جماعة منهم أبو الحسن أحمد بن نصر بن محمد الزهيري الخرزي البغدادي من أهل بغداد نزيل نيسابور في المدينة الداخلة (٥).. وذكر الحاكم أبو عبد الله الحافظ وقال أبو الحسن الخرزي البغدادي نزيل نيسابور في المدينة الداخلة سمعته غير مرة يذكر سماعه من أبي عبد الله بن مخلد وأبي عبد الله المحاملي .. أخذ الخرزى العلم عن

(١) أنظر: الشرازى، طبقات الفقهاء، ص١٧٧؛ الذهبى، ٣٨١-٤٠٠، ص٣٠. تاريخ الإسلام، السنين

(٢) الصفدى، الوافى بالوفيات، ٨١/٧.

(٣) نفسه، ٤٨٨/١٦. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١٠/ ٤٦٦)، الفهرست (ص ٢٧٣)، المنتظم (١٥/ ٣٠)، الكامل في التاريخ (٧/ ٥٢٣)، البداية والنهاية (١١/ ٣٣٠)، تاريخ الإسلام [حوادث ووفيات ٣٨١. ٤٠٠] (ص ٢٥٦)، تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٢٣)، العبر (٢/ ١٨١)، مرآة الجنان (٢/ ٤٤٢)، شذرات الذهب (٣/ ١٣٧) .

(٤) أنظر: تراجم هؤلاء فى الفهرست، ص٣٠٥- ٣٠٧.

(٥) الأنساب، ٣٤٤/٢-٣٤٥

بشر بن الحسن .

قال أبو عبد الله الصَّيْمَري: أبو عبد الله الصيمري الحنفي فيه وفي أبي حامد الاسفرائيني ما رأيت انظر منهما وجاء الى بغداد هو والقاضي أبو بكر الباقلاني الاشعري في صحبة عضد الدولة من شيراز وأخذ عنه فقهاء بغداد من أهل الظاهر وأخذ عنه ابن له وكان يناظر وأخذ عنه القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن اسماعيل ابن عبيد الله ابن الأخضر وكان من أجلاء شهود قاضي القضاه ببغداد وعن أبي الحسن الخرزي أخذ القاضي أبو علي االداوودي قاضي فيروز آباد .

وقال أبو إسحاق الشيرازي: كان نظاراً ... وعنه أخذ فقهاء بغداد من أهل الظاهر وأخذ عنه ابن له رأيته وكان يناظر (١).

قلت: من قول الشيرازى تتضح عظمة أهل الظاهر فى ذلك الزمن وكثرتهم حتى شغلوا كتاب السير والتراجم .

وقال الخطيب: كان فاضلاً، فقيه النفس، حسن النظر، جيدالكلام، ينتحل مذهب داود بن علي الظاهري.

وقال الخوارزمي: ما رأيت الخرزي كلم خصماً له قط وناظره فانقطع .

وقال ابن كثير: كان ظاهرياً على مذهب داود، وكان لطيفاً .

وقال الذهبي: الفقيه، إمام أهل الظاهر في عصره .

قال ابن الجوزي: كان يقضي بالمخرم وحريم دار الخلافة وباب الأزج والنهروانات وطريق خرسان، وكان على مذهب داود الأصبفهاني، وتقدم إليه وكيلان في خصومة فاحتكما فبكى أحدهما، فقال القاضي: أرني الوكالة فأراه إياها فتأملها، ثم قال: ما رأيت فيها أنه جعل إليك أن تبكي عنه، فنهض الوكيل وضحك الحاضرون .

وقال الشيرازى: هو القاضي الخرزي أيده الله أبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الأصفهاني .. جاء إلى بغداد هو والقاضي أبو بكر الباقلاني الأشعري في صحبة عضد الدولة من شيراز .. أخذ العلم عن بشر بن الحسن، وأخذ العلم عن فقهاء بغداد من أهل الظاهر ..

(١) أنظر: طبقات الفقهاء، ص١٧٨.

وأخذ عنه ابن له رأيته وكان يناظر .. وأخذ عنه القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن إسماعيل بن عبيد الله بن الأخضر وكان من أجلاء شهود قاضي القضاة ببغداد .. وأخذ عنه القاضي أبو علي الداودي قاضي فيروز آباد (١)..

قال ابن تميم الظاهري (٢).. وابن الأخضر هذا أظنه هو صاحب كتاب أخبار أهل الظاهر .. وهو كتاب لا أظن أنه موجود كمخطوط والله أعلم .. وهو الذي حكى الحكاية التي وقعت بعد وفاة الإمام داود للإمام محمد بن داود حين استصغروا سنه ..

قلت: حكى القاضي أبو الحسن الخرزي إن أبا بكر – يعني الإمام محمد بن داود – لما جلس بعد وفاة أبيه في حلقته يفتي استصغروه فدسوا إليه رجلا فقالوا له سله عن حد السكر فأتاه الرجل فسأله عن حد السكر ما هو ومتى يكون الإنسان سكران فقال محمد إذا غربت عنه الهموم وباح بسره المكنون فاستحسن ذلك منه وعلم موضعه من العلم (٣).

وهذا تساؤل عن لى وأنا أنقب فى بعض الأفكار حول الظاهرية وأصل هذا التساؤل يرجع إلى بضعة سنوات حيث كان أحد أصحابنا يتم بحثه للماجستير وكان عن القضاء فى عهد بنى بويه وكنت قد لفت نظره إلى ضرورة الاهتمام بالمذهب الظاهرى خلال فترته إذ كانت مزدهرة بجماعة من الظاهرية وعلى رأسهم القاضى عبدالعزيز بن أحمد، أبو الحسن الخرزي الظاهري المهم تكاثرت الأسئلة والمناقشة حول الموضوع وكان من أبرز الأسئلة التى وجهتها له كى يحلق حولها فى دراسته ما السبب فى اختيار عضد الدولة البويهى الشيعى الإمامى لقاض ظاهرى كالخرزى؟ فأنا شخصيا كنت فى حيرة تجاه هذا الأمر، وكذا احتار صاحبى حيرة شديدة خاصة بعد أن حدثته عن مواطن الخلاف بين الشيعة كأهل باطن وكذب وتدليس، وبين أهل الظاهر الذين لا يحيدون عن النصوص .طرحت على الباحث وقتها وجهة نظر يبدا بها التحليل وهى هل هناك علاقة بين نفى الإمامية للقياس، ونفى الظاهرية له أيضا

(١) طبقات الفقهاء، ص ١٧٧.

(٢) أحد إخواننا من الظاهرية النشطين، له كتابات عديدة على موقع الظاهرية، حول القياس والمجاز، وله جهد مضنى فى الرد على تساؤلات الظاهرية وغيرهم من المعجبين بالمذهب، شغل نفسه فى هذه الأيام بتصنيف كتاب عن تاريخ الظاهرية، وهو الآن عام ٢٠٠٨م مدير إدارة موقع الظاهرية.

(٣) أنظر: الشيرازى، طبقات الفقهاء ،ص ١٧٦-١٧٧ ..

هل هذا منطلق للإجابة على التساؤل؟ أم أن ازدهار المذهب الظاهرى وقتها كان سببا آخر ؟ أم أن الحرية الفكرية التى كان ينشدها عضد الدولة البويهى كانت من وراء توليته لقاض ظاهرى؟ أم كان للخرزى تأثير كبيرفى المجتمع كظاهرى وقتها الأمر الذى دعا عضد الدولة لاختياره كقاضى. وتركت الباحث يحاول ان يصل لحل هذا الأمر لكن لأنه ليس ظاهريا وإنما هو محب لابن حزم فحسب لم أره اتى بجديد تجاه هذا الأمر سوى ما ذكرته له.

وفاتة: قال السمعانى: مات في جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة (١).. وقال الخطيب حدثني هلال بن المحسن الكاتب قال توفي القاضي أبو الحسن الخرزي في يوم الجمعة الخامس من جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة (٢) وقال الخطيب .. أنه تولى القضاء على جازر .. وتولى القضاء على تكريت (٣)..

١٤-القاضى أبو بكر محمد بن عمر الداوودى أخذ عن القاضى الخرزى القول بالظاهر.

١٥-أبو على الداوودى قاضى فيروزأباد تلميذ الخرزى وعنه أخذ القول بالظاهر

١٦-أحمد بن محمد بن شعيب الداوودى: ذكر ابن زولاق أنه عين قاضيا، وكان بزى الجند إلا أنه لازم الاشتغال بالعلم، وقد ألبسه ابن وليد الطيلسان والقلنسوة وأجلسه للنظر بين الناس (٤)

١٧- أبو القاسم عمر بن محمد بن نظيف القاضى الحرقى (ت ٤١٣هـ) .من أهل شيراز كان فقيها على مذهب داود بن على الظاهرى، قال محمد بن عبدالعزيز القصار الشيرازى فى كتابه "طبقات الشيرازيين" كان قاضيا ببغداد سنين يناظر على مذهب داود، ومات بشيراز فى جمادى الآخرة سنة ٤١٣هـ(٥).

١٨- أبو القاسم على بن الحسن الهروى القاضى الداودى (ت ٤١٨هـ) قال الذهبى

(١) الأنساب ٣٤٥/٢

(٢) تاريخ بغداد، ٤٦٦/١٠..

(٣) أنظر: تاريخ بغداد، ١٤/١١، ٣١.

(٤) نقلا عن: ابن حجر، رفع الإصر عن قضاة مصر، ٧٥/١.

(٥) نقلا عن ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ١٢١/٥.

مصنف التفسير ([1])

١٩- أبو القاسم على بن عبدالعزيز بن أحمد الخرزى، ولد القاضى الخرزى لما توفى والده ولى على القضاء ببغداد يوم الاثنين ٢٩ جمادى الآخرة سنة ٣٩١هـ، وبقى فترة ثم عزل عن القضاء، وولى نظر البيمارستان، أخذ القول بالظاهر عن والده وكان يناظر عليه ([2])

٢٠- القاضى ابن الأخضر محمد بن عمر بن إسماعيل الظاهرى (ت ٤٢٩هـ): قال الذهبي: "محمد بن عمر بن محمد القاضي، أبو بكر بن الأخضر الداوديّ الفقيه .بغدادي ثقة إمام .سمع أبا الحسن بن لؤلؤ، وأبا الحسين بن المظفّر، وجماعة. وثّقه الخطيب وروى عنه .عاش ستًّا وسبعين سنة. "([3]) اهـ.

قلت: وسمع ابا الحسن الدارقطنى، ومحمد بن عبد الله بن أيوب القطان، ومحمد بن عبد الله بن الشخير، وابا حفص بن شاهين .

وقال الشيرازى: أخذ عن القاضى الخرزى وكان من أجلاء شهود قاضى القضاة ببغداد([4])

وقال الخطيب البغدادى: كتبت عنه، وكان ثقة يسكن بالجانب الشرقى من ناحية الحطابين، وسألته عن مولده فقال: ولدت فى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، ومات فى ليلة الخميس السابع من شوال سنة تسع وعشرين واربعمائة، ودفن من الغد ([5])

٢١- أبوعبدالله محمد بن على بن عبدالرؤوف صاحب ابن حزم الظاهرى (ت٤٢٤هـ /١٠٣٢م) صاحب أحكام المظالم كان من أشد الأصحاب مدافعة عن ابن حزم وفكره ضد المعارضين .

٢٢- القاضى ابن حزم الظاهرى (ت ٤٥٦هـ) على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أبو

(١) أنظر: تاريخ الإسلام، السنين من ٤٠١-٤٢٠هـ، ص٤٥٠.
(٢) الصفدى، الوافى بالوفيات، ٢١/٢٣٩،٢٣٨.
(٣) أنظر: تاريخ الإسلام، وفيات ٤٢١-٤٣٠ هـ .
(٤) أنظر: طبقات الفقهاء، ص١٧٨.
(٥) أنظر: تاريخ بغداد، ٣/٣٨.

محمد الشهير بابن حزم الظاهرى الأندلسى([1]) سبق ذكره فى الوزراء .

قلت: ذكر ابن حزم رضى الله تعالى عنه أنه فى سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م قضى بالميراث لمحمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن ودفعه إليه، على أثر وفاة محمد بن عبيدالله بن عبد الله بن مروان([2]) فهذا النص يوضح أن ابن حزم كان متولياً ولاية القضاء، حيث قضى فى حكمه بدفع الميراث إلى محمد بن عبدالملك، وأن ذلك كان فى عهد المعتمد بالله آخر خلفاء بنى أمية بالأندلس وكان ابن حزم له وزيرا.

وقد شكك بعض إخواننا المغاربة من أهل الظاهر فى تولية ابن حزم لمنصب القضاء بحجة أن الفقهاء الذين يتولون القضاء يسمون: بالفقهاء المشاورين .

فأجبناه قديما على دارة أهل الظاهر وهذا نص قولنا :

ليس معنى صدور اطروحة عن الفقهاء المشاورين وعدم ذكر ابن حزم فيهم انه ليس بقاض. بل إن نص عمله كقاضى ذكره ابن حزم نفسه، وقد تغافل عنه المتخصصون اصلا. فكيف بمن يدرس الفقهاء جملة دون تركيز على ابن حزم او جماعة من المشاورين، وعموما بشان الفقهاء المشاورين لن أطيل فيها كثيرا ولكن اوضح حقيقة وهى أن من زعم أن الفقهاء المشاورين يكونون عادة مرشحون لولاية القضاء هو المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال، وكلامه غير مسلم به إذ إن تراجم الفقهاء المشاورين أمامنا، وتراجم القضاء كذلك وليس فى تراجم القضاة دليلا واحدا على مشاركة الفقهاء للقاضى فى مجلسه. كما انه ليس فى التراجم ما يوضح ان الفقهاء كانوا من صغار اهل العلم بل كانوا من الكبار، ومن ثم اخى الحبيب فالربط بين الفقهاء والقضاء امر لا يسلم به ابدا. لان هيئة الفقهاء المشاورين كانت تكون باختيار الامراء ليستشيرونهم فيما يعرض عليهم من مشاكل، ولكى يستشيرهم القضاة أيضا، وقد يختارهم القاضى نفسه ولكن بموافقة الامير. وكان للفقهاء مهام أيضا منها أن الحاكم يستشيرهم فى اختيار قاضى الجماعة، وفى احيان أخرى يعين الحاكم القاضى دون أخذ

(١) عنه بالتفصيل أنظر الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٨/ ١٨٤-٢١٣، وانظر كتابنا ابن حزم الظاهرى وأثره فى المجتمع الأندلسى، وهو أطروحتنا للماجستير .

(٢) أنظر: جمهرة أنساب العرب، ص ٥، ٦.

رايهم. وفى أحيان اخرى نرى القاضى يرفض راى المفتى او المشاور وتطول المناقشة بينهما فيغضب المشاور وينصرف وينفذ القاضى حكمه مثل ما دار بين القاضى يحيى بن معمر الألهانى وعبدالملك بن حبيب المفتى المشاور. المهم أن الفقهاء المشاورين كانوا هيئة إفتاء يستأنس بهم الحاكم، والقاضى؛ وقد قلنا إن ابن حزم كان قاضيا، وليس فقيها مشاورا. بارك الله فيك ووفقك لما يحبه ويرضى.

٢٣- أبو محمد عبد الله بن إسماعيل الإشبيلى (ت ٤٩٧هـ) كان من أهل العلم التام والحفظ للحديث والفقه يميل فى فقهه إلى النظر وظاهر الحديث، ولى قضاء أغمات ثم انتقل لقضاء (الحضرة) مراكش، وكان حسن السيرة والمخاطبة، وكثيرا ما كان يقول للأعوان وهم يطبقون حكمه بالسجن على المسجون "خذوا بيد سيدى إلى السجن"، وله تصنيفان فى شرح المدونة، ومختصر لابن أبى زيد (١).

قلت: وشأن المالكية كالقاضى عياض وغيره أن يترجموا لأهل الظاهر على أنهم مالكية، رغم اشتهار أمرهم أنهم من أهل الظاهر، إما باتباعه لفقه داوود، أو بثبات عمله بظاهر الحديث أو ما شابه ذلك، وما موقف محمد بن عمر بن الفخار منا ببعيد فقد اعتبره القاضى عياض من أئمة المالكية رغم ماذمره عنه من قوله بفقه داوود.

٢٤- أبو موسى عيسى بن عمران بن دافال المكناسى التازى (ت ٥٧٨هـ) من أهل مكناسة تازة ولد سنة ٥١٢هـ كان من الراسخين فى العلم فقيها شاعرا أديبا خطيبا مفوها ولى قضاء الجماعة بالمغرب فحمدت سيرته، وتوفى بمراكش وهو فى منصب قاضى القضاة، وتولى بعده المنصب ابن مضاء النحوى الظاهرى (٢)، كان من أهل الظاهر إذ اشتهر عن الموحدين أنهم لم يولوا منصب القضاء إلا لأهل الظاهر .

٢٥- سعد السعود بن أحمد بن هشام بن إدريس بن محمد بن سعيد بن سليمان بن عبدالوهاب بن عفير الأموى (ت ٥٨٨هـ) ولد سنة ٥١٣هـ كان ظاهرى المذهب شديد التمسك بالسنن ملازما للأذان والإمامة بمسجده وإذا أذن سمع من نحو أربعة

(١) أبو معاوية البيروتى، طبقات أهل الظاهر، ص١٠٠.
(٢) المراكشى، الذيل والتكملة، ج٨ ترجمة ٤٤.

obeikandi.com

أميال، ألف كتابا فى السنن سماه كتاب السبيل، وقال عند موته لا أبالى بالموت ثقة بحب الرسول .

توفى بقرية برجلانة من قرى لبلة وصلى عليه إثر صلاة عصر الجمعة ودفن بجوف داره بموضع كان يقدسه ويقرأ فيه ويوصى به ويتعاهده بتقديسه والقراءة فيه. له من الولد إبراهيم وإسماعيل ([1])، وأما إسماعيل فكان قاضيا ظاهريا وستأتى ترجمته .

قلت: روى عن الحافظ الشهيد أحمد بم عبدالملك الأنصارى الإشبيلى الظاهرى وكان صهرا له، وروى عن أبى الحسن شريح الظاهرى، وابن كوثر الظاهرى .

وممن روى عنه من الظاهرية: أبو العباس ابن نباتة المحدث الظاهرى الشهير .

٢٦- قاضى القضاة أحمد بن محمد بن مضاء النحوى القرطبى (ت٥٩٢هـ/١١٩٥م)

صاحب كتاب الرد علي النحاة، والمشرق في النحو، وتنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان، وقد صنفهم لتأصيل مذهب جديد في النحو يعارض فيه النحو المشرقي الغارق في التأويل بناء علي منهج ظاهري يقوم علي إلغاء القياس والتعليل وإلغاء نظريات وعلل كثيرة في النحو([2]) .

ولد سنة ٥١٣هـ بقرطبة فى إحدى بيوتات قرطبة المشهورة بالعلم والمعرفة، وجرس فى مراكز قرطبة العلمية فتعلم القرآن والقراءات وعلوم الحديث وتنقل بين مدن الأندلس، وانتقل للمغرب فأخذ الحديث عن القاضى عياض اليحصبى، وأكثر من الرواية عن شريح الرعينى وابن العربى المالكى، وحصل العربية عن ابن بشكوال والسهيلى .

ومن تلاميذه: محمد بن محمد بن سعيد بن زرقون، وبنو حوط الله أبو سليمان وأبو محمد.

وكان ماهرا فى علوم الطب والحساب والهندسة، وكذا كان بليغا شاعرا كاتبا إماما فى اللغة والنحو .

---

(١) ابن الأبار، التكملة، ٢١٨/٣.

(٢) أحمد بكير، المدرسة الظاهرية، ص٥٩؛ وانظر: أحمد أمين، ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٦٢م، ٩٥،٩٦/٣؛ خديجة الحديثى، أبوحيان النحوى، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٦م، ص٣١٩.

وكان طيب النفس كريم الاخلاق جميل العشرة عفيف اللسان صادق اللهجة كامل المروءة .

قلت: ولما صنف ابن مضاء الظاهرى كتابيه "المشرق" و"تنزيه القرآن مما لا يليق بالبيان" ناقضه أبو الحسن على بن محمد بن على الحضرمى المعروف بابن خروف الإشبيلى المالكى ورد عليه فى كتابه "تنزيه أئمة النحو عما نسب إليه من الخطأ والسهو"، فلما وصل

أمر هذه المناقضة لابن مضاء قال: نحن لا نبالى بالكباش النطاحة، وتعارضنا أبناء الخرفان"(١)

ابن مضاء الظاهرى وموقفه من عصمة ومهدوية ابن تومرت: هذا نص ما قاله ابن مضاء حرفيا "و أسأل الله الرضى عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، و عن خليفتية سيدينا أميري المؤمنين، الوراثين مقامه العظيم، وأصل الدعاء لسيدنا أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين... عنى ابن مضاء بالإمام المعصوم "محمد بن تومرت" وعنى بأميرى المؤمنين عبد المؤمن" بن على، وابنه يوسف بن عبد المؤمن وعنى بأمير المؤمنين بن أمير المؤمنين يعقوب المنصور الموحدى .نشأ ابن مضاء ظاهريا فى ظل دولة يوسف بن عبد المؤمن الذى ولاه القضاء ثم جعله قاضى قضاة، ولما توفى يوسف وتولى من بعده يعقوب المنصور أقر ابن مضاء على منصبه كقاض للقضاة .المهم عبد المؤمن بن على ويوسف ابنه كانا يؤمنان بعصمة المهدى إيمانا ظاهريا يشوبه الشك، ومن ثم لم يستطيعا تغير هذا الأمر لانتشاره بين القبائل البربرية. وأول من بدا فى الإنكار علانية على عصمة المهدى ومهدويته فى آن واحد هو المنصور الموحدى، ولكن أيضا لخطورة هذا الأمر لم يستطع المنصور ان يقضى عليه نهائيا، ومن ثم ظلت صيغة الدعاء للمهدى فى الكتب حتى جاء المأمون بن المنصور وقطع ذلك نهائيا وأعلن ذلك فى محضر رسمى وبثه فى أقاليم الدولة الموحدية آنذاك. ولكن وقع ما كان يخشى منه كل من عبد المؤمن ويوسف والمنصور من انتفاض العديد من القبائل على

(١) ابن فرحون، الديباج المذهب، ١/٢١٠؛ وانظر: المراكشى، سابق، القسم الأول السفر الأول، ص٢١٧،٢١٨.

المأمون بسبب هذا التغيير، وكان ذلك سببا من اسباب سقوط الدولة الموحدية إلى جانب اسباب أخرى كثيرة.

ويبدو أن ابن مضاء كان مداهنا إلى حد كبير لا سيما أن الأمر فى عهد عبد المؤمن وابنه يوسف كان فيه من الخطورة ما فيه حتى أن عبد المؤمن نفسه رغم ظاهريته لم يستطكع أن يفرضها على المالكية وخاف من انتفاضة الفقهاء ومن يشايعهم من القبائل، ويبدو أن الأمر كان خطة من قبل الدولة منعا من النزاع والفرقة بشأن مسألة المهدوية والعصمة، وقد يفترض جدلا أن البعض من العلماء أقر على الحقيقة بمهدوية ابن تومرت. أما المغالاة إلى حد القول بعصمته فهذا ما أستبعده من واقع مطالعات تاريخ ابن مضاء وغيره من الأكابر على عصر الموحدين.

وفاتة: توفى فى جمادى الأولى سنة ٥٩٢هـ بإشبيلية، وقد شارف على الثمانين .

٢٧- أبو عبد الله محمد بن على بن مروان بن جبل الوهرانى (ت ٦٠١هـ) من أهل وهران ونشأن بتلمسان وأصله من الأندلس ولى قضاء تلمسان ثم نقل إلى قضاء الجماعة بمراكش بعد ابن مضاء ثم تحول إلى قضاء إسبيلية بالأندلس ثم أعيد إلى قضاء الجماعة بعد صرف ابن بقى الظاهرى، وكان حميد السيرة عارفا بالأحكام سريع الفصل بين الخصوم لم يجلد أحدا بسوط طول ولايته. توفى ليلة الأحد ٩ جمادى الأولى سنة ٦٠١هـ ودفن عصر يوم الاثنين وصلى عليه أمير المؤمنين محمد الناصر بن المنصور الموحدى ([1]).

وكان قد مدح المنصور الموحدى على قطع الناس عن كتب الفروع وإحراقها، ولما مرض ابن مضاء فى سفر المنصور إلى أفريقية عام ٥٨٣هـ اشتغل ابن مروان بالحكم بين الناس فظهر منه من حسن الخلق والسياسة ما اشتهر به ونسى معه ابن مضاء، وتولى القضاء للمنصور. فكان ابن مضاء إذا رآه والناس مقبلون عليه أنشد قائلا :

وما يستوى الثوبان ثوب به البلى ... وثوب بايدى البائعين جديد .

٢٨- أبو عمران موسى بن محمد على بن بن مروان بن جبل الوهرانى (ت٦٠٨هـ). نشأ

(١) ابن الأبار، التكملة، ٦٨١/٢.

بمراكش وطلب العلم بها، وتولى قضاء مالقة وغرناطة، وتوفى بغرناطة ودفن بها وشهد جنازته الجم الغفير من الناس (١).

٢٩- محمد بن عبد الله بن مروان التلمسانى (ت٦٠١هـ) قاضى الجماعة فى عهد المنصور الموحدى وابنه محمد الناصر نزل بدار واحد من اليهود بمدينة تلمسان، واحتفل اليهودى به وأحسن وفادته (٢).

٣٠- محمد بن عبد الله بن طاهر الصقلى الحسينى قاضى القضاة بالمغرب (ت ٦٠٩هـ) يعرف بابن الصيقل من أهل مدينة فاس كان متصوفا اتصل بالمنصور الموحدى سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م فحظى عنده وكان قبل ذلك ينتحل طريقة الوعظ والتصوف والتدريس، وكان عالما بأصول الدين وأصول الفقه، ومسائل الخلاف، وكان عادلا فاضلا لم يعرف ميل ولا يقبل هدية من أحد منذ أن ولى القضاء حتى مات .ولى قضاء الجماعة للمنصور وكانت له عنده منزلة عظيمة حتى قال بنفسه "وصل إلى من صلات أمير المؤمنين المنصور منذ عرفته إلى أن مات تسعة عشر ألف دون الخلع والمراكب والإقطاع"، ثم ولى قضاء الجماعة للناصر بعد أبيه ولم يزل كذلك حتى وفاته سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م (٣).

٣١- القاضى أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الأنصاري الحارثي الأندلسي الإندي (ت ٦١٢هـ) (٤) سيذكر فى المحدثين.

٣٢- أبو القاسم أحمد بن أبي الوليد يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد الأموي القرطبي الإمام العلامة المحدث المسند قاضي الجماعة (ت ٦٢٥هـ). فى عهد الموحدين

شيوخه: سمع أباه، وجده أبا الحسن، ومحمد بن عبد الحق الخزرجي صاحب محمد

(١) ابن الزبير، صلة الصلة،

(٢) ابن سعيد، الغصون اليانعة، ص٣٣.

(٣) أنظر: المراكشى، المعجب، ص٢٥٨؛ ابن أبى زرع، الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م، ص٤٨.

(٤) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسى، ص٢٣٨، توفيق الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٢٩٤.

بن الفرج الطلاعي، وخلف بن بشكوال، وأبا زيد السهيلي. وأجاز له المقرئ أبو الحسن شريح بن محمد، وعبد الملك بن مسرة. وتفرد بأشياء منها "موطأ "يحيى بن يحيى عن الخزرجي. روى الحديث هو وجميع آبائه.

تلاميذه: روى عنه بالإجازة محمد بن عياش الخزرجي، والخطيب أبو القاسم بن الأيسر الجذامي، وأبو الحكم مالك بن المرحل الأديب، العلامة أبو الحسين بن أبي الربيع، وبالإجازة محمد بن محمد المومنائي الفاسي.

تقريظ العلماء له: قال ابن الأبار: هو من رجالات الأندلس جلالا وكمالا لا نعلم بيتا أعرق من بيته في العلم والنباهة إلا بيت بني مغيث بقرطبة، وبني الباجي بإشبيلية، وله التقدم على هؤلاء، ولي قضاء الجماعة بمراكش مضافا إلى خطتي المظالم والكتابة العليا، فحمدت سيرته، ولم تزده الرفعة إلا تواضعا، ثم عزل، وأقام بطالا إلى أن قلد قضاء بلده، وذهب إليه، ثم عزل قبل موته، فازدحم الطلبة عليه، وكان لذلك أهلا.

وقال ابن الزبير: كان له باع مديد في النحو والأدب، تنافس الناس في الأخذ عنه، وقرأ جميع "كتاب سيبويه "على أبي العباس بن مضاء، وقرأ عليه "المقامات " .

وقال ابن مسدي: رأس شيخنا هذا بالمغربين، وولي القضاء بالعدوتين، ولما أسن استعفى، ورجع إلى بلده، فأقام قاضيا بها إلى أن غلب عليه الكبر، فلزم منزله، وكان عارفا بالإجماع والخلاف، مائلا إلى الترجيح والإنصاف. (١)

قلت: وقد أخطأ: الحافظ الذهبى لما جعله من المالكية، فهو من أهل الظاهر بلا ريب وقد أكد ظاهريته غير ما واحد منهم ابن الزبير كما نقله عنه النباهى(٢)، والسيوطى (٣)، وكفى على تناقض الحافظ الذهبى رحمه الله قوله عن أحمد بن يزيد "وقد كان – رحمه الله – يغلب عليه الميل إلى مذهب أهل الأثر، والظاهر في أموره وأحكامه.

وفاتة: مات يوم الجمعة بعد الصلاة منتصف رمضان سنة خمس وعشرين وستمائة بقرطبة،

(١) نقلا عن الذهبى، سير أعلام النبلاء، ٢٢/٢٧٥،٢٧٦.
(٢) أنظر: تاريخ قضاة الأندلس، ص١٥١.
(٣) أنظر: بغية الوعاة، ١/٣٩٩.

وقد تجاوز ثمانيا وثمانين سنة – رحمه الله – وهو آخر من حدث "بالموطأ "في الدنيا عاليا بينه وبين الإمام مالك فيه ستة رجال بالسماع المتصل .

٣٣– أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن محمد بن يحيى بن إبراهيم بن خلصة بن سماحة الحميري الكتامي ابن القطان الفاسى (ت ٦٢٨هـ) كان معظما عند الخاصة والعامة من الموحدين، وكان المنصور أول من قربه وأحظاه إذ عينه لقراءة الحديث بين يديه، وجعله على رأس طلبة العلم بمراكش (١)وراح ينتقد المحدثين من المالكية وعلى رأسهم عبدالحق الإشبيلى الذى استدرك على كتابه الأحكام بكتاب سماه (بيان الوهم والإيهام الواقعين فى كتاب الأحكام)، بل انتقد ابن حزم الظاهرى نفسه فى كتابه المحلى فيما يتعلق بعلم الحديث، وصنف كتبا ورسائل عدة لتأصيل دراسة الحديث بتوجيه من حكام الموحدين لا سيما المنصور ومنها كتاب فى الحديث الصحيح محذوف السند، ومقالة فى منع المجتهد من تقليد المحدث فى تصحيح الحديث لدى العمل، ومقالة فى تفسير قول المحدثين فى الصحيح إنه حسن، وقد ترتب على هذا الجهد الحديثى لابن القطان أن عينه المنصور لقراءة الحديث بين يديه(٢)، فنجح فى تكوين مدرسة حديثية فقهية كان عمادها بضع وثلاثين تلميذا من تلامذته(٣).

وقد اعتبر ابن القطان أن الخلافة الموحدية هى أجدر الخلافات بحكم العالم الإسلامى(٤) وصنف رسالة فى الإمامة الكبرى دافع فيها عن أحقية بنى عبد المؤمن فى الخلافة، وتكلم عن صحة حكمهم، بل وصل الأمر به لتاكيد ذلك أن جعل المنصور الموحدى أحد حكام الموحدين ضمن برنامج شيوخه (٥).

(١) ابن القطان، نظم الجمان، ص١٧،١٩.

(٢) ابن القطان، نظم الجمان، تقديم محمود مكى ص٢٠،١٦،١٧؛ وانظر: محمد عادل، التربية الإسلامية، ص٩٠.

(٣) الحسين آيت سعيد، دراسة عن ابن القطان ضمن كتاب بيان الوهم والإيهام، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ١/٧٩-٨٤.

(٤) نفسه، ص١٨٩.

(٥) ابن القطان، نظم الجمان، ص١٦،٢٠.

لقد نهج ابن القطان فى مؤلفاته نهجا تأصيليا بعيدا عن نهج أصحاب الفروع متأثرا فى ذلك بشيخه المنصور الموحدى الذى كان يوجهه ويعلمه حتى حظى لديه وقربه من مجلسه(١)، وقد استفاد من كتاب المحلى بالآثار، وكتاب الإيصال فى شرح الخصال، وكتاب حجة الوداع، وكتاب الإحكام فى أصول الأحكام، وكتاب الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين فى مذاهب أهل الرأى والقياس (٢)، مراتب الإجماع لابن حزم، ونسج كتابا على منواله سماه "الإقناع فى مسائل الإجماع"، بل سماه بعضهم بنفس اسم كتاب ابن حزم وفيه ينقل من كتاب ابن حزم المذكور، ومن المحلى، وكتاب ابن القطان هذا صنفه بأمر من شيخه المنصور الموحدى، وهو ما يؤكد مدى الأثر الظاهرى على ابن القطان إذ قبل أن يؤلف كتابا يؤكد أصلا من أصول الظاهرية وهو الإجماع، بأمر من الدولة التى أبطلت القياس واستعاضت عنه بالنص والإجماع (٣).كما اعتمد قاعدة ابن حزم القاضية بأن اختلاف الثقات فى الوقف والرفع والإرسال والإسناد لا يضر الحديث ولا يعله لأن الكل ثقه، وقد أداه على وجه صحيح، واعتماده تعريف ابن حزم للحديث الحسن، وقبوله زيادة الثقة فى الحديث كابن حزم، وتأثره بابن حزم فى عدم قبول من أخبر عن نفسه أنه صحابى أو تابعى إذ لابد من التواتر، وكذا فقد تبنى منهج ابن حزم الحديثى فى كتبه لا سيما مسألة تعليل الحديث بالظاهر، التى انفرد بها الأندلسيون والمغاربة (٤).

ولما صنف عمر بن محمد بن على الصنهاجى المعروف بابن الطوير (ت٦٢٢هـ /١٢٢٥م) ردا علي الظاهرية وأكد حجية القياس (٥) قام ابن القطان المراكشى بالرد على

(١) ابن القطان، نظم الجمان، تقديم محمود مكى، ص١٦،١٧. ومن مؤلفاته "مسائل فى أصول الفقه" قال عنها إنه لم يذكرها الأصوليون فى كتبهم، "ومقالة فى الطلاق الثلاث"، "ومقالة فى الأيمان اللازمة"، "ومقالة فى الختان"، "ومقالة فى فضل عاشوراء وما ورد فى الإنفاق فيه – عاشوراء- على الأهل". أنظر: نفس المصدر والصفحتين.

(٢) الحسين آيت سعيد، دراسة عن ابن القطان ضمن كتاب بيان الوهم والإيهام، ١/٣١٥،٣١٦،٣٢٠.

(٣) الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٨٣٥،٨٣٦.

(٤) الحسين آيت سعيد، دراسة عن ابن القطان ضمن كتاب بيان الوهم والإيهام، ١/٢٩٦، ٢٧٢،٢٧٤،٢٧٣؛ وانظر: توفيق الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٨٢٥،٨٢٤،٨٢٣،١٨.

(٥) المراكشى، الذيل، الفر الثامن، القسم الأول، ص٢٣٩.

ابن الطوير فى كتاب له أسماه (النزع فى القياس لمفاضلة من سلك غير المهيع فى إثبات القياس) أثبت فيه عدم حجية القياس، كما صنف كتابا آخر وسمه بـ (إنهاء البحث منتهاه عن مغزى من أثبت القول بالقياس ومن نفاه) جمع فيه أقوال من أثبت القياس ومن نفاه وأكد نفى استخدام القياس فى الأحكام ([1]) .

ولما وقعت منافرة فقهية بين القاضى يوسف بن محمد بن المعز المكلاتى الفاسى (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) وبين ابن القطان أسفرت عن مقاطعة مشهورة بينهما – وكلاهما كانا ممن يحضر مجلس المنصور العلمى – ورغم ذلك لما رفع إلى المكلاتى رسمين بشأن ابن القطان أحدهما عليه شهادة الشهود، والثانى فتاوى أهل العلم فى قول ابن القطان فيما نسب إليه عند قوله من أعلام النبوة باكتساب النبوات، حيث نسب معظم أهل الفروع من المالكية ابن القطان إلى البدعة، وكفره آخرون، وأجمع المتألبون عليه أنه لا يتم لهم الغرض من عملهم هذا إلا بفتيا القاضى أبى الحجاج المكلاتى الذى قرعهم ووبخهم وقال لهم "فما الذى تفعلون غدا أو بعد غد معى أو مع أمثالى مما لا يعمر مجالسه أبدا إلا بالنظر مع القدرية والخوارج والشيعة والروافض والمعتزلة والكرامية والأباضية والإمامية والاسماعيلية وغيرهم من أهل الأعواء والبدع والفلاسفة الحائدين عن مذاهب أهل السنة، ولا يشتغل إلا فى ضرب بعض أقوالهم ببعض اذهبوا خيب الله سعيكم" فعظم تعجب المالكية منه وانتشرت هذه الأحدوثة فى مجالسهم ومجالس الظاهرية وطلبة العلم مدة طويلة ([2]) .

مصنفاته: إضافة إلى ما صنفه فى نفى القياس والرد على ابن الطوير فقد صنف بيان الوهم و الإيهام الواقعين في كتاب الأحكام لعبد الحق الخراط، النظر في أحكام البصر.، أسماء الخيل وأنسابها وأخبارها.، رسالة فى (فضل عاشوراء وما ورد فى الإنفاق فيه على الأهل) ([3])، (رسالة فى الختان) أوضح فيها حكمه، وما يجوز فعله، وما لا يجوز أثناء الاحتفالية ([4])، (رسالة فى

(١) ابن القطان، نظم الجمان، ص١٥،١٧.
(٢) نفسه، السفر الثامن القسم الثانى، ص٤٣٢-٤٣٤.
(٣) محمود مكى، مقدمة نظم الجمان لابن القطان، ص١٧.
(٤) محمود مكى، تقديم نظم الجمان لابن القطان، ص١٦.

الطلاق الثلاث) ([1])، بين فيها أحكامه، وذلك لزجر الناس عن التلفظ به حماية لكيان الأسرة، فضلا عن احتواء الخلاف الذى نشأ بين الفقهاء خاصة المالكية أنفسهم إذ ذهب بعضهم إلى أن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة، وكتاب نظم الجمان، وكتاب شفاء الغلل فى أخبار الأنبياء والرسل، وكتاب الأحكام لبيان آياته عليه السلام ([2])، ولما وفد على الناصر بن المنصور ألفونسو التاسع ملك ليون طلب من ابن القطان صاحب النزعة الظاهرية أن يصنف

له رسالة فى طريقة التعامل مع ملك ليون، فصنف له رسالة سماها "مقالة فى معاملة الكافر"([3]).

وقد امتُحن في سنة ٦٢١ (١٢٢٤)، في ولاية العادل، إذ صرفه هذا عن الخطط والأشغال التي كان يتولاها. ولما قتل العادل تولى بعده أبو العلاء إدريس المأمون، وكان بالأندلس؛ فأبطأ في العودة إلى مراكش؛ فنكث بعض أهل الحل والعقد بيعتهم له وصرفوها لابن أخيه يحيى المعتصم، وكان منهم ابن القطان، حرصا منه على نيل الحظوة عند المعتصم. فعاد المأمون، وقتل الناكثين وانتهب أموالهم وشرد أهلهم، وحارب المعتصم وشيعته. ففر هذا ومن معه إلى سجلماسة .فأدركت أبا الحسن ابن القطان منيته بها، مبطونا حسيرا على ما فقد من أهله وبيته وكتبه، وذلك في الليلة التي أهل فيها هلال شهر ربيع الأول من سنة ٦٢٨ الموافق ٧ يناير – كانون الثاني ١٢٣١ ([4]).

٣٤–أبو الحسن على بن عبد الله بن يوسف بن خطاب المعافرى قاضي إشبيلية (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م)كان محدثا فقيها على مذهب أهل الظاهر عاقدا للشروط، ذا مشاركة فى الأدب والنثر، ولى قضاء إشبيلية واستنابه القضاة كثيرا فى الأحكام، كف بصره فى آخر أيامه ولزم داره إلى أن توفى ١٧ من ذى القعدة ٦٢٩هـ ودفن بعد عصر

(١) محمود مكى، تقديم نظم الجمان لابن القطان، ص١٦.
(٢) ابن القطان، نظم الجمان، تقديم محمود على مكى، ص٣٨،٣٩.
(٣) ابن القطان، نظم الجمان، مقدمة محمود مكى، ص١٧.
(٤) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٨/ ١٦٥–١٩٥

ذلك اليوم ([1])

٣٥- عبدالمنعم بن محمد بن عبدالرحيم الخزرجى الذى تولى قضاء غرناطة وجزيرة شقر ومدينة وادى آش وجيان ثم تولى الحسبة والشرطة فى عهد المنصور الموحدي ([2])

٣٦- أبو الرضى بسام بن أحمد بن حبيب بن عمر بن عبد الله بن شاكر الغافقى (ت ٦٣١هـ) من أهل جيان واستوطن مالقة ولد فى شعبان سنة ٥٥٧هـ سمع ابن مضاء الظاهرى وروى عن السهيلى وحضر مجلس ابن بشكوال وسمع عليه بقراءة أبيه وأجيز منه، له مشاركة قوية فى الأدب وقرض الشعر، ولى القضاء بالمنكب وغيرها فحمدت سيرته. له كتاب أسماه "النواهى عن الدواهى" تعقب فيه القاضى ابن العربى المالكى وانتصف لابن حزم الظاهرى ([3]).

وفاتة: توفى ليلة الجمعة لعشر خلون من شعبان سنة ٦٣١هـ ودفن بعد لصلاة الظهر بمالقة، وكان الجمع فى جنازته عظيما ([4])

٣٧- القاضى أبو الخطاب ابن دحية الكلبى الظاهرى (ت ٦٣٣هـ): الشيخ العلامة المحدث الرحال المتفنن مجد الدين أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن الجميل – واسم الجميل محمد بن فرح بن خلف بن قومس بن مزلال بن ملال بن أحمد بن بدر بن دحية بن خليفة الكلبي الداني ثم السبتي. هكذا ساق نسبه ! أما أمه فهي امة الرحمن بنت أبي عبد الله بن أبي البسام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولهذا كان يكتب لنفسه: ذو النسبتين بين دحية والحسين.

---

(١) ابن الأبار، التكملة، ١١٦/٣؛ وانظر: توفيق الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٣٠٨،٣٠٩.

(٢) النباهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص ١١٠. وجزيرة شقر تقع بين بلنسية وشاطبة، ومدينة جيان كوره تتصل أحوزها بأحواز كوره البيرة ومسافة ما بينها وبين قرطبة خمسون ميلا أنظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٤، ٢٨٥.

(٣) ذكر هذا الكتاب الشيخ مشهور حسن فى هامش ١ ص ٣٠٨ من تحقيقه لكتاب الصادع لابن حزم الظاهرى .

(٤) ابن الأبار، التكملة، ٢٢٦/١.

شيوخه: قال أبو عبد الله الأبار: سمع أبا بكر بن الجد، وأبا القاسم بن بشكوال، وأبا عبد الله بن المجاهد، وأبا عبد الله بن زرقون، وأبا القاسم بن حبيش، وأبا محمد بن عبيد الله، وأبا محمد بن بونة. وحدث بتونس ب "صحيح مسلم "عن طائفة، وروى عن آخرين منهم أبو عبد الله بن بشكوال، وقال: سمعت منه كتاب "الصلة "، وأبو عبد الله بن المناصف، وأبو القاسم بن دحمان، وصالح بن عبد الملك، وأبو إسحاق بن قرقول، وأبو العباس بن سيده، وأبو عبد الله بن عبيرة، وأبو خالد بن رفاعة، وأبو القاسم بن رشد الوراق، وأبو عبد الله القباعي، وأبو بكر بن مغاور.

قال ابن مسدي: رأيت بخطه أنه سمع قبل سنة سبعين من جماعة كأبي بكر بن خليل، واللواتي، وابن حنين، قال: وليس ينكر عليه، ثم لم يزل يسمع حتى سمع من أقرانه، وحصل ما لم يحصله غيره. قرأت بخط ابن مسدي في "معجمه "، قال: كان والد ابن دحية تاجرا يعرف بالكلبي –بين الفاء والباء– وهو اسم موضع بدانية، وكان أبو الخطاب أولا يكتب "الكلبي معا "إشارة إلى المكان والنسب، وإنما كان يعرف بابن الجميل تصغير جمل. قال: وكان أبو الخطاب علامة زمانه، وقد ولي أولا قضاء دانية. وكان ممن يترخص في الإجازة، ويطلق عليها "حدثنا ". وقد سمع منه أبو عمرو بن الصلاح "الموطأ "بعيد سنة ست مائة. وأخبره به عن جماعة منهم: أبو عبد الله بن زرقون بإجازته من أحمد بن محمد الخولاني، أخبرنا أبو عمرو القيشطالي سماعا، أخبرنا أبو عيسى يحيى بن عبد الله. وقال ابن دحية مرة أخرى: حدثني القاضي علي بن الحسين اللواتى، وابن زرقون قالا: حدثنا الخولاني.
سئل ابن دحية عن مولده فقال: سنة ست وأربعين وخمس مائة وحكي عنه في مولده غير ذلك.

وفي كتب التراجم أن السلطان الكامل اليوبى بن العادل حاكم مصر قرب ابن دحية ..فطلب إليه شرح مسند الشهاب ..فشرحه له وأعطاه الكتاب ..ونمى إلى الكامل من بعض خصوم ابن دحية أنه يدعي ما ليس عنده وأنه يحدث عن شيوخ لم يلقهم ..فطلب الكامل من ابن دحية شرح مسند الشهاب مرة أخرى لأنه فقد الكتاب الأول ..فشرحه ابن دحية فجاء على غير ما شرحه أول مرة ..قيل أن الكامل علم أنه ليس بعالم وأقصاه من منصبه

الذي كان في مدرسة الحديث ... وقيل إن ذلك لم يتم وأن ما أصاب ابن دحية من نوبة كانت تأتيه هو ما جعل الكامل يستبدله بأخيه تكريما له .

وكان الكامل قد استعمله رسولا للخليفة الناصر لدين الله ببغداد، ولقي ابن دحية إكراما من أمير المؤمنين، كما أرسل رسولا إلى ملوك ما وراء النهر والتقى هناك بالشيوخ وحمل الكثير من الكتب النادرة .

رحلاته واستفاداته من شيوخه: أقدم هذه الرحلات والاستفادات من الشيوخ كانت على شاعر المغرب أبي عبد الله بن حَبوس سنة (٥٦٤هـ) بحضرة مراكش، ثم في داره بفاس بدرب السرّاجين منها.. وفي شهر رمضان من السنة نفسها سمع من الفقيه المحدث اللغوي أبي إسحاق ابن قرقول، وكان قد صحبه في سفره، وأجاز له جميع رواياته، ومن ذلك "صحيح مسلم" و"تاريخ ابن أبي خيثمة".. ثم لقي أبا بكر ابن ميمون العَبدري بمراكش سنة (٥٦٥هـ)، وكان ممن تصدّر لإقراء النحو والأدب، فأخذ عنه بها، ورحل إلى مُرسية، فسمع أبا القاسم عبد الرحمن بن محمد المروي بجامعها، وبمنزله بها.. وروى ابن دِحية عن أبي الحسن ابن حُنين الكِناني، وأبي عبد الله ابن خليل القيسي المتوفيين بفاس (٥٦٩هـ)، وصرح بأن ابن حنين المذكور أجازه بفاس.. وفيما بين سنتي ٥٧٢ و٥٧٣ هـ لقي أبا محمد الرُّعيني الحجري بمسجده بسبتة، وأخذ عنه، كما حدثه أبو بكر ابن خير بمسجد المحجة باشبيلية، وأبو بكر ابن الجد الفِهري بمنزله منها، وقرأ على أبي محمد ابن مغيث بقرطبة، وسمع أبا بكر ابن الجنّان بمراكش، وأبا الحسن اللواتي بفاس بمنزله منها.. وفي سنة ٥٧٤هـ لقي أبا القاسم ابن بشكوال بقرطبة، وقرأ عليه في شهر صفر وربيع الأول وربيع الآخر وغيرهما بمنزله منها، وبالجامع الأعظم ومسجد أبي علاقة ومسجد الغدير بن الشَّماس، وسمع أبا محمد ابن دحمان بمالقة، وأبا القاسم السُّهيلي في شهر صفر بمسجده منها، وكان قد أملى عليه كثيرا من تصانيفه، وأجاز له ولأخيه جميع مسموعاته ومجموعاته.. وقد صحب ابن دحية أبا محمد عبد الله بن محمد التادلي الفاسي عندما تولى قضاء فاس سنة ٥٧٩هـ، وفي سنة ٥٨٤هـ شهد بمراكش جنازة أبي الحكم اللخمي، وكان قد صحبه كثيرا، وأخذ عنه فضلا غزيرا.."... ومعلوم أن الإمام السهيلي –دفين مراكش– هو أكثر شيوخ

ابن دحية شهرة على الإطلاق لقيَه ابن دحية بالمغرب والأندلس.. ويرجع الفضل لابن دحية –وتلاميذ السهيلي الآخرين– في نشر كتاب "الروض الأُنُف" للإمام السهيلي بالمشرق (١).

موقفه من حرق كتب الفروع: كان ابن دحية شانه شأن ابن خليل وجل أهل الظاهر من المؤيدين لقطع الناس عن كتب الفروع ومن ثم رأيناه يصف واقعة الحرق هذه فى ترجمته لشيخه ابن زرقون متشفيا حيث قال "وشاهدناه في آخر عمره قد اتخذ المسجد الجامع داراً، والتفت إلى رواياته وتواليفه فروى صغاراً وكبارا .قرأت عليه كثيرا وسمعت، وأجاز لي ولأخي الحافظ أبي عمرو جميع رواياته ومجموعاته. وتوفي رحمه الله على أحسن حالاته ببلدة إشبيلية سنة ست وثمانين وخمسمائة، وله أربع وثمانون سنة. وخلف أموالا عظيمة، وكتباً في كل فن كريمة؛ وكان له ولد يكنى أبا الحسين، وكان سخنة عين؛ فأساء ذكره، ولم يتبع حسنه، فأمر صاحب المغرب أن يصفد في الحديد، وأن يلقى في عنقه ما يتصل بحبل الوريد؛ وحمل إلى السجن الذي بباب حميدة، على حالة مذمومة بكل لسان غير حميدة؛ ثم احضر في موطن جرت العادة فيه بضرب رقاب أهل الظلم والعدوان، وهو يحجل في قيوده ويضطرب اضطراب الخيزران؛ ثم أمر بإطلاقه بعد هوان، وخوف غلب على أمان. ثم أمر بإحضار كتبه وهي التي ورثها من أبيه، وكانت تقاوم مالاً جسيما وتساويه، في كل صنف تشتمل عليه من الرأي وفيه؛ فأوردت النار وبئس الورد المورود، فأحرقت فسمع للنار تسعسع ورئي لهما وقود، واحترق الكاغد وانزوت الجلود، وذلك يوم يؤرخ به مشهود. (٢)

تقريظ العلماء له :

قال ابن خلكان: كان أبو الخطّاب ... من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، متقناً لعلم الحديث النبوي وما يتعلّق به، عارفاً بالنحو واللغة وأيّام العرب وأشعارها، أكثر بطلب الحديث في أكثر بلاد الأندلس الإسلامية، ولقي بها علماءها ومشائخها، ثمّ رحل منها الى برّ العدوة،دخل مراكش واجتمع بفضلائها، ثمّ ارتحل إلى افريقيّة ومنها الى الديار المصرية،

(١) أنس وجّاج، أبو الخطاب ابن دِحية الكلبي السبتي الحافظ الرحال، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، ٢٠١٠، ص ٣٥ وما بعدها.

(٢) أنظر: المطرب، ٢٢٢-٢٢١.

ثمّ الى الشام والشرق والى العراق، وسمع ببغداد من بعض أصحاب ابن الحصين، وسمع بواسط من أبي الفتح محمّد بن أحمد بن المندائي، ودخل الى عراق العجم وخراسان وما والاها ومازندران، كلّ ذلك في طلب الحديث والإجتماع بأئمّة الحديث، وأُخذ عنهم، وهو في تلك الحال يؤخذ عنه ويستفاد منه، وسمع بأصبهان من أبي جعفر الصيدلاني، وبنيسابور من منصور ابن عبد المنعم الفراوي (١).

قال ابن الأبار: وكان بصيرا بالحديث معتنيا بتقييده، مكبا على سماعه، حسن الخط، معروفا بالضبط، له حظ وافر من اللغة ومشاركة في العربية وغيرها. ولي قضاء دانية مرتين، وصرف لسيرة نعتت عليه، فرحل، ولقي بتلمسان أبا الحسن بن أبي حيون، فحمل عنه، وحدث بتونس في سنة ٥٩٥، ثم حج وكتب بالمشرق: بأصبهان، ونيسابورعن أصحاب الحداد والفراوي، وعاد إلى مصر فاستأدبه الملك العادل لابنه الكامل ولي عهده، وأسكنه القاهرة فنال بذلك دنيا عريضة، وكان يسمع ويدرس. وله تواليف، منها كتاب "إعلام النص المبين في المفاصلة بين أهل صفين " .سمع من أبي القاسم البوصيري بمصر، ومن أبي جعفر الصيدلاني بأصبهان، ومن منصور الفراوي بنيسابور ؛ سمع بها "صحيح مسلم" عاليا، بعد أن رواه نازلا، وحدث بدمشق وسمع بها، وسمع بواسط من أبي الفتح المندائي، سمع منه" مسند أحمد. روى عنه ابن الدبيثي، فقال كان له معرفة حسنة بالنحو واللغة، وأنسة بالحديث.

وقال الغبريني: "قد رأيت له تصنيفا في رجال الحديث لا بأس به، وارتحل إلى المشرق في دولة بني أيوب فرفعوا شأنه وقربوا له مكانه، وجمعوا له علماء الحديث وحضروا مجلسا أقروا له بالتقدم، وعرفوا أنه من أولي الضبط والإتقان والفهم. وذكروا أحاديث بأسانيد حولوا متونها، فأعاد المتون المحولة، وعرّف عن تغييرها، ثم ذكر الأحاديث على ما هي عليه من متونها الأصلية".

وقال أبو جعفر بن الزبير: "وكان معتنيا بالعلم مشاركا في فنون منه، مجتهدا معتنيا بالأخذ عن الشيوخ، ذاكرا للتاريخ والأسانيد ورجال الحديث والجرح والتعديل".

(١) أنظر: وفيات الأعيان: ٣/٤٤٨-٤٥٠.

وقال السيوطى: عمر بن الحسن بن علي بن محمّد بن الجميل بن فرح بن دحية الكلبي الأندلسي البلنسي الحافظ، أبو الخطّاب، كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، متقناً لعلم الحديث وما يتعلّق به، عارفاً بالنحو واللغة وأيّام العرب وأشعارها، سمع الحديث ورحل، وله بنى الكامل دار الحديث الكامليّة بالقاهرة، وجعله شيخاً، حدث عنه ابن الصلاح وغيره (١).

وقال أيضا: ابن دحية، الإمام العلاّمة الحافظ الكبير، أبو الخطّاب، عمر بن الحسن الأندلسي البلنسي، كان بصيراً بالحديث متقناً به، له حظّ وافر من اللغة ومشاركة في العربيّة، له تصانيف، توطّن مصر وأدّب الملك الكامل، ودرّس بدار الحديث الكامليّة (٢).

وقال المقري: "كان من كبار المحدثين، ومن الحفاظ الثقات الأثبات المحصلين"..

مؤلفاته:

١- الابتهاج في أحاديث المعراج: مطبوع بتحقيق د. رفعت فوزي عبد المطلب عام ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة. مخطوطاته: النسخة الأولى: نسخه في مكتبة الأوقاف بالسليمانية ٩٩/١ [ت ٢٨٩] تقع في ٨٢ لوحة، نسخت سنة ٦٦٦ هـ.النسخة الثانية: في كوبرلي ١٢٥/١ [٢٣٢] في ٦٦ لوحة، نسخت عام ٧٢١ هـ.

٢- أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب:، حققه محمد بن سليمان الفوزان في رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود، كلية أصول الدين، قسم السنة وعلومها، سنة ١٤٠٤ هـ. طبع كذلك بتحقيق زهير الشاويش و تخريج العلامة محمد ناصر الدين الألباني ط١ عام ١٤١٩هـ/١٩٩٨م عن المكتب الاسلامي.

مخطوطاته: موجودة ضمن مخطوط كتابه (العلم المشهور) ونسخة: مكتبة الشيخ سليمان بن صالح البسام الخاصة بعنيزة، كتبت في عهد المؤلف سنة ٦٢٥ هـ وعليها سماع وقراءة وإجازة. النسخة الثانية: مكتبة جامعة الملك سعود رقم (١٦٦٥).

(١) أنظر: بغية الوعاة، ٢١٨/٢.

(٢) أنظر: حسن المحاضرة، ٢٠١/١.

٣- الارتقا إلى أفضل الرقى: ذكره ابن الشعار في (عقود الجمان) .
٤- الإرشاد في الحض على طلب الرواية والإسناد:ذكره ابن دحية في كتابه (العلم المشهور).
٥- استيفاء المطلوب في تدبير الحروب: ذكره محقق نهاية السول لابن دحية ويأتي.
٦- أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين: تحقيق د. محمد أمحزون، توفر مخطوط: نسخة في الاسكوريال تحت رقم (١٦٩٣cod) وليس له نسخة أخرى بحسب ما أعلم، نشر دار الغرب الإسلامي سنة ١٩٩٨ م.
٧- أنوار المشرقين في تنقيح الصحيحين المشرقين: ذكره محقق نهاية السول، وذكره العلامة عبد الله كنون رحمه الله في كتابه: النبوغ المغربي في الأدب العربي في سياق حديثه عن كتب المغاربة في الحديث النبوي خلال العصر الموحدي .
٨- تأليف في بلاغات مالك.
٩- تاريخ الأمم في أنساب العرب والعجم: ذكره محقق نهاية السول.
١٠- التحقيق في مناقب أبي بكر الصديق: ذكره صحاب هداية العارفين وغيره.
١١- تنبيه البصائر في أسماء أم الكبائر: مخطوط: نسخة ليدن في هولندا، رقم (٧٩) ولها صورة في مكتبة مخطوطات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى رقم ٧١٤/١.
١٢- وهج الجمر في تحريم الخمر: تحقيق محمد ظفر الله عطاء الله في رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، كلية أصول الدين، قسم الحديث. توفر مخطوط: النسخة الأولى: مكتبة المحمودية في المدينة المنورة، وهي ضمن مكتبة الملك عبد العزيز، ٤٥ لوحة، رقم ٢١٨ حديث، نسخت سنة ٧٥٢ هـ. النسخة الثانية: مكتبة الكتاني في الخزانة العامة بالرباط في المغرب، رقم ٥٨٧، قسم الحديث، لها صورة في الجامعة الإسلامية برقم ٢٦٨٠ مصورات، وهي في ٣٠ لوحة.
١٣- التنوير في مولد السراج المنير: مخطوط: ذكر المنجد أنها في برلين ٩٥٤٧/١، وقال محقق الآيات البينات أنه وهم منه، وأن محقق النبراس لابن دحية ذكر أنها كانت

عنده ولا يدري في أي مجموع، وهو عباس العزاوي.

قلت: وهذا الكتاب صنفه ابن دحية للملك المعظم مظفر الدين بن زين العابدين صاحب إربل سنة ٦٠٤هـ، وكان الملك المعظم مولعا بالاحتفال بذكرى ميلاد النبى .

١٤- قصيدة في الرسول: ختم فيها كتابه التنوير في مولد السراج المنير، وهي في فهرس باريس ١٤٧٦، ٣١٤١، رقم ٢

١٥- جزء في أحاديث الحوض.

١٦- جميع العلوم الكليات في قوله الأعمال بالنيات.

١٧- خطب بليغة .

١٨- دليل المتحيرين: أو عصمة الأنبياء.

١٩- الرد على اللاغي في تفضيل الباغي.

٢٠- رسائل ومخاطبات.

٢١- سلسلة الذهب في نسب سيد العجم والعرب: أو النبراس.

٢٢- شرح مسند الشهاب للقضاعي: وهناك كتاب باسم المنتخب من الشهاب، ذكر صاحبه أنه توفر مخطوط: مكتبة خدابخش رقم ٣٨٢، ٢٥ لوحة .

٢٣- الصارم الهندي في الرد على الكندي.

٢٤- الصحيح المنتخب.

٢٥- العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور: وسمي: العلم المشهور في فوائد فضائل الأيام والشهور، أو فضل بدل فضائل.مخطوط: توجد نسخة عند الشيخ عبد العزيز الحنوط من مكتبة الرباط.

٢٦- مرج البحرين في فوائد المشرقين والمغربين: أو الإنذارات، أو البشارات والإنذارات المتلقاة من أصدق البريات: وهو عن الدجال ونزول عيسى عليه السلام وغيرها.

٢٧- المستوفي في أسماء المصطفى: أو المستوفى في شرف المصطفى.

٢٨- المسائل المفيدة.

٢٩- المسائل الموصلية.

obeikandl.com

٣٠- مصنف في رجال الحديث

٣١- المطرب من أشعار أهل المغرب تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٤ م، ونشر أيضاً لمصطفى عوض الكريم، نشر مطبعة مصر بالخرطوم ١٩٥٤ م.له مخطوطة نفسية كتبت سنة ٦٤٩ هـ، أي بعد وفاة المؤلف بستة عشر عاماً.

٣٢- المعجم في أسماء من لقي من أهل العلم

٣٣- معجم شيوخ ابن مضاء

٣٤- من ألقم الحجر إذ كذب وفجر وأسقط عدالة من قال من الصحابة (ما له أهجر): سجل كرسالة علمية في المغرب. حققه الأستاذ عبد العزيز فارح و صدر عن مجلة دعوة الحق سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م ط ١، مخطوط: نسخة الاسكوريال رقم ١١٩٠ بخط تلميذ ابن دحية محمد بن محمد بن يحيى السبتي.

٣٥- المنتخب من معجم الطبراني الكبير.

٣٦- النبراس في ذكر خلفاء بني العباس: تحقيق، عباس العزاوي مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٤٦م. مخطوط: نسخة نور عثمانية بتركيا رقم ٣١١٦ نسخة قرئت على المؤلف سنة ٦١٣ هـ، وعليها سماعات.

٣٧- نثر الدرر في فضل من تمسك بسنة سيد البشر.

٣٨- نهاية السول في خصائص الرسول:، تحقيق د. عبد الله عبد القادر الشيخ محمد نور الفادني في وزارة الأوقاف القطرية سنة ١٤١٦ هـ، وهي رسالته للدكتوراة النسخة الأولى: نسخة برلين بألمانيا رقم ٢٥٦٧ توفر مخطوط:النسخة الثانية: دار الكتب المصرية رقم ٦٦٤١النسخة الثالثة: دار الكتب المصرية رقم ١٩٥٠٧ ب.النسخة الرابعة: دار الكتب المصرية رقم ٢١٤٩٤ ب.

٣٩- الوفيات:

٤٠- البشارات و الانذارات المتلقاة عن سيد البريات، و هو في باب المعجزات.

٤١- الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله صلى الله عليه و سلم من المعجزات.

من أقواله فى الحديث :

obeikandl.com

١-ذكر الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية أن الحديث فى إيمان أم النبى وأبيه موضوع يرده القرآن العظيم والإجماع قال تعالى "ولا الذين يموتون وهم كفار" وقال "فيمت وهو كافر" فممن مات كافرا لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة بل لو آمن عند المعاينة لم ينفع فكيف بعد الإعادة ؟! وفى التفسير أنه عليه السلام قال ليت شعرى ما فعل أبواى ؟! فنزل "ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ".

٢- وقال رحمه الله فى تعريفه للحديث الموضوع: الموضوع: الملصق، وضع فلان على فلان كذا أى ألصقه به(١)

ابن دحية والظاهرية: اعترض بعض أصحابنا من أهل الظاهر بالمغرب على ظاهرية ابن دحية قائلا: قال ابن دحية الكلبي في كتابه (أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب) ص٩٢: وقد نطق الكتاب العزيز بصحة حدثنا وأخبرنا بالإجازة حيث قرنها التواطئ من المجيز والمستجيز على النقل بها من جهة القياس أن الله تعالى حكى عن بني إسرائيل فقال في قصة البقرة [٧١] (فذبحوها) وقد علمنا أن الذابح إنما كان واحدا من جهة العادة الشرعية، فلم لا يجوز أن يقال في الإجازة قياسا على هذا مع وجود التواطئ منها على النقل بها كوجود التواطئ من بني إسرائيل بأمر نبيهم ومن الذابح لها على ذلك الذبح"... وفي صفحة ١٣٢: يرجح العمل بالحديث المرسل.

وفي ص ١٣٣: يقول أن الحديث الحسن ما دون الصحيح مما فيه ضعف محتمل قريب....واعتبره.

وفي صفحة ٦٨: يعرض لمقالة الأشعرية الخبيثة في أن النبي بعد موته لم يعد نبيا وقد قال بها أبو الوليد الباجي وابن فورك ... ولم يثبت ولم ينف هذا المعتقد الفاسد...

قلت: بشأن الاحتجاجات التى يحتج بها من يرى عدم ظاهرية ابن دحية فليست بشيء أصلا.

أولها مسألة القياس الرجل لم يقل به وهذا امر معروف فى كتبه، وما طرحه هنا يخص القياس اللغوى فحسب، ولعله تاثر به من شيخه السهيلى المالكى، فقد كان شيخا له فى

(١) ابن حجر، النكت على كتاب ابن الصلاح، تحقيق ربيع هادى عمير، ٨٣٨/٢.

العربية والتفسير.

وثانيا: بخصوص ما ذكرته عن الحديث المرسل فليس هو قوله إنما هو قول الدارقطنى .

أما عن تعريفه للحديث الحسن فلا يمكن ايضا أن يؤخذ منه انه غير ظاهرى خاصة إذا علمنا أنه كان محدثا فذا وله منهجه، ومن ثم قد يختلف مع غيره من أهل الحديث فى بعض الأمور، وهذا امر واضح، حتى وإن استخدم مسألة الاحتمال او غيرها.

وثالثا: أما عن الاحتجاج بعدم نقد ابن دحية لمقولة الاشعرية بأن النبى بعد موته لم يعد نبيا فهو اصلا انتقدها لما خطا ابن حزم فى نسبتها لكل الأشعرية فى الصفحة ٦٨ ثم اتبع ذلك بذكر كلام ابن حزم حول هذه المسالة. ثم هب انه لم ينقدها والامر ليس كذلك فغن المذهب الاشعرى وجد سوقا نافقة فى عهد الموحدين، وغن كان الموحدون لم يعمدوا إلا نشر العقيدة الاشعرية باسرها بل اخذوا منها ما يوافق منهجهم الظاهرى، ومن ثم وجدت تعقبات لاقوال ابن تومرت فى مرشدته الاشعرية.

أيا ما كان الامر ليس هذا ايضا بدليل يثبت عدم ظاهرية ابن دحية، فالباجى مثلا كان مالكيا وقال بقول الأشاعرة هل نقول عنه أنه ليس بمالكى.

شبهات وأباطيل وجهت للحافظ ابن دحية :

أولا: طعن بعض أهل الأندلس وبعض المشارقة ومنهم الذهبى في الحافظ ابن دحية بأنه ادعى انتسابه للصحابى الجليل دحية بن خليفة الكلبى، وليس الأمر كذلك لأن دحية لم يعقب .

قلت: ويبطل قولهم أن دحية بن خليفة الكلبى له عقب حيث ذكر الطبرى فى أحداث سنة ١٢٦ هـ أن يزيد بن الوليد بن عبدالملك ندب لولاية العراق عبدالعزيز بن عبد الله بن هارون بن دحية بن خليفة الكلبى فأبى. وهى نفس الحجة التى استند عليها الحافظ ابن حجر فى إبطال زعم من اتهم ابن دحية .

كما أن ابن دحية ذاته انتحى للرد على زيد بن الحسن الكندى رئيس النحاة بدمشق لما زعم أن الصحابى دحية لم يعقب، وصنف ابن دحية كتابا فى الرد عليه أثبت فيه ان لدحية ذرية وأنه من ذريته .

ثانيا: اتهام ابن دحية بأنه لم يسمع من العلماء حسب المحضر الذى عمله السنهورى الظاهرى.

قلت: ويكفى لإبطال ذلك إثبات من ترجم له من الأندلسيين والمشارقة سماعه من شيوخه، فضلا عن أن أقوال الأقران بعضهم فى بعض تتساقط، لا سيما وان السنهورى تعرض للضرب وطيف به فى مصر لأجل تعرضه لابن دحية، فلا يمكن بحال أن نقبل كلامه بعد ذلك لا فى محضره ولا فى غيره بشأن ابن دحية .

ثالثا: أن ابن دحية اشتغل بطلب العلم بعدما كبرت سنه، وهذا يؤكد نفى سماعه من شيوخه.

قلت: ويكفى لإبطال ذلك ما ذكره ابن الأبار والغبرينى وابن خلكان وغيرهم عن حفظ الرجل وملكته القوية فى معرفة الحديث ورجاله وأسانيده، فضلا عن رحلاته هنا وهناك ولقائه بالعلماء ومجادلاته ومناظراته وتقريب الحكام له لعلمه وحفظه.

رابعا: ادعاء ابن كثير وغيره ان ابن دحية وضع حديثا فى قصر صلاة المغرب .

قلت: يكفى لإبطال هذا الزعم ان ابن دحية لم يتهم بالوضع لا سيما فى أمر كهذا الإجماع منعقد عليه ن وهو من المعلوم من الدين بالضرورة، ولعل هذه التهمة شأنها شأن غيرها ترجع إلى ما يقع بين العلماء من منافسة بسبب القرب من السلطان وعلو المكانة والشان، فضلا عن ظاهرية ابن دحية التى شغلت الكثيرين مع مكانته عند السلطان.

وفاتة: توفي ليلة الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وست مائة.

٣٨- القاضى اسماعيل بن سعد السعود بن عفير (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) قاضى مراكش:

إسماعيل بن سعد السعود أحمد بن هشام بن عفير الأموى اللبلى الإشبيلى. ولد عام ٥٥٨هـ، ودرس على جماعة من الظاهرية والمالكية. من أهم شيوخه من الظاهرية والده سعد السعود، ومن المالكية ابن زرقون، وابن بشكوال صاحب الصلة، والسهيلى صاحب الروض الأنف.كان صديقا وصاحبا للعلامة المحدث والفقيه والطبيب والصيدلانى والعشاب ابن نباته. تولى ابن عفير قضاء مراكش حاضرة الخلافة الموحدية ثم صرف عن القضاء وعاد إلى إشبيلية(١).

(١) أنظر ترجمته عند: ابن الابار، التكملة .المراكشى، الذيل والتكملة.توفيق الغلبزورى، المدرسة الظاهرية.

ومن شعره وهو يرثى صاحبه ابن نباتة :

أسست بالآثار علمك موقنا *** أن البناء يهى بغير اساس

من ذا يطهر بالإماطة سنة *** تشكو أذى الآراء والأقياس

من ذا يعالج داءها من حفظه *** بعلاج لا ناس ولا متناس

هزم القياس بعسكر من مسند ال *** آثار لا ميل ولا أنكاس.

٣٩- القاضي محمد بن يحيي بن بكر الأشعري قاضى غرناطة كان لا يقلد مذهبا ويقضي بما يراه صوابا وكان عارفا بالأصول والفروع واللغة والتفسير، والقراءات والحديث وعلومه.

٤٠- بدر الدين محمد بن محمد بن يعقوب الجعبرى الدمشقى (ت ٨١٠هـ) اشتغل بالعلم، وولى بعض المدار بدمشق، وكذا ولى نظر الأسرى بدمشق، وولى قضاء صفد، وكان مشكور السيرة .

ظاهريته: ومال إلى القول بالظاهر على قول السخاوى، وشيخه ابن حجر (١)

وفاتة: مات فى شوال سنة ٨١٠هـ.

٤١- شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن خليفة الحسبانى الدمشقى (ت ٨١٥هـ) سيذكر فى المحدثين.

٤٢- القاضى تقى الدين المقريزى (ت٨٤٥هـ) سيذكر فى المؤرخين.

٤٣- الشيخ القاضي التقي بن محمد عبد الله الشنقيطي (ت ١٤٣٢هـ): أكبر شيوخ البلاد الشنقيطية في القرآن وعلومه وشيخها الأبرز في السنة وعلومها وأحد أجل دعاة التوحيد ومحاربي الشرك في البلاد، يعرفه الشيخ بداه بن البوصيري المفتي السابق رحمه الله في إحدي إجازاته لبعض طلابه قائلا (أجيزه بما أجازني به شيخي السَّنِيّ السُّنِّي التقي) وقد عاش رحمه الله متواضعا زاهدا فيما عند الناس راغبا فيما عند ربه مشتغلا بالعلم والدعوة والعبادة وبعد أن ضيق عليه تفرغ للعلم وللعبادة فكان يقسم وقته بين التأليف واستقبال طلبة العلم في مكتبة صوتية متواضعة يحرص علي أن يكون فيها مساء لاستقبال الطلبة

(١) أنظر: السخاوى، الضوء اللامع، ٢٧/٩.

فمن قارئ للقرآن يريد إجازة الشيخ أو قارئ للبخاري ومسلم والجمع بين الصحيحين وألفية الحديث للعراقي وألفية النحو لابن مالك وفي الصباح مع طلابه في معهد ابن عباس .له تفسير للقرآن مسجل بصوته وقراءته الخاشعة ومخطوط بخطه وله شرح لصحيح مسلم بيض منه الجزء الأول وبلغ تسويده الصلاة وهو عبارة عن قراءة في منهجية مسلم وترتيبه والتعليق علي الصناعة الحديثية فيه، كما أن له رسالة في أحكام الصلاة طبعت علي ورد وانتهي من تصحيحها ورسالة أخري في حكم الحلف بالحرام أضاعها متعصبوا المعهد العالي من أرشيفهم ومازلنا نبحث عنها.

كان الشيخ محمد بن أبي مدين رحمه الله يسميه طريد السنة فقد كان لا يجامل في قضايا التوحيد ومخالفة السنة ويقول بالحق لا تأخذه فيه لومة لائم ولذلك حاربه طوائف أهل البدع والتعصب واستعدوا عليه السلطة وسجن مرات رغم كونه قاضيا وأهمل حتي يخمل ذكره وفي حين كان هذا عقابا له كان هو يراه نعمة من الله فقد كان متواضعا زاهدا يكره الظهور.

كان يحب طلبة العلم ويبش في وجوهم ويبذل لهم وقته وخصوصا إذا كانوا مغتربين، فقد نقل عن من حضره وقد جاءه شبة صغار من اليمن يريدون قراءة الصحيحين عليه فرحب بهم ودمعت عيناه إجلالا لما جاؤوا له وتأثرا بما بذلوه من جهد.

وقد عرف من حضره قبل وفاته أنه بدأ يفقد الوعي بأن بدأ يصلي المغرب قبل وقته فقيل له الوقت لم يحن بعد فقطع صلاته ثم عاد وكبر فكان ذلك آخر عهده بالحركة حتي توفي بعد العشاء في المستشفي في ٢١ ذوالقعدة ١٤٣٢ للهجرة فرحمه الله رحمة واسعة.

قال تلميذه محمد الأمين المسومى: وكان لا يقول برأي ولا قياس ولا تعليل، وكان يُجل ابن حزم ويعظمه ،وقد أوصاني بقراءة كتاب الأحكام في أصول الأحكام ،فقلت له ألا يكفيني ارشاد الفحول ،فقال: لا .. عليكم بالأحكام فهو عمدة في هذا الفن والشوكاني عالة عليه (أوكلاما هذا معناه)

وقد قرأت عليه نخبة الفكر ،ومقدمة مسلم ،وقُرأ عليه بعض أبواب صحيح البخاري وأنا أسمع.

ومن ما يميز شرح الشيخ لصحيح مسلم هو أنه رجحه على البخاري بالأدلة والبراهين من خلال مقارنة للكتابين، ورجح ما ذهب إليه مسلم من أن عنعنة الثقة مع إمكان اللقاء تحمل على السماع ،ورد على المتأخرين من الحفاظ في ترجيهم للبخاري على مسلم بهذا الشرط الذي زعم أن أول من ابتدعه على بن المديني ،والحقيقة أن الشيخ كان صاحب قلم جريء، يقول الحق ولو خالفه أوهل الدنيا كلهم، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وغفر له.

وقال تلميذه أبو ميمونة محمد الأمجد بن محمد محفوظ بن الدي بلغنا الخبر بوفاة الشيخ ليلة الأربعاء لثمان بقين من ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وألف الموافق: ٢٠١١/١٠/١٩، فعظم الكرب واشتد الخطب ودمعت العين وحزن القلب ولن نقول إلا ما يرضي الرب. كان شيخنا رحمه الله منكبا على التدريس وإسماع كتب السنة باذلا وقته لمن جاءه من الطلبة متواضعا للغاية لا يرى لنفسه فضلا على إخوانه سمعته مرة يصف نفسه بأنه طالب علم!!!

كان الشيخ لا يرى الأخذ إلا بما في الكتاب والسنة الثابتة وأن لا يتعدى ذالك، لا يعول على قياس ولا رأي، وليس هذا ببدع من القول فقد سبقه إلى ذالك أئمة كبار، يحث من يتردد إليه دائما على تعلم القرآن والحديث والعمل بهما، ويعظم ذالك في قلوب طلابه. كان الشيخ متقنا لفن النحو، بلغنا أنه يجيد تدريس الكافية الشافية لابن مالك. تولى القضاء فترة وسمعته يقول إنه في فترة القضاء لم تأته نازلة إلا ووجد حكمها في الوحي ولم يحتج إلى قياس قط، قال مع أني طالب علم فكيف يحتاج العلماء للقياس؟! ودرس سنوات في معهد ابن عباس للدراسات الإسلاميةرحل شيخنا في سبعينيات القرن الميلادي الماضي إلى عدة بلدان منها: ليبيا والتقى فيها بالشيخ أبي القاسم التواتي رحمهما الله وأعجب به وأجازله رواية الكتب الستة والموطأ ومسند أحمد وما تضمنه المنهل الروي للسنوسي بروايته أي: (التواتي) عن محمد إدريس المهدي السنوسي عن أحمد الريفي عن محمد بن علي السنوسي، وعندي نسخة مصورة من هذه الإجازة بخط الشيخ التواتي رحمه الله.

كما شملت رحلة الشيخ مصر والتقى فيها بالشيخ صالح الجعفري وأجازه. وزار

دمشق والتقى فيها بالشيخين المسندين: محمد صالح بن أحمد الخطيب الدمشقي الحسني وأحمد المكي بن محمد بن جعفر الكتاني وأجازاه وسمع عليهما بعض الأربعين العجلونية وأجازاه في سائرها برواية المكي لها عن أبيه بسنده والخطيب بروايته لها عن عبد الحي الكتاني وغيره.

كما زار تونس والتقى فيها بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور وأجازه بأسانيده ومن أعلاها روايته عن جده محمد العزيز عن محمد صالح الرضوي عن رفيع الدين القندهاري عن محمد بن عبد الله الشريف عن عبد الله بن سالم البصري بما في ثبته .

وأجازه أخيرا الشيوخ :

أبو أويس بو خبزة محمد بن الأمين بن عبد الله التطواني حفظه الله.

عبد الرحمن بن عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني حفظه الله.

عبد الرحمن بن شيخ بن علوي الحبشي حفظه الله.

خلف الشيخ رحمه الله تعالى :بعض المحاضرات والدروس الصوتية.

دراسة حول صحيح مسلم سماها: "إتحاف المسلم بصحيح مسلم" كان مشتغلا بتصحيحها آخر عمره.

الصلاة المصطفوية، وقد قمت بتحقيقها وتخريجها يسر الله إكمالها وقد سمعت عليه صحيح مسلم من أوله حتى صدر كتاب الإيمان وقرئ عليه بعض صحيح البخاري وأنا أسمع وبعض الجمع بين الصحيحين للحميدي وسمعت عليه الأربعين العجلونية جميعا وأجازني بها وكتب لي ذالك، وبما أجازه به: محمد صالح الخطيب، وأحمد المكي الكتاني، وصالح الجعفري، والطاهر بن عاشور وأبو القاسم التواتي، وكتب لي بذالك على الثبت الصغير الذي قمت بتخريجه له، وأجازني قبل موته بحوالي نصف شهر بما أجازه به الشيوخ: بو خبزة، والحبشي، وعبد الرحمن الكتاني، وقد ذكرت الكثير من أسانيده في الثبت الكبير الذي خرجته له وسميته: "الجوهر النقي من أسانيد شيخنا التقي" وقدر الله أن لا يكمل إلا بعد وفاته، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

obeikandi.com

وقال تلميذه أبو محمد الجعفرى: الأستاذ القاضي التقي بن محمد عبد الله حفظه الله تعالي مازال حيا (١) وكنت قد كتبت عنه مشاركات سابقة وهو قطعا من المعجبين والمحبين لأبي محمد رحمة الله عليه ولا يقول بالقياس ومن أراد أن يدرس عنده الأصول وجهه للإحكام ويقول عن أبي محمد أنه قلم حر، له شرح على صحيح مسلم ودراسات قرآنية والصلاة المصطفوية لم يطبع منها شيء حتى الآن، وهو الآن قاض متقاعد ويدرس في معهد ابن عباس بانواكشوط وهو مجيز لشيخ هذه البلاد ومفتيها الشيخ بداه بن البوصيري رحمه الله وهو أيضا من المتأثرين بابن حزم أيضا وكذلك الشيوخ الآخرين ممن يهتمون بالدليل مثل الشيخ سيديا باب رحمه الله والمحدث محمد بن أبي مدين والشيخ عبد الله بن داداه رحمة الله على الجميع.

والأستاذ التقي أراد بعض المتعصبين ابعاده من المعهد بإعطائه مختصر خليل ليدرسه وهو يقول عنه أنه آراء بشرية من عصور الإنحطاط فقبل لأنه يحرص على الإتصال بطلبة العلم فدرسه مبينا رأيه فيه للطلاب، وكلما سألته عن دروس مختصر خليل تبسم قائلا أنه يبين للطلبة بعد الدرس أن هذه آراء بشربة لا ندين الله بها.

ولكن الشيخ زاهد جدا وفي بيئة لا تتفهمه ولذلك فهو منسي مبعد لا يحرص على الظهور ولا يحرص مكايدوه على ظهوره حتي مؤلفاته ضاع بعضها بسبب السجن ونحن نجمعها الآن حتي ييسر الله طباعتها، وكنت قد عرضت سابقا أنه يمكن أن نحصل منه علي درس في الغرفة ولكن لم أجد استجابة.

قلت: كان ذلك فى العقد الأول من القرن الحادى والعشرين أيام كنا نتحاور ونحاضر على غرفة البالتوك وغرفة البيلوكس فى أمور الظاهرية وفكرها ومنهجها .

(١) كتب صاحبنا أبو محمد الجعفرى كلامه عن شيخه قبل وفاته بسنين، ونشره على دارة أهل الظاهر القديمة .

obeikandi.com